

كتب الدراسات القرآنية

أقلام من السيرة النبوية

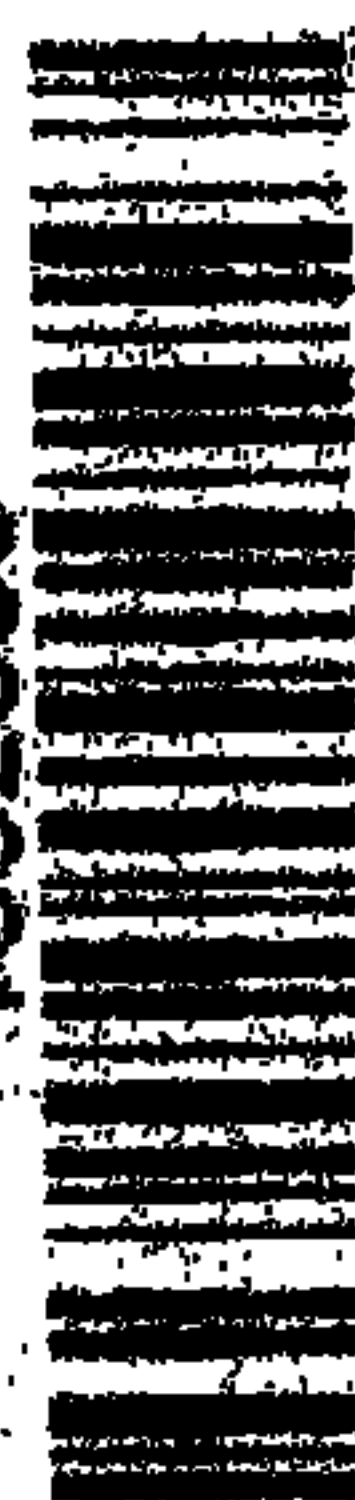
عبد الحفيظ الصادق الجويني

مدرس في قسم اللغة العربية
بمكتبة الدراسات للدراسات والبحوث والدراسات
بجامعة عين شمس

الناشر: دار المعارف بالإسكندرية

بمجلدات حصرية وشكرًا

0003201



Bibliotheca Alexandrina

معارف من السيرة النبوية

دكتور
مصطفى الصاوي الجويني
رئيس قسم اللغة العربية
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

الناشر // مكتبة المعارف بالإسكندرية
بجلال حزي وشركاه

الإهداء

يأيها الأممي حَسْبُكَ رُبَّةٌ
في العلم أن دَأَتْ بك العَلَمَاءُ

أحمد شوقي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

هذا العمل العلمى أتقدم به لقارئى الكريم رمزاً لحب ، وآية لوجود يفيض به القلب نحو رسول الإسلام ، وخاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ .

إن الحب لرسول الله من الحب لله ، وحب الله ورسوله فوق أن يُحدَّ ويعجز عن العبارة عنه كل ذى بيان ، وإن بلغت موهبته الغاية . وإذن فالرمز يختزن هذا البيان الذى يحوطه طوفان المشاعر والأحاسيس على مدى خمسة عشر قرناً ، والتأليف فى سيرة الرسول الكريم ، وتصوير جوانب من عظمة شخصيته .

وكان تناول لسيرة الرسول على مستويين ، إما علمى موضوعى ، وإما إبداعى أدبى . وبرز فى كل مؤلف عن الرسول بُعد تصوره لشخصية الرسول محمد ﷺ . أسلوب معالجة المؤلف للسيرة ، وثقافته هو العلمية ، ثم صورة عصره ، وأشير هذا إلى بحث لى بعنوان « البحث عن البطولة » عرضت فيه لما تتسم به سيرة الرسول فى مصر من لون تلونت به فضفرت فيه عاطفة الوجدان ، وحيوية الفن لموضوعية العلم ، وإن فى درس السيرة النبوية لأبعاداً وآماداً .

ومن إعجاز هذه الشخصية التى صنعها الله تعالى على عينه - وفى عصرنا هذا الذى تكشفت فيه ، وفرة من علوم ومعارف أو استخدمت مناهج علمية وفنية جديدة ، فى هذا العصر انتهى الأمر فى شخصية الرسول سواء من الجانب العلمى أو الفنى إلى أن هذه الشخصية الكريمة تتخطى كل مثل أعلى بمقياس العلم أو الفن ، وإلى هذا المعطى اطمأن القدماء وإليه كذلك يركن المحدثون .

ولقد بدا لي أن أدرس السيرة من زاوية لم يسبق لأحد درسها فأدرس الشخصية العظيمة ، وماصدر عنهما من قول ، وما أثارتها تلك الأقوال من معارف ، ويشاء الله أن تظل شخصية الرسول محمد ﷺ بفعالها وبقولها معجزة تشع على الدنيا فقد أضاء نورها جنبات الكون معارف رأيت أن أحدها في علوم الدين وعلوم العربية من لغة ونحو ، بل وعلم الفهرسة قبل أن تنشط الدراسات المكتبية ، وتنهض بعلوم الفهرسة والتصنيف ، ثم ماينتمى إليه الحديث من الأنواع الأدبية . وفنون التعبير التي صيغ فيها وعلى الرغم من نماذج الفن بالعلم في هذه الدراسة ، فإنني أحس بعمق ، أن كل جهد يبذل في درس شخصية الرسول العظيم هو دون المطمح ، ونطمع فيما هو أكمل ، ولكن ما الحيلة وشخصية النبي الكريم تعجز دونها علوم الدنيا ، وكل فنونها . وأخيراً عجز تعبيرى في الإفصاح عن مكنون حبي لمحمد ﷺ ، وعجزت وسائل العلمية أن تُحدِّد ما أثاره من علوم ، وهدى إليه من فنون .

وكان لزاماً أن يكون الرمز بهذا العمل للحب ، وأن يكون المنهج تخطيطاً يشير إلى أبعاد وأعماق تحتاج في تفصيلها إلى آماذ .. ولا يقوم به فرد أو جماعة ولاجيل يله أجيال وأجيال .

وتبقى بعد شخصية الرسول محمد ﷺ . معجزة على كل المستويات ، وبكل المعايير .

وإنى لأحس بعمق الجميل الذي أسدته لي ابنتي وتلميذتي الدكتورة صباح عبد الله بافضل الأستاذة المساعدة بكلية التربية للبنات بجدة .

فقد كانت تحرر ما أخطه ، وتراجعه ، سواء في عملي هذا أو في غيره من أعمال جزاها الله عنى خير مايجزى الأوفياء الصادقون

والشكر موفوراً موصولاً لابنى العزيز الأستاذ الدكتور منير سلطان أستاذ
النقد والبلاغة بجامعة عين شمس . وله فضل مراجعة تجارب الطبع ، وأساليب
الإخراج الفنى لأعمالى العلمية ، بارك الله له وعليه .

وأملى أن ينفع الله بهذا الكتاب ، ويكون ثقلألى ولقارئى .

ربى كريم

أستاذ دكتور/ مصطفى الصاوى الجوينى

أستاذ الدراسات العليا

بكلية البنات بمكة - المملكة العربية السعودية

الاسكندرية فى الثانى من أغسطس ١٩٨٨ م

الموافق ١٨ ذى الحجة ١٤٠٨ هـ

الفهرست العام

تمهيد

الفصل الأول : السيرة النبوية وفن الترجمة

الفصل الثاني : الحديث وعلوم الدين .

الفصل الثالث : الحديث وعلوم العربية .

الفصل الرابع : تصنيف الحديث .

الفصل الخامس : الحديث والأنواع الأدبية .

الفصل السادس : الحديث وفنون التعبير .

الفهرست التفصيلي .

الفصل الأول
السيرة النبوية وفن الترجمة

- أولاً
- شخصية الرسول
- وفن السيرة

شخصية الرسول والاعجاز

كتاب جوامع السيرة لابن حزم والذي نشره باحث يسمى عزت دروزة يجعل شخصية الرسول ﷺ شخصية معجزة بسلوكها وإذا رحنا نتبع المواضع التي تذكر فيها عصمة الله عز وجل لرسله عامة ولرسوله محمد ﷺ بخاصة - لوجدنا أول منطلق في هذا الموضوع .

ثم من أحداث السيرة مواقف عصم الله رسوله من الناس ، منها مؤامرة أبي جهل لابناء الرسول ﷺ .. ومؤامرة قريش لسفك دمه عليه الصلاة والسلام ، وتتبع سراقه للرسول وأبي بكر ليلة الهجرة ، وغفلة قريش عن وجود الرسول ﷺ وصاحبه في الغار ، ومحاولة الغطفانيين لقتل الرسول ﷺ ، ومحاولة عامر بن الطفيل لقتل الرسول وعصمة الله عز وجل له ، وما عمله يهود خيبر بعد غزو الرسول لهم . وصنيع زينب بنت الحارث شاة مسمومة ، وكيف لفظ رسول الله ﷺ أول لقمة منها .. الخ .

هذا إلى عصمة الله عز وجل للرسول ﷺ في كل غزواته والمسلمين ضد أعداء الدين .

شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

كان رجل دين ودنيا ، هو راع وتاجر ومحارب واستاذ ومرب شعبي وقاض ، ورجل دولة وسياسة ... الخ .

ثم هو رسول كريم ، يعلم الدين ، ويتبتل ويدعو الله ، ويصوم ، ويحج ويتصدق ... الخ .

فمن أين جاء المسلمون بالفصل بين عنصري (الدين والدولة) في شخصية الانسان بحيث أصبح رجل الدين يهتم بالدين وينصرف عن الدنيا ورجل العلم ينصرف عن الدين إلى الدنيا ، ومتى كانت شخصية الانسان مادة لاروح فيها أو روحا بلا مادة ؟

من هنا فدراسة شخصية الرسول ﷺ وأصحابه تعطى المثل الحى فى شخصية المسلم ، الدنيا عنده دار اختبار بينما الآخرة دار جزاء .

وعن شخصية الرسول

فهناك قلة متأثرة بالاتجاه الأوربى أن الاسلام دين لادولة يفصل السلطة الروحية عن الزمنية وقالوا دليلنا قوله سبحانه (وما على الرسول الا البلاغ) . ولكن بعرض حياة الرسول ﷺ نجد أنه قد لبث عشر سنين يدعو للاسلام وثلاث عشرة سنة فى تأسيس الدولة الاسلامية حماية للعقيدة ونشرا لها شأن أى مذهب أرضى اليوم لابد ان تسنده قوة مادية . ولقد عاون الرسول فى تأسيس الدولة رجال منهم كتاب للوحي كعلى وعثمان وآخرون للصدقات وللديون وللبيع ولرصد دخل الدولة من النخيل ، وكان زيد ترجمان الرسول للامم التى تتكلم الحبشية والرومية والقبطية والفارسية والعبرية ، بل ان مبادئ الاسلام فى الميراث والاقتصاد (البيع) والديون والتكافل الاجتماعى والحرب نجد أنها مسائل تحمل فى عصرنا الحاضر أسماء : (الشرطة - الداخلية الدفاع - الشئون الاجتماعية - الخزانة ... الخ) .

وكذلك من يقومون بها وزراء للدفاع والزراعة ... الخ .

أحداث فى سيرة الرسول

أحداث خاصة برزت من خلال سيرة الرسول ﷺ لها دلالتها من مدبر الكون عز وجل مثل :

حادثة الإفك واعتزال الرسول ﷺ لنسائه فترة .
الثلاثة المخلفون .

النزاع بين الانصار والمهاجرين .

مسجد الضرار ... الخ من أحداث هي نجوم للألاء في سماء البشرية
السامية .

حول الإسراء والمعراج

تمت حادثة الإسراء في السنة الحادية عشرة من بعثة الرسول ﷺ وقبل
الهجرة إلى المدينة بنحو من سنتين في مرحلة الصراع النفسي .
ان الصراع بين الشرك والايمان بدأ نفسيا وجدانيا بمكة وانتهى حريا بالمدينة
على الأغلب ، فيما يختص بالمسلمين لأن الكفار في المرحلتين كان السلاح
المادي عمادهم .

الاعجاز الالهى في السيرة النبوية

محمد رسول الله ﷺ من قبيلة قريش وهى زعيمة قبائل مكة ، ولو شاء الله
عز وجل لجعل القبيلة تتعصب لأحد أبنائها ويكون تعصبها لرسالته الدينية اذن
تعصبا قريبا ، ولكن شاء الله عز وجل أن تعصيه قبيلته وتناوته وتناصبه العداء
ليكون الايمان بالدين الجديد عن حب واقتناع .

ولنقل مثل ذلك في كثير من جوانب السيرة فيها هذا الصنيع الالهى من يتم
محمد وفقره ... ووفاة أبنائه الذكور ... الخ .

المعجزة في سيرة الرسول

إذا كان القرآن كلام الله المعجز يتحدى الناس في كل زمان ومكان وكان

أمين رسالة الاسلام هو محمد ﷺ فان حياة هذا الرسول الامين من قبل أن يبعث ومن بعد البعثة معجزة كذلك ..

مثال ذلك اسم الرسول ﷺ ، معاصروه كانوا يتسمون بأسماء تتعبد لآلهتهم مثل : عبد يغوث - عبد مناة - عبد الدار عبد اللات - عبد العزي ... الخ

بينما الرسول ﷺ كان اسمه محمد يحمد الله والملائكة والناس .
« ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

وكان أبوه عبد الله ، وأمه آمنة وأبوها وهب .
فالرسول ﷺ هبة وأمان ومرضعته حليلة من بنى سعد أرضعته الحلم والسعد .

صورة كلامية للرسول

رسمها الجاحظ في احدي رسائله (رسائل الجاحظ . نشر عبد السلام هارون) ورسمتها كتب الكلام .

وتدور حول شخصية الرسول ﷺ كمتراجم لتعاليم القرآن ترجمة عملية ، وفي صدق الرسالة فيما أخبرت به من صفات الرسول ﷺ ، وعن صدق ما أخبر به القرآن من غيوب ومنها حتمية انتصار رسالة الإسلام وفي عدم التناقض بين القرآن وحديث الرسول الصحيح .

عن مجتمع الرسول الإسلامى

عصر الرسول صلى الله عليه وسلم عصر فريد في تاريخ المجتمعات البشرية

تتصل فيه السماء بالأرض فيتنزل الوحي على رسول ﷺ وتسجل السماء أحداث الأرض ، وتتعاون الملائكة مع المؤمنين . ويتسامع الخلق بالدين الجديد ، فمنهم من يؤمن ومنهم من يكفر .

ويواجه الدين الجديد أديانا سماوية وغير سماوية كلها تحلل أو انحراف وجهل القلب الانساني فارغا من غذائه الروحي ، وهناك أوضاع اجتماعية كالرق وهوان المرأة ، وقيم خلقية جاهلية سائدة ، ووضع المرأة المهين ، ثم الثراء الفاحش والفقر المدقع ، والمترفون أو غيرهم أو قلتهم ضائعة بين ارضاء شهوة حيوانية أو طمع مادي أو تحريف اعتقادي أو فكري ، ثم مجتمعا فارس والروم المتسلطان على أمم العالم وتحلل الحضارة فيهما وتفسخها لانغماسها في المظهر المادي وفراغها الايماني .

في ظل هذا المجتمع تنفتح عيون وقلوب وأفكار الشباب المسلم الناشيء أمثال : علي - أسماء - عبد الله بن عمر - أسامة بن زيد بن ثابت ... الخ ممن تذكرهم كتب السيرة والطبقات وممن فتنهم روح البطولة فحاولوا الحرب صفارا وردهم الرسول ﷺ لصغر سنهم ، هؤلاء الشباب اتجهوا بنين وبنات وجهات خيرة في ظل الاسلام ... ابن عباس مثلا ترجمان القرآن - زيد بن ثابت كاتب الوحي علي وأسامة وعبد الله بن الزبير فرسان الحرب هم وغيرهم - أسماء بنت أبي بكر الأم انجاهدة التي ترى أبناءها تربية فروسية اسلامية الخ ...

عبقريّة الاماكن المقدسة

ولعله مما يرتبط بسيرة النبي ﷺ ما ترتبط به حياته في مكة موطنه ، ومنى موطن من مواطن الحج تستدعي ذكريات ابراهيم الخليل عليه السلام ...

في بحث لأحد المهندسين المصريين بجريدة الاهرام أثبت أن مكة المكرمة تقع تماما في مركز دائرة العالم وحسب هذا بحسابات رياضية فإذا أضفنا إلى ذلك

الجبال تكتنف مكة بحيث تجعل لها جوا دافئا على مدار السنة لا يؤذى المحرمين للحج أو العمرة كان ذلك من آيات الله عز وجل يضاف إليها هذا البئر « زمزم » الذي مازال يتدفق بالماء وسط هذه البقعة الحارة الجرداء .

أما منى فهي واد تحيطه الجبال من كل جوانبه وأرضه لاتنبت أبدا مهما عوملت بالمعاملات الكيماوية وفي هذا آية من آيات الله عز وجل لأن مثل هذه التربة تحفظ توازن الحرارة فهي ترد الحرارة النهارية بالليل بحيث يصبح أعلى الطبقات فيها وأسفلها دافئا فلا يسمح بتلوث البيئة ، ثم ان وضع الجبال يسمح بتنقية أي تلوث هوائى وذلك أن الهواء يمر بين الفرجات التى بين الجبال بعضها وبعض .

أما إذا بنيت أبنية فانها تمتص الحرارة فتبرد المنطقة ليلا مما يسمح بالتلوث البيئى الذي يضاف إليه تلوث من أزيز الطائرات وأصوات السيارات .

* * *

النشيد فى الاسلام

فى السيرة النبوية مواقف سمع فيها النبى ﷺ للنشيد الوجدانى ، وشارك فيه بالترديد .. منه مايمكن تسميته بنشيد العمل مثل موقف بناء مسجد قباء وحفر الخندق ...

وحين مقدم النبى ﷺ إلى المدينة استقبلته بنشيدها الخالد : (طلع البدر علينا) :

* * *

السنة سنتان

سنة الرسول ﷺ سنتان :

سنة عادة كإنسان له عاداته الخاصة وذوقه الخاص من حب لمطعم معين أو

شرب معين ، أو لبس البياض . أو إرسال اللحية أو دهن الشعر ، أو السواك ،
أو ركوب الجمل ... الخ

وهي عادات تتبع ظروف الإنسان وتقاليده بيئته ومجتمع عصره وإلف الذوق
وعرفه .

السنة الثانية : سنة العبادة :

وفيه ضرورة اتباع الرسول ﷺ في العقيدة والعبادة مجملها ومفصلها ،
والأخلاق والمعاملات ، وهذا ما ينصب عليه حديث الرسول ﷺ : « من
رغب عن سنتي فليس مني » ...

وقوله سبحانه وتعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

وحفل التراث بمصادر أصيله تصور الرسول من هذين البعدين منها :

(أ) جوامع السيرة لابن حزم

ص ٦ : سيرة الرسول ﷺ صورة عليا من الكمال الإنساني تشغل بال
ابن حزم .

ص ٦ : مرجع لابن حزم طبع في مصر (مداواة النفوس وتهذيب
الأخلاق)

ص ٦ : في مرجع ابن حزم الفصل في الملل والنحل يرى أن سيرة الرسول
ﷺ معجزة في حد ذاتها وهي آية على صدقه فيما جاء به من المعجزة الكبرى
« القرآن » .

ص ٧ : موضوعان شغل بهما ابن حزم حينما تحدث عن الرسول ﷺ :
أعلام الرسول ، شمائله وأخلاقه لدلائلها على كماله الإنساني .

مصادر ابن حزم في السيرة :

من ص ٦ إلى ٨ واتكاؤه على سيرة ابن اسحق وبعض هذه المصادر
مفقود .

ص ٩ : قيمة سيرة ابن حزم أنه له رأي في تاريخ الأحداث وزمانها واعتمدت هذا الرأي. كثير من كتب السيرة بعده .

وأمثلة ذلك ما جاء في ص ٩ .

ص ١٠ : من مناهج ابن حزم في كتابة السيرة التحليل الدقيق للنص المنقول واختيار الرواية بعد فحصها والتثبت من صحتها وتصحيح الأوهام التي تنجم عن سرعة أو قلة التدقيق ومن هنا عبارات ابن حزم الدالة على الثقة والتثبت من مثل قوله (شك) و (لا بد) .

ص ١١، ١٢ : مثال لتنفس منهج ابن حزم الظاهري وهو أمر الرسول ﷺ لأصحابه بصلاة العصر في بني قريظة ، وحكم ابن حزم الفقهي وفق مذهب الظاهري .

ص ١٢، ١٣ : شواهد على نزاهة ابن حزم وردود زميلة على اتهام ابن حيان له بالتشيع لبني أمية ، اما إذا كان المقصود بني أمية في الاندلس فقد كانوا القائمين بالأمر في زمانه وأما بنو أمية في الشام فأدلة التاريخ ومن واقع كتابته عنهم على العكس من ذلك .

ص ١٣ : اتبع ابن حزم طريقة التلخيص باستبعاد الشعر والقصص وضم متفرقات الموضوع الواحد ، وهذه الطريقة سبقه إليها ابن قتيبة في المعارف وابن حبيب في المحبر .

ص ١٤ : أمثلة على النظرات الصائبة لابن حزم ونزاهته في الحكم التاريخي كان يري أن الامويين استعملوا من سب الصحابة بينما خالفهم العباسيون في ذلك .

ص ٢٢ : ألحق المحققان الرسائل الخمس لابن حزم بكتاب جوامع السيرة

١ - رسالة في القراءات المشهورة في الامصار .

٢ - رسالة في اسماء الصحابة رواة الحديث .

٣ - رسالة في تسمية من روي عنهم الفتيا .

٤ - فتوح الاسلام .

٥ - اسماء الخلفاء المهديين والأئمة أمراء المؤمنين .

(ب) كتاب الشفا بحقوق كلام المصطفى

للقاضي عياض

إذا كان ابن هشام يمثل بيئة الحجاز في سيرته التي تجمع بين التاريخ والأدب والنص الديني ، فإن الجاحظ المعتزلي قد رسم صورة للرسول عليه الصلاة والسلام .

وتعد أول صورة كلامية تعرض لشخصية الرسول عليه السلام وأقواله أما القاضي عياض الأشعري فقد عمل عن شخصية الرسول صورة كلامية في بيئة الأندلس التي تتعرض لهجمات المسيحيين في القرن السابع الهجري .

ومبحث القاضي عياض في الشفا يدور على أربعة محاور :

المحور الأول : حديث القرآن عن الرسول .

المحور الثاني : مايجب للرسول عليه الصلاة والسلام من حقوق على المسلمين .

المحور الثالث : وهو لب الكتاب ويستأثر باهتمام القاضي عياض ويتعرض لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام من جانبيها : جانب النبوة والجانب الإنساني .

المحور الرابع : يدور حول موقف الإسلام ممن يعادي الرسول ﷺ بالقول أو العمل ، ولاعجب أن يكون القاضي عياض الذي نشأ في بيئة الأندلس الفلسفية التي شرحت أرسطو ونقلته لأوروبا ممن يرسم صورة كلامية للرسول ولكن من منظور الأشاعرة ، وإذا كان

الجاحظ يمزج باقتدار بين الأدب والنص الديني والتحليل العقلي
ويغلب عنده جانب الكلام ، فان القاضي عياض عنده المحصول
الديني من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية وأحكام فقهية
أضخم مما لدي الجاحظ وان كان قد عالج تلك المادة الدينية
معالجة كلامية .

ابن قيم الجوزية والسيرة النبوية

ألف ابن قيم الجوزية في القرن الثامن الهجري وفي بواكير شبابه رائعته في
السيرة النبوية (زاد المعاد في هدى خير العباد)^(١) ونهج فيها منهجاً فريداً إذ
نسج من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ومن سير الصحابة ومن مجاميع
ودواوين الحديث النبوي وكتب المغازي

صمم سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فجاءت لا على نمط السير السابقة
بناء نظرياً لحمته وسداه السرد التاريخي وإنما جاءت بناء يمتزج فيه العلم بالفن ،
إذ هي صورة للرسول مرسومة بالاقوال متحركة بالمسلك والفعل لا تخطيء فيه
صورة الرسول البشر ، وصورة الرسول النبي وكانت مادة السيرة ، المادة
التاريخية الوثيقة والنص القرآني ، والحديث النبوي وتطلع من هذه السيرة
لشخصية الرسول المثال الذي قوله وفعله وخلقه القرآن ، السيرة هنا ترجمة
عملية للمبادئ الإسلامية ، والفقه الإسلامي معروض عرضاً حسناً من خلال
قول الرسول أو فعله أو إقراره ، وتشرح السيرة كل صغيرة أو كبيرة من
تفصيلات ودقائق حياة رسولنا العظيم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام
ولعلنا نختار من هذه السيرة نصوصاً تكفي في الإشارة والدلالة على ما نقول :

(١) تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرئؤوط ط مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية من ص

١٨٢ - ١٨٦

(١٣٠٢) في الحج : باب تفضيل الخلق على التقصير من حديث أبي هريرة وأخرجه مسلم

(١٣٠٣) من حديث أم الحصين .

فصل

في هديه ﷺ في كلامه وسكوته وضحكه وبكائه

كان ﷺ أفضح خلق الله ، وأعذبهم كلاماً ، وأسرعهم أداء ، وأحلامهم منطقاً ، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ، ويسبي الأرواح ، ويشهد له بذلك أعداؤه . وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ، ليس بهذ مسرع لا يحفظ ، ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام ، بل هديه فيه أكمل الهدي ، قالت عائشة : ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه^(١) . وكان كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه ، وكان إذا سلم سلم ثلاثاً . وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ، يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلام ، فصل لا فضول ولا تقصير ، وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، وإذا كره الشيء : عرّف في وجهه ، ولم يكن فاحشاً ، ولا متفحشاً ولا ضحاًباً . وكان جلُّ ضحكه التبسم ، بل كله التبسم ، فكان نهاية ضحكه أن تبدو تواجده .

وكان يضحك مما يضحك منه ، وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب وقوعه ويدهش منه .

وللضحك أسباب عديدة ، هذا أحدها . والثاني : ضحك الفرح ، وهو أن يرى ما يسره أو يباشره . الثالث : ضحك الغضب ، وهو كثيراً ما يعتري الغضبان إذا غضبه ، وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب ، وشعور نفسه بالقدرة على خصمه ، وأنه في قبضته ، وقد يكون ضحكه لملكه نفسه عند الغضب وإعراضه عن أغضبه ، وعدم اكترائه به .

(١) أخرجه الترمذي في « الجامع » (٣٦٤٣) والشمائل (٢٢٣) وسنده حسن ، وأخرجه البخاري

٤٢٣/٦ . ومسلم (٢٤٩٣) مختصراً بلفظ لم يكن ﷺ يسرد الحديث كسردكم وزاد الاسماعيلي

« إنما كان حديث رسول الله فصلاً فهم تفهمه القلوب . »

وأما بكاءه ﷺ ، فكان من جنس ضحكته ، لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكته بقهقهة ، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملًا ، ويُسمع لصدده أزيز . وكان تارة رحمة للميت ، وتارة خوفاً على أمته وشفقة عليها ، وتارة من خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن ، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال ، مصاحب للخوف والخشية . ولما مات ابنه إبراهيم ، دمت عيناه وبكى رحمة له ، وقال : « تَذْمَعُ الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وَإِنَّا يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ »^(١) . وبكى لما شاهد إحدى بناته وَتَفْسُهَا تَفِيضُ ، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة (النساء) وانتهى فيها إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾^(٢) [النساء : ٢١] وبكى لما مات عثمان بن مظعون ، وبكى لما كَسَفَتِ الشَّمْسُ ، وصلى صلاة الكسوف ، وجعل يبكي في صلاته ، وجعل ينفخ ، ويقول : « رَبِّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَلَّا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ »^(٣) وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته^(٤)

(١) أخرجه البخاري ١٣٩/٣ ، ١٤٠ في الجنائز : باب قول النبي ﷺ انابك لحزونون ، ومسلم (٢٣١٥) في الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ، وأبو داود (٣١٢٦) في الجنائز : باب في البكاء على الميت ، وأحمد في « المسند » ١٩٤/٣ من حديث أنس .

(٢) أخرجه البخاري ١٨٨/٨ ، ١٨٩ و ٨١/٩ ، ومسلم (٨٠٠) عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي النبي ﷺ اقرأ علي ، قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه ، فإذا عيناه تذرفان .

(٣) رواه أبو داود (١١٩٤) في الصلاة : باب من قال يركع ركعتين ، والنسائي ١٣٧/٣ ، ١٣٨ في صلاة الكسوف ، وأحمد في « المسند » ١٥٩/٢ و ١٨٨ ، والترمذي في « الشمائل » (٣١٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، وسنده صحيح ، لأن عطاء بن السائب قد رواه عنه شعبة في الرواية الثانية لأحمد وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط .

(٤) أخرجه البخاري ١٦٧/٣ في الجنائز : باب من يدخل قبر المرأة عن أنس قال : شهدنا بنتاً للنبي ﷺ قال : ورسول الله جالس على القبر ، قال : فرأيت عينيه تدمعان ، قال : فقال : هل منكم رجل لم يقارف الليلة ، فقال أبو طلحة : أنا ، قال : فانزل ، قال : فنزل في قبرها . وفي هذا الحديث مشروعيه إشار البعيد عن الملاذ في مواراة الميت ولو كان امرأة على الأب والزوج .

وَكَانَ يَبْكِي أحياناً في صلاة اللّيل .

وبكاء أنواع . أحدها : بكاء الرحمة ، والرقّة .

والثاني : بكاء الخوف والخشية

والثالث : بكاء المحبة والشوق .

والرابع : بكاء الفرح والسرور .

والخامس : بكاء الجَزَع مِن ورود المؤلّم وعدم احتماله .

والسادس : بكاء الحزن

والفرق بينه وبين بكاء الخوف ، أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه ، أو فوات محبوب . وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك ، والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن ، أن دمة السرور باردة ، والقلب فرحان ، ودمة الحزن حارة ، والقلب حزين ، ولهذا يقال لما يُفرح به : هو قُرّة عينٍ ، وأقرّ الله به عينه ، ولما يُحزن : هو سخينة العين ، وأسخن الله عينه به .

والسابع : بكاء الخور والضعف .

الثامن : بكاء النفاق ، وهو أن تدمع العين ، والقلب قاسٍ ، فيظهر صاحبه الخشوع ، وهو من أقسى الناس قلباً .

والتاسع : البكاء المستعار والمستأجر عليه . كبكاء النائحة بالأجرة ، فإنها كما قال عمر بن الخطاب : تبيع عبرتها ، وثبكي شَجْوَ غيرها .

والعاشر : بكاء الموافقة . وهو أن يرى الرجلُ الناس يبكون لأمر ورد عليهم ، فيبكي معهم ، ولا يدري لأي شيء يبكون ، ولكن يراهم يبكون ، فيبكي .

وما كان من ذلك دمعاً بلا صوت ، فهو بكى ، مقصور ، وما كان معه

صوت ، فهو بكاء ، ممدود على بناء الأصوات .

وقال الشاعر :

بَكَتْ غَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاءُهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ^(١)

وما كان منه مستدعى متكلفاً ، فهو التباكي ، وهو نوعان : محمود ، ومذموم ، فالمحمود ، أن يُستجلب لِرقة القلب ، ولخشية الله ، لا للرياء والسُّمعة . والمذموم : أن يُجتلب لأجل الخلق ، وقد قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر : أخبرني ما يُيكيك يا رسول الله ؟ فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد تباكيت . لبكائك^(٢) ولم ينكر عليه ﷺ . وقد قال بعض السلف : ابكوا من خشية الله ، فإن لم تبكوا ، فتباكوا^(٣).

فصل

في هديه ﷺ في خطبته

خطب ﷺ على الأرض ، وعلى المنبر ، وعلى البعير ، وعلى الناقة .

وكان إذا خطب ، احمرَّت عيناه وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه مُنذرُ جيش يُقول : « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ » ويقول : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ

(١) البيت لحسان بن ثابت ، أو لعبد الله بن رواحة ، أو كعب بن مالك في السيرة ١٦٢/٢ ،

والكامل ١٨٩ ، و« المقتضب » ٢٩٢/٤ ، وشرح شواهد الشافعية ٦٦/٤ ، ومجالس ١٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦٣) ضمن حديث مطول في الجهاد : باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر .

(٣) وقد جاء في المرفوع ، ولكنه ضعيف ، فقد أخرج ابن ماجه (١٣٣٧) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً « إن هذا القرآن نزل ، فإذا قرأتموه ، فابكوا ، فإن لم تبكوا ، فتباكوا » وفي إسناده أبو رافع واسمه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف .

كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرَن^(١) يَتَنَ أَصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ »^(٢).

وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله . وأما قول كثير من الفقهاء : إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار ، وخطبة العيدين بالتكبير ، فليس معهم فيه سنة عن النبي ﷺ البتة ، وسنته تقتضي خلافة ، وهو افتتاح جميع الخطب بـ « الحمد لله » ، وهو أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب أحمد ، وهو اختيار شيخنا قدس الله سيره .

وكان يخطب قائماً . وفي مراسيل عطاء وغيره أنه كان ﷺ إذا صعد المنبر أقبل بوجهه على الناس ، ثم قال : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ »

* * *

٢ - كتاب أم النبي

للدكتورة عائشة

ويتضمن هذا الكتاب فصولاً عن :

(أ) البيئة العامة .

(ب) بيئة أم النبي الخاصة .

(ج) الأساطير والقصص التي نسجت حول آمنة بنت وهب هي تكوين

وجداني لشخصية أم النبي ﷺ .

(١) في النسخ المطبوعة : يفرق ، وهو صعب .

(٢) رواه مسلم (٨٦٧) في الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، والنسائي ١٨٨/٣ ، ١٨٩ في

الصلاة العيدين : باب كيف الخطبة ، وابن ماجه (٤٥) في المقدمة : باب اجتناب البدع والجدل

من حديث جابر بن عبد الله .

أنوثة وأمومة :

حرص العرب على كرم النسب وهذا يفسره كرامتهم للنساء - كرامة الأمومة عند العرب - طموح الأم ونصيبتها من عظمة بنيتها - إشارة المؤرخين بذكر المنجبات - انتساب بعض قبائل العرب إلى أمهاتهم - الشعراء يمدحون كبار الرجال بأمهاتهم - مشاركة المرأة في جليل الأحداث - حرص النساء على ذكر الامهات .

ومع ذلك كله فقد كان من العرب من حط من مكانه المرأة .

أمهات الانبياء :

لماذا قضت حكمة الله عز وجل أن يعهد بتربية اسماعيل وموسي وعيسي ومحمد عليهم الصلاة والسلام إلى أمهاتهم دون آبائهم ؟
(الأمومة في عاطفتها الجياشة وإيثارها الرائع أقرب إلى أن ترعى أصحاب الرسالات الدينية التي تقوم على الروحانية) .

دراسة البيئة ووراثة حتى ص ٦٩

(١) قصة تبع الحميري مع الكعبة ؟ والام تشير (نلاحظ فيها حرمة مكة أولا ثم مظاهر من هذا الصراع الذي كان بين عرب شمال الجزيرة العربية وجنوبها ، لاتزال آثاره باقية إلى اليوم) .

(٢) قصة أساف ونائلة .

(٣) حمل المتوكل حجارة من الكعبة ، حبا وإعظاما ودينا .

(٤) خدمة الكعبة نذر غالية تنذر له الامهات والآباء فلذات أكبادهم .

(٥) قتال حول البيت العتيق بين خزاعة وقصي (ص ٧٢ - ٧٤) ، ثم الوظائف الدينية التي كانت لمن ييدهم أمور الكعبة ص ٧٤/٧٥ .

(٦) الطقوس والمشاعر والمناسك .

(٧) محاولة هدم المكانة التي للكعبة داخل جزيرة العرب وخارجها .

(٨) المستشرقون وعجبهم بما للبيت العتيق من مكانة وهو في بيئة غير ذات مطمع (وصف بودلى) .

ثم لماذا انعقد هذا الفصل ، هذه هي البيئة الخاصة التي نشأت فيها أم النبي بعد حديث المؤنفة عن البيئة العامة في جزيرة العرب أملت فيها بمنزلة المرأة عموما ثم تطرقت إلى ذكر امهات الانبياء لتعود إلى البيئة الخاصة لأم النبي ﷺ .

ومن مباحثها فيها :

بنو زهرة :

منزلة أسرة أم الرسول :

١ - زهرة : رجل أم امرأة ؟ من بنو الجدره ؟

إلى من انضمت بنو زهرة ؟

(عبد مناف) - حلف المضيين والاحلاف .

حلف الفضول (وأهمية هذا الحلف ؟ قيمته لذاته - ثم مايروى أن الرسول

شاهده .

أصالة آمنة من ناحية الأب والأم معا .

فصل :

زهرة قريش :

(أ) فتاة زهرة :

لماذا لايتين الرواة ملاحها أو يجروون على رسم صورتها ؟

(ب) نبالتها :

تلاقى آمنة وعبد الله في صباهما - ثم الحجاب حين تناب كل منهما - مع

تحجبها فاح عطر .

والكتاب يثير موضوعات من مثل :

١ - موقف المؤلفة والمستشرقين :

مثلا في مسألة الحوامل - والاحلام .

٢ - كيف استخدمت المؤلفة عنصر العاطفة في تكوين السيرة .

* حدث خطير يحدث بمكة والرسول ﷺ جنين في بطن أمه ، لقاء
أبرهة لأمر مكة عبد المطلب .

من عجيب المواقف في سيرة الرسول ﷺ أن يموت أبنائه وبناته في
حياته ، اللهم إلا فاطمة رضي الله عنها فقد ماتت بعد أبيها بستة أشهر ، وكأن
إرادة الله عز وجل شاءت أن لا يرث النبي وارث ذكرا أو انثى في رسالته .
وانه للقيمة العليا في الإيمان أن يمتحن صبر الرسول ﷺ وقوة إيمانه بفقد
أحبائه بنين وبنات ..

وصدق سبحانه : « وبشر الصابرين » .

وفي العصر الحديث ظهرت وفرة من الدراسات عن الرسول من زوايا
متعددة منها

(أ) محمد رسول الله

تأليف مولاي محمد علي

ترجمه عن الانجليزية مصطفى فهمي ، وعبد الحميد جودة السحار ، مؤلف
الكتاب رئيس الرابطة الأحمديّة ، وهي جماعة كانت تنشر الاسلام وتدعو له في
الهند التي كانت تشمل آنذ الهند الحالية وباكستان وبنغلاديش وأفغانستان .

وأراد بالكتاب العرض لسيرة الرسول ﷺ عرضا تاريخيا مناقشا مادار
حول السيرة من أعداء الاسلام .

(ب) (ثورة الإسلام وبطل الأنبياء)

للاستاذ محمد لطفي جمعه

كتاب صدر منذ عشرين عاما ولكن يبدو أن زمن تأليفه أبعد من ذلك ،
وهو فيما يزيد عن ألف صفحة وفي عشرة فصول .

بدأها بفصل عن جزيرة العرب ، وآخر عن مكة ، وتتوالى الفصول وفيها
يرفض المؤلف ما لا يقبله عقله مما يظنه موضوعا على السيرة كقصة شق الصدر
مثلا .

ويبدو دفاعه عما يوجه للإسلام ولنبيه ﷺ من عنوان الكتاب ، فينقل
مثلا قول الجاحظ دفاعا ضد الدهري الذي ذكر أن الاسلام يجرف بالنار
لا بالثلج .

ويبدو لي هذا الكتاب دائرا في مجال الكتب التي تبحث عن قيم الإسلام
ومعاني البطولة متمثلة في الرسول ﷺ .

(ج) الرسول والصحابة

لخالد محمد خالد عن رجال حول الرسول
ولجودة السحار محمد والذين معه

والمحاولتان تجريان في مجري واحد ، فهما انعكاسات خلق الرسول ﷺ
بخاصة ، والخلق الإسلامي بعامة في هؤلاء الصحابة الذين وصفهم الرسول

ﷺ بقوله : (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) ...

والمحاولة وان لم تكن صريحة في الكشف عن هذا الهدف العميق محاولة قديمة
أن من قام بها مؤرخون كابن سعد وكتب الاستيعاب وأسد الغابة ، الخ .

(د) الرسول في القرآن الكريم

لدكتور محمود بن الشريف :

يقول المؤلف عن بحثه إنه ومضات .

والموضوع يحتاج إلى منهج وتعمق ليكتمل ويعطى حقه من الدرس

يبدأ المؤلف بالحديث عن الوحي كما تؤذن به آية (اقرأ)

ثم مرحلة الدعوة (قم فأنذر) .

ثم حث على الصبر وعدم الحزن

كما تلقاه

(فاصبر لحكم ربك)

(ومن كفر فلا يحزنك كفره)

ثم مرحلة ظواهر لاختبار إيمان المؤمنين كالإسراء والمعراج والقبلة والأذان
والصلاة .

(هـ) محمد

لمحمد صبيح

منذ نحو أربعين سنة صدر هذا الكتاب وكان يسمى كتاب الشهر ثم توالى
طبعااته نحو عشر طبعاات أحيانا في أربعة أجزاء وأخرى في جزئين .

والكتاب يهتم بتفاصيل بيئة الرسول كسريره ﷺ ، ووصف بيت الرسول وزوجه خديجة في مكة .

وهو إلى هذا يهتم باستخراج القيم الاسلامية من غزوات الرسول ﷺ .
الكتاب في رأي يحاول ضم كل ما عرف عن الرسول ﷺ وعرضه عرضا عصريا ، لكن الكتاب لم يذع مع روعته .

(و) الرسول في بيته

للدكتور عبد الوهاب حموده

كتيب صغير يعرض للرسول ﷺ حين تزوج في مكة وهو في الخامسة والعشرين من خديجة رضى الله عنها وأسس أول بيت له بمكة ، رزق أربعة بنات : « زينب ، وأم كلثوم ، ورقية وفاطمة » ، ومات له منها « عبد الله والقاسم » ، وظل فيها حتى توفيت رضى الله عنها وهو في الثالثة والخمسين فتزوج بعدها بمكة (سودة بنت زمعة) ثم في السنة السابعة نقلها معه إلى المدينة ومعها بناته وأسامه وعلى وحاضنته أم أيمن .

وتزوج السيدة عائشة وأفرد لها بيتا بالمدينة .

كما أهداه المقوقس مارية فأفرد لها بيتا كذلك بالمدينة .

ومن الخامسة والخمسين وحتى الستين توالى زيجات الرسول ﷺ وبعدها لم يتزوج .

أما أكله ﷺ فدستوره : « ثلثا للطعام وثلثا للشراب ، وثلثا للنفس » .

ولم يكن ﷺ يتوسع في ملبسه ، وينام على حشوة ليف .

(ز) دراسات آخر

١ - من الحق على أن أشير إلى بحث واحدة من بناتي النابهات الدكتورة الزهراء بدوى الغنام والذي تقدمت به لنيل درجة الماجستير فى الأدب بعنوان [شخصية الرسول محمد فى النثر الأدبى العربى المعاصر] وبرزت فيه محددات الشخصية فى الدراسات الإنسانية وكذلك من تناولوا شخصية الرسول فى التراث . (مهد لدراسات المحدثين من المبدعين الأدباء ، دكتور هيكل ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم وطه حسين وعبد الرحمن الشرقاوى) وخلصت إلى أن شخصية الرسول فى تحديدات علماء النفس والاجتماع تدخل فى نموذجها الأعلى وكانت يبعديها الإنسانى والدينى تتخطى فى إعجاز كل تلك المحددات ولعل من الدراسات الرائده ما نشرته الجمعية الأدبية المصرية للأستاذ فاروق خورشيد والدكتور أحمد كمال زكى بعنوان (محمد فى الأدب المعاصر) اختص فى البحث فيه عن الشعر الدكتور أحمد كمال زكى وبالدراسات النثرية الأستاذ فاروق خورشيد وهى تجمع بين منهجية وموضوعية الدرس الأكاديمى وحيوية الفن فى التدقيق واسلوب التناول .

٢ - ثم ان تلك الشخصية فى الإبداع الأدبى عند القدماء أو المحدثين فوق كل الأطر الفنية وأن أسلوب معالجة الشخصية ، وتصورها يعكس فى الوقت عينه ثقافة المبدع وطاقته الفنية ، بل وصورة العصر .

ثانيا :
الصحابة

السيرة النبوية وفن الترجمة للصحابة

ان ما تركز في الشمس المضيئة (محمد ﷺ) من نور تفرق سناه في صحابته ، فكان لكل منهم قيمة اسلامية التي يهب الله عز وجل من فضله من يشاء منهم فضل عطاء تدل على خصوصية صاحبها بها .

على كل حال فان مانعرفه من درس طبقات الصحابة كان تفرعاً على الأصل وهو السيرة النبوية .

فيؤلف ابن سعد « الطبقات الكبرى في الصحابة »^(١).

وأما مؤلف ابن الاثير الجزري فهو (أسد الغابة في معرفة الصحابة)^(٢)

وفي القرن الثامن يؤلف ابن حجر العسقلاني (الإصابة في تمييز الصحابة)^(٣).

وفيما يلي نُطيف بمعالم هذه المصادر ونوضح مناهجها بالترجمة للصحابة :

(أ) الطبقات الكبرى لابن سعد

وفي تعريف دار النشر للكتاب تقول :

لم تظهر للكتاب طبعة كاملة محققة إلا تلك التي أصدرها المستشرقون الألمان خلال أربعة عشر عاماً امتدت من عام ١٩٠٤ إلى عام ١٩١٨ . ولم تظهر له طبعة أخرى عربية كاملة إلى الآن ، وإن كانت قد ظهرت أخيراً طبعة في بيروت تعتمد - مثل الطبعة الحالية - على تلك المحاولة القديمة .

وقد حرص كتاب التحرير على أن يحتفظ بالخصائص الأساسية لهذه الطبعة

(١) ط دار التحرير بالقاهرة ١٩٦٨ م من مقدمة .

(٢) نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ

(٣) الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ . وبها مشهاً لاستيعاب وهو أسبق زمنياً وابن الاثير وابن حجر معا .

القديمة لأنها ظلت إلى أمد طويل المرجع الوحيد للقراء والباحث ، وإليها كانت جميع الإحالات والمراجعات في معظم ماكتب من بحوث ودراسات . ولهذا حرصنا على أن نحتفظ بالاشارة إلى السطور وإلى الصفحات في الطبعة القديمة وأن نلجأ إلى الدكتور محمد عوفى عبد الرؤوف ، وهو من كبار المتخصصين في اللغات السامية والمعلمين للغة الألمانية ، لترجمة جميع الشروح والتعليقات والمقدمات التى كتبها المستشرقون الألمان . وكتاب التحرير يرجو بذلك أن تكون طبعته الجديدة نقطة بداية لمزيد من البحث والتحقيق الذى يقوم به المتخصصون من علمائنا وبحاثنا . وسوف تنشر هذه التعليقات في نهاية كل جزء من الأجزاء الثمانية التى يتكون منها الكتاب .

وإذا كانت الطبعة الألمانية القديمة قد حظيت - كما هو معروف - باشتراك الإمام الكبير الشيخ محمد عبده في تحقيق نصها كما سيظهر في التعليقات والهوامش ، فإن طبعة كتاب التحرير قد شرفت بأن يكتب مقدمتها وأن يرحب بها مع حلول شهر رمضان المبارك فضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الجامع الأزهر .

ويقول الشيخ حسن مأمون في مقدمته إنه كتاب من الكتب الجامعة التى تعتبر - بحق - موسوعة تاريخية عظيمة ومرجعاً للمحدثين والاختباريين والنسائين ومصدراً من المصادر القديمة الهامة لسيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه وأخبار الصحابة وتاريخهم وأحوال العرب وعاداتهم حتى عصر محمد بن عبد الله بن سعد صاحب الطبقات الكبرى التى تشرف بتقديمها .

وطبقات ابن سعد عمل ضخم متنوع الثقافة ، شملت أكثر ما كتبه الواقدي الذى قيل عنه « محمد بن عمر الواقدي عالم دهره » وكان الإمام مالك يسأله إذا أشكل عليه أمر .

وطبقات ابن سعد لم تسبق - فى علمنا إلا بطبقات أستاذة الواقدي ، وكان أبو عبد الله محمد بن سعد كاتباً له حتى لقب بكاتب الواقدي

وابن سعد يخصص جزءين من طبقاته لسيرة رسول الله ﷺ مضيفاً إلى ذلك فصلاً عن الذين كانوا يفتون فى المدينة على عهد رسول الله ﷺ وباقي

أجزاء الكتاب ترجمة للصحابة والتابعين رضى الله عنهم . والجزء الأخير من كتابه خصصه للنساء . وقد رتب بين الصحابة رضى الله عنهم على أساس سبق إلى الإسلام وحضور بدر الكبرى ، بدأ بالمهاجرين البدرين ثم بالأنصار البدرين ، ثم بمن سبق إلى الإسلام ولم يشهد بدرا ولكنه هاجر إلى الحبشة أو شهد غزوة أحد ثم من أسلم قبل فتح مكة .

وليتصور القراء معنا مدى ما بذله ابن سعد من جهد في الطبقات وما قدمته طبقاته للأجيال المتعاقبة من بعده ، نقرأ ما جاء في الرياض المستطابة عن الحافظ أبى زرعة ، فقد سئل أبو زرعة عن جملة حديث رسول الله ﷺ فقال : ومن يحصيه ؟... قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من أصحابه ممن روى عنه وسمع ، فقليل له : هؤلاء أين كانوا وأين سمعوا ؟ قال : أهل المدينة ومكة وما بينهما ومن الأعراب ومن شهد معه حجة الوداع كل رآه وسمع منه .

ثم ذكر المحدثون أنهم ينقسمون إلى ثنتى عشرة طبقة : الأولى قدماء السابقين الذين أسلموا بمكة كالخلفاء الأربعة ، ثم أصحاب دار الندوة ، ثم مهاجرة الحبشة ، ثم أصحاب العقبة الأولى ، ثم الثانية ، ثم المهاجرون الأولون بين بدر والحديبية ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم من هاجر بين الحديبية وفتح مكة ، ثم مسلمة الفتح ، ثم الصبيان والأطفال الذين رأوا رسول الله ﷺ في الفتح وفي حجة الوداع .

ومن هنا ندرك ضخامة العمل الذى قام به ابن سعد والذى يقدم اليوم لقراء العرب . ولقد عنى المؤلفون بطبقات ابن سعد لأهميتها وصلتها بحديث رسول الله ﷺ ورجاله وبالرواة وأسانيدهم ، واختصر السيوطى الطبقات فى كتاب سماه : إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد .

وظهرت آثار طبقات ابن سعد فى أولئك الذين ألفوا فى الطبقات من بعده . واعتمد عليه كثير من كتاب التاريخ العربى والإسلامى وكتاب السيرة ورجال الحديث ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر : تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ الإسلام للذهبي ، وإمتاع الأسماع للمقرئى ، كما اعتمده ابن

حجر في « الإصابة » و« تهذيب التهذيب » . وابن سعد في طبقاته ليس رواية لحادثة مؤرخاً لها فحسب ، ولكنه ناقد كذلك فهو يروى ما يرويه ثم يتبعه ببيان ما يراه من الوجه الصحيح عنده ، فمثلاً يروى رواية تفيد أن النبي ﷺ بكى عند قبر أمه لما فتح مكة ، ثم يقول : وهذا غلط وليس قبرها بمكة وقبرها بالأبواء .

ويذكر لبعض الرواة أن والد رسول الله ﷺ توفي بعد ما أتى على الرسول ثمانية وعشرون شهراً ويقال سبعة أشهر ، ثم يعلق على ذلك بقوله : والأثبت أنه توفي ورسول الله ﷺ حمل . ولعله لما تشتمل عليه طبقات ابن سعد من أمور شتى تتعلق بحياة العرب والمسلمين فقد عنى بها جماعة من الألمان فنشروها كما أعيد طبعها في بيروت .

وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ليس كتاباً يقدم للقراء إنما هو كنز من المعرفة لا ينصب ، يجد فيه الباحث عن حياة رسول الله ﷺ ، عن سيرته وعن خلقه وعن الهدف من رسالته ، وحسبه أن يقرأ ما كتب عنه في التوراة فقد قال عنه كعب الأحبار : « إن نعت محمد رسول الله ﷺ في التوراة : محمد عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكنه يعفو ويغفر ، مولده بمكة ومهاجره بالمدينة وملكه بالشام » .

ويقول عنه عبد الله بن سلام : « إن صفة رسول الله ﷺ في التوراة : يأبىها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالأسواق ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة المتعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فسيفتح به أعينا عمياً ، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً » .

وعن قتادة قال : بلغنا أن نعت رسول الله ﷺ في بعض الكتب « محمد رسول الله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ، أمتة الحمادون على كل حال » .

إن كتاب الطبقات الذى أسعدنا كثيراً أن نقدمه إنما هو كما قلنا موسوعة جامعة ومعين فياض يفترف منه ذو المعرفة وأصحاب الأقلام ليقدموا للناس

أروع ما يجب أن يحتذى به من خلق رسول الله وصحابته وخلفائه الراشدين ومن سلك مسلكهم ونهج نهجهم . وحسبنا في هذا المقام أن نلمح إلى مثل هذه الأمثلة فنذكر مآثره للإمام الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سجلتها طبقات ابن سعد نبراسا لمن ولي حكم المسلمين وإمامتهم .

يقول ابن سعد فيما يرويه : كان أول ما أنكر من عمر بن عبد العزيز أنه لما دفن سليمان بن عبد الملك أتى بدابة سليمان التي كان يركب فلم يركبها ، وركب دابته التي جاء عليها ، ثم خرج إلى المسجد فصعد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد الكتاب الذي أنزل عليه كتاب ، إلا أن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة ، ألا إني لست بقاض ولكني منفذ ، ألا إني لست بمبتدع ولكني متبع ، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله ، ألا إني لست بخيركم ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملاً » .

وعن عبد الله بن واقد قال : « إن آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس الحقوا ببلاكم فإني أذكركم في بلادكم وأنساكم عندي ، ألا وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له على ، والله لئن منعت هذا المال نفسي وأهلي ثم بخلت به عليكم إني إذا لضمنين ، والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا » .

وطبقات ابن سعد ليست تاريخاً فقط لحياة رسول الله ﷺ للقرنين الأولين من تاريخ الإسلام ، إنما هي فوق ذلك كله سجل حافل بالأحاديث النبوية والأحكام الفقهية وكثير من الأمور الاجتماعية المتعلقة بالبيت والسوق والمهن والتجارة وشتى الثقافات .

ولغة ابن سعد في طبقاته سهلة جزلة يفيد منها الخاص والعام . وإنا لنبتهل إلى الله سبحانه - ونحن نقدم لهذا الكتاب العظيم - أن يجزي مؤلفه خير الجزاء بمقدار ما حفظ للأمة العربية والإسلامية من هذا التراث الخالد على الزمن .

كما نسأله سبحانه أن يوفق القائمين على طبع هذا الكتاب إلى سبيل الهدى

والرشاد ، وأن يجزيهم الجزاء الأوفى على ماسبقدمونه من بين يدي شبابنا طلاب المعرفة وهواة القراءة ليقفوا على هدى السنة النبوية ، ويعرفوا تاريخ الأمة العربية فيضربوا صفحاً عن غث القراءات وهزيل الروايات ، ويعضوا على مجد هذه الأمة بالنواجذ ويفهموا لماذا يقول الرسول ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » .

ولقد كان من يمن الطالع ومن توفيق الله للقائمين على دار التحرير وجريدة الجمهورية أن يقدموا لمصر وللعالم الإسلامى طبقات ابن سعد مع مطلع هلال رمضان شهر القرآن شهر العلم والمعرفة ليتدارسوه فى رمضان ليكون لهم من سيرة رسول الله العطرة وتاريخ الصحابة والتابعين من بعده خير زاد يمدهم بالقوة الدافقة التى يستعينون بها فى صراعهم مع الحياة .

وما أشد حاجة العرب والمسلمين اليوم ، وفى هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا وفى كفاحنا المرير مع أعدائنا ، أعداء الخير أعداء الإنسانية ، أن نعرف تاريخ أمتنا ومجد أسلافنا ، لنسير على الدرب الذى ساروا ونسلك الطريق الذى سلكوا « فإن هذه الأمة لاتصلح إلا بما صلح به أولها » : « وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

إن طبقات ابن سعد تقدم لنا أروع النماذج عن رسول الله وصحابته ومن نهج نهجهم على هديهم ، ونحن أحوج مانكون حاكمين ومحكومين قادة وشعوباً أفراداً وجماعات إلى هذه المثل الطيبة لتكون مصابيح هداية على طريق كفاحنا ومجدنا وعزنا ، ولنعرف كيف انتصر عباد الرحمن على جنود الشر وحلفاء الشيطان ، ثم كيف شيدوا بنيان هذه الأمة على الحق والخير والفضيلة ، فنعمل كما عملوا حتى نعيد البنيان شامخاً قوياً مؤسساً على تقوى من الله ورضوان .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .
والله ولى التوفيق .

(ب) أسد الغابة في معرفة الصحابة

قال الشيخ الامام العالم الحافظ البارع الأوحد بقية السلف عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير رضى الله عنه (الحمد لله) الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والحمد لله المنزه عن أن يكون له نظراء واشباه المقدس فلا تقرب الحوادث حماه الذى اختار الإسلام ديناً وارتضاه فأرسل به محمداً صلى الله عليه وسلم واصطفاه وجعل له أصحاباً فاختار كلا منهم لصحبته واجتباها وجعلهم كالنجوم بأيهم اقتدى الإنسان اهتدى إلى الحق واقتفاه فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة توجب لهم رضاه أحمداه على نعمه كلها حمداً يقتضى الزيادة من نعمه ويجزل لنا النصيب من قسمه (أما بعد) فلا علم أشرف من علم الشريعة فإنه يحصل به شرف الدنيا والآخرة فمن تحلى به فقد فاز بالصفقة الراجحة والمنزلة الرفيعة الفاخرة ومن عرى منه فقد حظى بالكرة الخاسرة * والاصل فى هذا العلم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فأما الكتاب العزيز فهو متواتر مجمع عليه غير محتاج إلى ذكر أحوال ناقله وأما سنة رسول الله ﷺ فهى التى تحتاج إلى شرح أحوال رواتها وأخبارهم (وأول رواتها) أصحاب رسول الله ﷺ ولم يضبطوا ولا حفظوا فى عصرهم كما فعل بمن بعدهم من علماء التابعين وغيرهم إلى زماننا هذا لانهم كانوا مقبنين على نصرته الدين وجهاد الكافرين إذ كان المهم الأعظم فان الاسلام كان ضعيفاً وأهله قليلون فكان أحدهم يشغله جهاده ومجاهدة نفسه فى عباداته عن النظر فى معيشته والتفرغ . ولم يكن فيهم أيضاً من يعرف الخط الا النفر اليسير ولو حفظوا ذلك الزمان لكانوا أضعاف من ذكره العلماء ولهذا اختلف العلماء فى كثير منهم (فمنهم) من جعله بعض العلماء من الصحابة ومنهم من لم يجعله فيهم ومعرفة أمورهم وأحوالهم وأنسابهم وسيرتهم مهم فى الدين ولا خفاء على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن من تبوأ الدار والإيمان من المهاجرين والانصار والسابقين إلى الاسلام والتابعين لهم باحسان الذين شهدوا الرسول ﷺ وسمعوا كلامه وشاهدوا أحواله ونقلوا ذلك إلى من بعدهم من الرجال والنساء من الأحرار

والعبيد والاماء أولى بالضبط والحفظ وهم الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون بتزكية الله سبحانه وتعالى لهم وثنائه عليهم ولأن السنن التي عليها مدار تفصيل الاحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من أمور الدين إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدھا ورواتها وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله ﷺ فإذا جهلهم الانسان كان بغيرهم أشد جهلا وأعظم انكارا فينبغي أن يعرفوا بانسابهم وأحوالهم هم وغيرهم من الرواة حتى يصح العمل بما رواه الثقات منهم وتقوم به الحجة فان المجهول لاتصح روايته ولاينبغي العمل بما رواه الصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك الا في الجرح والتعديل فإنهم كلهم عدول لايتطرق اليهم الجرح لان الله عز وجل ورسوله زكياهم وعدلاهم وذلك مشهور ولا يحتاج لذكره ويحيى كثير منه في كتابنا هذا فلا نطول به ههنا (وقد جمع الناس) في أسمائهم كتبا كثيرة ومنهم من ذكر كثيرا من أسمائهم في كتب الأنساب والمغازي وغير ذلك واختلقت مقاصدهم فيها إلا أن الذي انتهى إليه جمع أسمائهم الحافظان أبو عبد الله بن منده وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهانيان والامام أبو عمر بن عبد البر القرطبي رضي الله عنهم وأجزل ثوابهم وحمد سعيهم وعظم أجرهم وأكرم ما بهم فلقد أحسنوا فيما جمعوا وبذلوا جهدهم وأبقوا بعدهم ذكرا جميلا فالله تعالى يثيبهم أجرا جزيلا فإنهم جمعوا ماتفرق منه (فلما نظرت) فيها رأيت كلا منهم قد سلك في جمعه طريقا غير طريق الآخر وقد ذكر بعضهم أسماء لم يذكرها صاحبه وقد أتى بعدهم الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى الاصفهاني فاستدرك على ابن منده مافاتة في كتابه فجاء تصنيفه كبيرا نحو ثلثي كتب ابن منده فرأيت ان أجمع بين هذه الكتب وأضيف إليها ما شذ عنها مما استدركه أبو علي الغساني على أبي عمر بن عبد البر وكذلك أيضا ما استدركه عليه آخرون وغير من ذكرنا فلا نطول بتعداد أسمائهم ههنا ورأيت ابن منده وأبا نعيم وأبا موسى عندهم أسماء ليست عند ابن البر وعند ابن عبد البر أسماء ليست عندهم (فعزمت) أن أجمع بين كتبهم الاربعة وكانت العوائق تمنع والاعذار تصد عنه وكنت حينئذ ببلدى وفي وطنى وعندى كتبى وما أراجعه من أصول سماعاتى وما أنقل منه فلم يتيسر ذلك لصداق الدنيا وشواغلها فاتفق

انى سافرت إلى البلاد الشامية عازما على زيارة البيت المقدس جملة الله سبحانه وتعالى دارا للإسلام أبدا فلما دخلتها اجتمع لى جماعة من أعيان المحدثين ومن يعتنى بالحفظ والإتقان فكان فيما قالوه اننا نرى كثيرا من العلماء الذين جمعوا أسماء الصحابة يختلفون فى النسب والنسب والمجاهد التى شهدها صاحب إلى غير ذلك من أحوال الشخص ولا نعرف الحق فيه وحثوا عزمى على جمع كتاب لهم فى أسماء الصحابة رضى الله عنهم أستقصى فيه ماوصل إلى من أسمائهم وأبين فيه الحق فيما اختلفوا فيه وانه يهذى من يشاء إلى صراط مستقيم مع الاتيان بما ذكروه واستدراك ما فاتهم فاعتذرت اليهم بتعذر وصولى إلى كتبى وأصولى واننى بعيد الدار عنها ولا أرى النقل الا منها فألحوا فى الطلب فثار العزم الأول وتجدد عندى ما كنت أحدث به نفسى وشرعت فى جمعه والمبادأة إليه وسألت الله تعالى أن يوفقنى إلى الصواب فى القول والعمل وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم بمنه وكرمه واتفق ان جماعة كانوا قد سمعوا على أشياء بالموصل وساروا إلى الشام فنقلت منها أحاديث مسندة وغير ذلك ثم اننى عدت إلى الوطن بعد الفراغ منه وأردت أن أكثر الاسانيد وأخرج الاحاديث التى فيه بأسانيدھا فرأيت ذلك متعبا أحتاج أن أنقض كل ما جمعت فحملنى الكسل وحب الدعة والميل إلى الراحة إلى أن نقلت ماتدعو الضرورة إليه مما لا يخل بترتيب ولا يكثر إلى حد الاضجار والاملال (وانا اذكر كيفية وضع هذا الكتاب) ليعلم من يراه شرطنا وكيفيته والله المستعان (فأقول) انى جمعت بين هذه الكتب كما ذكرته قبل وعلمت على الاسم علامة ابن منده صورة دو علامة أبى نعيم صورة ع وعلامة ابن عبد البر صورة ب وعلامة أبى موسى صورة س فان كان الاسم عند الجميع عملت عليه جميع العلام وان كان عند بعضهم علمت عليه علامته وأذكر فى آخر كل ترجمة اسم من أخرجه وان قلت أخرجه الثلاثة فأعنى ابن منده وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البر فان العلام ربما تسقط من الكتابة وتنسى ولا أعنى بقولى أخرجه فلان وفلان أو الثلاثة أنهم أخرجوا جميع ماقلته فى ترجمته فلو نقلت كل ما قالوه لجاء الكتاب طويلا لأن كلامهم يتداخل ويخالف بعضهم البعض فى الشئ بعد الشئ وإنما أعنى أنهم أخرجوا الاسم ثم انى لا أقصر على ما قالوه وإنما أذكر ما قاله غيرهم من أهل

العلم وإذا ذكرت اسما ليس عليه علامة أحدهم فهو ليس في كتبهم ورأيت ابن منده وأبا نعيم قد أكثرا من الأحاديث والكلام عليها وذكرها عللها ولم يكثرا من ذكر نسب الشخص ولا ذكر شيء من أخباره وأحواله وما يعرف به ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشخص ومناقبه وكل ما يعرفه به حتى أنه يقول هو ابن أخى فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية وكان هذا هو المطلوب من التعريف أما ذكر الأحاديث وعللها وطرقها فهو يكتب الحديث أشبه إلا أنى نقلت من كلام كل واحد منهم أجوده وماتدعو الحاجة إليه طلبا للاختصار ولم أخل بترجمة واحدة من كتبهم جميعها بل أذكر الجميع حتى اننى أخرج الغلط كما ذكره المخرج له وأبين الحق والصواب فيه ان علمته إلا أن يكون أحدهم قد أعاد الترجمة بعينها فأتركها وأذكر ترجمة واحدة وأقول قد أخرجها فلان في موضعين من كتابه (وأما ترتيبه) ووضعه فأننى جعلته على حروف اب ت ث ولزمت في الاسم الحرف الاول والثاني والثالث وكذلك إلى آخر الاسم وكذلك أيضا في اسم الاب والجد ومن بعدهما والقبائل أيضا (مثاله) اننى أقدم أبانا على ابراهيم لان مابعد الباء في أبان ألف ومابعدا في ابراهيم راء وأقدم ابراهيم بن الحارث على ابراهيم بن خلادلان الحارث بحاء مهملة وخلاد بخاء معجمة وأقدم أبانا العبدى على أبان المحارى وكذلك أيضا فعلت في التعبيد فانى ألزم الحرف الأول بعد عبد وكذلك في الكنى فأننى ألزم الترتيب في الاسم الذى بعد أبوفانى أقدم أبا داود على أبى رافع وكذلك في الولاء فأننى أقدم أسود مولى زيد على أسود مولى عمرو (وإذا ذكر) الصحابى ولم ينسب إلى أب بل نسب إلى قبيلة فأننى أجعل القبيلة منزلة الاب (مثاله) زيد الانصارى أقدمه على زيد القرشى ولزمت الحروف في جميع أسماء القبائل * وقد ذكروا جماعة باسمائهم ولم ينبوهم إلى شيء فجعلت كل واحد منهم في آخر ترجمة الاسم الذى سمي به مثاله زيد غير منسوب جعلته في آخر من اسمه زيد وأقدم ماقلت حروفه على ماكثر مثاله أقدم الحارث على حراثة * وقد ذكر ابن منده وأبو نعيم وأبو موسى في آخر الرجال والنساء جماعة من الصحابة والصحابيات لم تعرف أسماؤهم فنسبوهم إلى آبائهم فقالوا بن فلان وإلى قبائلهم وإلى آبائهم وقالوا فلان عن عمه وفلان عن جده وعن خاله

وروى فلان عن رجل من الصحابة (فرتبهم) أولا بأن ابتدأت بابن فلان ثم بمن روى عن أبيه لأن مابعد الباء في ابن نون ومابعدھا في أبيه ياء ثم بمن روى عن جده ثم عن خاله ثم عن عمه لأن الجيم قبل الخاء وهما قبل العين ثم بمن نسب إلى قبيلة ثم بمن روى عن رجل من الصحابة (ثم رتبت) هؤلاء أيضا ترتيبا ثانيا فجعلت من روى عن ابن فلان مرتبين على الآباء مثاله ابن الأدرع أقدمه على الابن الاسقع وأقدمهما على ابن ثعلبة وأرتب من روى عن أبيه على أسماء الآباء مثاله ابراهيم عن أبيه أجعله قبل الاسود عن أبيه وجعلت من روى عن جده على أسماء الاحفاد مثاله أقدم جدا لصلت على جد طلحة وجعلت من روى عن خاله على أسماء أولاد الاخوات مثاله أقدم خال البراء على خال الحارث ومن روى عن عمه جعلتهم على أسماء أولاد الاخوة مثاله عم أنس مقدم على عم جبر ومن نسب إلى قبيلته ولم يعرف اسمه جعلتهم مرتبين على أسماء القبائل فأننى أقدم الأزدي على الخثعمي (وقد ذكروا) أيضا جماعة لم يعرفوا الا بصحبة رسول الله ﷺ (فرتبهم) على أسماء الراوين عنهم مثاله أنس بن مالك عن رجل من الصحابة أقدمه على ثابت بن السمط عن رجل من الصحابة وان عرفت في هذا جميعه اسم الصحابي ذكرت اسمه ليعرف ويطلب من موضعه (ورأيت جماعة) من المخدثين إذا وضعوا كتابا على الحروف يجعلون الاسم الذي أوله لامثل لاحق ولاشر في باب مفرد عن حرف اللام وجعلوه قبل الياء (فجعلتها) أنا من حرف اللام في باب اللام مع الالف فهو أصح وأجود وكذلك أفعل في النساء سواء وإذا كان أحد من الصحابة مشهور بالنسبة إلى غير أبيه ذكرته بذلك النسب كشر حجيل بن حسنه أذكره فيمن أول اسم أبيه حاء ثم أين اسم أبيه ومثل شريك بن السحماء وهي أمه أيضا أذكره فيمن أول اسم أبيه سين ثم أذكر اسم أبيه أفعل هذا قصداً للتقريب وتسهيل طلب الاسم وأذكر الاسماء على صورتها التي ينطق بها لا على أصولها مثل أحمر أذكره في الهمزة ولا أذكره في الخاء ومثل أسود في الهمزة أيضا ومثل عمار أذكره في عما ولا أذكره في عمهم لأن الحرف المشدد حرفان الأول منهما ساكن فعلته طلبا للتسهيل (وأقدم الاسم) في النسب على الكنية إذا اتفقا مثاله أقدم عبد الله بن ربيعة على عبد الله بن أبي ربيعة وأذكر الاسماء

المشتبهة في الخط وأضبطها بالكلام لئلا تلتبس فان كثيرا من الناس يغلطون فيها وان كانت النقبة التي ضبطها تعرف الاسم وتبينه ولكنى أزيده تسهيلا ووضوحا مثال ذلك سلمة في الأنصار بكسر اللام والنسبة إليه سلمى بالفتح في اللام والسين وأما سليم فهو ابن منصور من قيس عيلان وأشرح الالفاظ الغريبة التي ترد في حديث بعض المذكورين في آخر ترجمته وأذكر في الكتاب فصلا يتضمن ذكر الحوادث المشهورة للنبي ﷺ وأصحابه كالهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة وبيعة العقبة وكل حادثة قتل فيها أحد من الصحابة فان الحاجة تدعو إلى ذلك لانه يقال أسلم فلان قبل دخول رسول الله ﷺ دار الارقم أو وهو فيها وهاجر فلان إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدرا وشهد بيعة العقبة وبيعة الرضوان وقتل فلان في غزوة كذا أذكر ذلك مختصرا فليس كل الناس يعرفون ذلك ففيه زيادة كشف (وأذكر أيضا) فصلا أضمنه أسانيد الكتب التي كثر تخريجها منها لئلا أكرر الاسانيد في الاحاديث طلبا للاختصار (وقد ذكر) بعض مصنفى معارف الصحابة جماعة ممن كان في زمن النبي ﷺ ولم يره ولم يصحبه ساعة من نهار كالأحنف بن قيس وغيره ولاشبهة في ان الأحنف كان رجلا في حياة رسول الله ﷺ ولم يره ودليل انه كان رجلا في حياة رسول الله ﷺ قدومه على عمر بن الخطاب رضى الله عنه في وفد أهل البصرة وهو رجل من أعيانهم والقصة مشهورة الا انه لم يفد إلى النبي ﷺ ولم يصحبه فلا أعلم لم ذكروه وغيره ممن هذه حالة فان كانوا ذكروهم لانهم كانوا موجودين على عهد رسول الله ﷺ مسلمين فكان ينبغي أن يذكروا كل من أسلم في حياته ووصل اليهم اسمه لان الوفود في سنة تسع وسنة عشر قدموا على رسول الله ﷺ من سائر العرب باسلام قومهم فكان ينبغي ان يذكروا الجميع قياسا على من ذكروه وأذكر فيه في فصل جميع ما في هذا الكتاب من الانساب وجعلتها على جروف المعجم ولم أذكر من الانساب الا ما في هذا الكتاب لئلا يطول ذلك وانما فعلت ذلك لان بعض من وقف عليه من أهل العلم والمعرفة أشار به ففعلته وليكون هذا الكتاب أيضا جامعا لما يحتاج إليه الناظر فيه غير مفتقر إلى غيره وما يشاهده الناظر في كتابي هذا من خطأ ووهم فليعلم اني لم أقله من نفسي وإنما نقلته من كلام العلماء وأهل الحفظ والاتقان ويكون الخطأ

يسيرا إلى مافيه من الفوائد والصواب ومن الله سبحانه استمد الصواب في القول والعمل فرحم الله امرأ أصلح فاسده ودعا لي بالمغفرة والعفو عن السيئات وأن يحسن من منقلنا إلى دار السلام عند مجاورة الاموات والسلام .

(فصل) يذكر فيه أسانيد الكتب الكبر التي خرجت منها الاحاديث وغيرها وقد تكرر ذكرها في الكتاب لئلا يطول الاسناد ولا أذكر في اثناء الكتاب الا اسم المصنف ومابعده فليعلم ذلك (تفسير القرآن المجيد لابي اسحاق الثعلبي) أخبره به أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي بن مهدي الرزاري الشيخ الصالح رحمه الله تعالى قال أخبرنا الرئيس مسعود بن الحسن بن القاسم الاصبهاني وأبو عبد الله الحسن ابن العباس الرستمي قالوا أخبرنا أحمد بن خلف الشيرازي قال أنبأنا أبو اسحاق أحمد ابن محمد بن ابراهيم الثعلبي بجميع كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن سمعت عليه من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء وأما من أول سورة المائدة إلى آخر الكتاب فانه حصل لي بعضه سماعا وبعضه اجازة واختلط السماع بالاجازة فأنا أقول فيه أخبرنا به اجازة ان لم يكن سماعا فإذا قلت أخبرنا أحمد باسناده إلى الثعلبي فهو بهذا الاسناد ﴿ الوسيط في التفسير أيضا للواحدى ﴾ أخبرنا بجميع كتاب الوسيط في تفسير القرآن المجيد أبو محمد عبد الله بن علي بن سويده التكريتي قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسين بن الفرخان السمناني وعبد الرحمن بن أبي الخير بن سعيد المهني كلاهما اجازة قالوا أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن متوية الواحدى ح قال أبو محمد وأخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي الخير بن سعيد قراءة عليه وأنا أسمع قال أنبأنا الواحدى فإذا قلت أخبرنا أبو محمد بن سويده فهو إلى الواحدى بهذا الاسناد ﴿ صحيح محمد بن اسماعيل البخارى ﴾ أخبرنا بجميع الجامع الصحيح تأليف الامام أبي عبد الله بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه أبو عبد الله محمد بن محمد بن سرايا بن علي وأبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبي العز الواسطى وأبو بكر مسمار بن عمر بن العويس التيارى البغدادى وأبو عبد الله الحسين ابن أبي صالح بن فتاحسرو الديلمى التكريتى الضريز قالوا أخبرنا أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى بن شغيب السنجرى قال أخبرنا أبو الحسن

عبد الرحمن بن محمد الداودي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي
السرخسي قال أخبرنا محمد بن يوسف الغبري أخبرنا محمد بن اسماعيل فإذا
قلت أخبرنا أحد هؤلاء أو كلهم باسنادهم عن البخاري وذكرت اسناده إلى
النبي ﷺ فهو بهذا الاسناد ﴿صحيح مسلم بن الحجاج﴾ أخبرنا بجميع
الصحيح تأليف أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنه أبو
الفرج يحيى بن محمود بن سعد الاصفهاني الثقفى قراءة عليه وأنا أسمع قال
أخبرنا عم جدى أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمد الثقفى قراءة عليه
وأنا أسمع وأبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوى اجازة قال جعفر أجازلنا وقال
الفراوى أخبرنا سماعا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي أخبرنا أبو أحمد
محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودى أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن
سفيان الفقيه أخبرنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (فإذا قلت)
أخبرنا يحيى وأبو ياسر باسنادهما عن مسلم فهو بهذا الاسناد (الموطأ لمالك بن
أنس رواية يحيى بن يحيى) أخبرنا به الشيخ أبو الحرم مكى بن زيان بن شبه
المقرى النحوى الماكسينى رحمه الله أخبرنا أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام
الازدى القرطبي أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أخبرنا
القاضى أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث أخبرنا أبو عيسى يحيى بن عبيد
الله أخبرنا عم أبى عبيد الله بن يحيى أخبرنا أبو يحيى بن يحيى أخبرنا الامام مالك
بن أنس رضى الله عنه فإذا قلت أخبرنا أبو الحرم باسناده عن يحيى بن يحيى
عن مالك فهو بهذا الاسناد ﴿الموطأ لمالك أيضا رواية القعنبي﴾ أخبرنا به أبو
المكارم فتيان ابن أحمد بن محمد بن سمنية الجوهري أخبرنا أبو عبد الله الحسين
بن محمد بن نصر بن خميس الفقيه أخبرنا أبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن
يوسف أنبأنا أبو عمر وعثمان بن محمد بن يوسف العلاف أخبرنا أبو بكر محمد
بن عبد الله بن ابراهيم الشافعى أخبرنا أبو يعقوب اسحاق بن الحسن بن ميمون
بن سعد الحراى أخبرنا القعنبي عن مالك رضى الله عنه ﴿مسند أحمد بن
حنبل﴾ أخبرنا به ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بن أبى حبة قال أخبرنا أبو
القاسم هبة الله ابن محمد بن عبد الواحد بن الحصين أخبرنا أبو على الحسن بن
على بن المذهب الواعظ أخبرنا أبو بكر بن مالك القطيعى أخبرنا عبد الله ابن

أحمد بن حنبل حدثني أبي رضي الله عنه فكل ما فيه أخبرنا أبو ياسر أو عبد الوهاب بإسناده عن عبد الله حدثني أبي فهو بهذا الاسناد ﴿مسند أبي داود الطيالسي﴾ أخبرنا به الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن القاهر الطوسي أخبرنا أبو سعد محمد بن محمد المطرز الفقيه اذنا أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحاق الاصفهاني وأبو عبد الله الحسين ابن ابراهيم الجمال قالوا أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن فارس أخبرنا يونس بن حبيب أخبرنا أبو داود الطيالسي رضي الله عنه فإذا قلت قال أبو داود الطيالسي فهو بهذا الاسناد ﴿الجامع الكبير للترمذي﴾ أخبرنا به أجمع أبو الفداء اسماعيل بن علي بن عبيد الواعظ الموصلی وأبو جعفر عبد الله بن أحمد بن علي بن الصمدی وأخبرنا به ماعدا أبواب الطهارة الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن مهران الشافعي قالوا أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي ثاقم بن أبي سهل الكروخي قال أخبرنا القاضي أبو عامر محمود بن القاسم بن محمد بن محمد الازدي وأبو نصر عبد العزيز بن محمد بن علي الترياق وأبو بكر عبد الصمد بن أبي الفضل الفورجي قالوا أخبرنا أبو محمد بن أبي الجراح الجراحي المروزي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رضي الله عنه ﴿سنن أبي داود السجستاني﴾ أخبرنا به أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن الامين الصوفي الشيخ الصالح المعروف بابن سكينه رضي الله عنه أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي أخبرنا أبو علي بن أحمد التستري أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي أخبرنا أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني فإذا قلت أخبرنا أبو أحمد بإسناده عن أبي داود فهو بهذا الاسناد ﴿سنن أبي عبد الرحمن النسائي﴾ أخبرنا به أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفقيه الشافعي الضرير رضي الله عنه قال أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محموية اليزدي أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن الحسن الدوني أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد السبتي أخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رضي الله عنه فإذا قلت أخبرنا أبو القاسم أو يعيش بإسناده إلى أبي عبد الرحمن أو أحمد بن شعيب فهو بهذا الاسناد ﴿مسند أبي علي الموصلي﴾ أخبرنا به أبو

الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الطبري الفقيه الخزومي المعروف بالديني أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامى أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن الكنجرودي أخبرنا أبو عمر وابن حمدان أخبرنا أبو علي أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رضي الله عنه ﴿مغازي ابن اسحاق﴾ أخبرنا به أبو جعفر عبيد الله ابن أحمد بن علي أخبرنا أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقر اجازة ح قال أبو جعفر وأخبرنا أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن علي المرزوقي أخبرنا أبو الحسين ابن النقر أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص أخبرنا أبو الحسين رضوان ابن أحمد الصيدلاني أخبرنا أبو عمر أحمد بن الجبار العطاردى حدثنا يونس ابن بكير عن ابن اسحاق فإذا قلت في الكتاب بهذا الاسناد فهو معروف ﴿الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم﴾ أخبرنا به أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي اجازة أخبرنا عم جدى الرئيس أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمد الثقفي قال أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن الاصبهاني أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد بن أبي علي أحمد بن عبد الرحمن الذكواني أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن العتاب أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن عمر وابن أبي عاصم المصنف فكل ما في هذا الكتاب عن ابن أبي عاصم بهذا الاسناد وإذا كان بغيره ذكرته ﴿طبقات محدثي الموصل﴾ أخبرنا به أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد المؤدب الموصلي أخبرنا أبو القاسم نصر بن محمد صفوان أخبرنا أبو البركات سعد بن محمد بن ادريس والخطيب أبو الفضائل الحسن بن هبة الله قالا أخبرنا أبو الفرج محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس قال أخبرنا أبو منصور المظفر بن محمد الطوسي أخبرنا أبو زكرياء يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدى المصنف (مسند المعافى بن عمران) أخبرنا به أبو منصور بن مكارم أيضا أخبرنا به أبو القاسم بن صفوان أخبرنا الخطيب أبو الحسن علي بن ابراهيم السراج أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن ابراهيم بن أنس أخبرنا أبو الحسن علي بن عبيد الله بن طوق أخبرنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حبان حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار أخبرنا المعافى بن عمران الازدى رضي الله عنه فهذه الكتب التي كثر النقل منها وما عداها

فاننى اذكر اسنادى إليها لانها لا تتكرر كثيرا والله ولى التوفيق

﴿ فصل نذكر فيه من يطلق عليه اسم الصحبة ﴾ قال الامام أبو بكر أحمد بن على الحافظ باسناده عن سعيد بن المسيب أنه قال الصحابة لانعدهم الا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو ستين وغزوا معه غزوة أو غزوتين قال الواقدي ورأينا أهل العلم يقولون كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا من صحب رسول الله ﷺ ولو ساعة من نهار ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم فى الاسلام وقال أحمد بن حنبل أصحاب رسول الله ﷺ كل من صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه وقال محمد بن اسماعيل البخارى من صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه وقال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب لاختلاف بين أهل اللغة فى أن الصحابى مشتق من الصحبة وانه ليس مشتقا على قدر مخصوص منها بل هو جار على كل من صحب قليلا كان أو كثيرا أو كذلك جميع الاسماء المشتقة من الافعال ولذلك يقال صحبت فلانا حولا وشهرا ويوما وساعة فيوقع اسم الصحبة لقليل مايقع عليه منها وكثيره قال ومع هذا فقد تقرر للامة عرف أنهم لا يستعملون هذه التسمية الا فيمن كثرت صحبته ولا يجيزون ذلك الا فيمن كثرت صحبته لا على من لقبه ساعة أو مشى معه خطأ أو سمع منه حديثا فوجب لذلك أن لايجرى هذا الاسم الا على من هذه حاله ومع هذا فان خبر الثقة الامين عنه مقبول ومعمول به وان لم تطل صحبته ولاسمع منه الا حديثا واحدا ولو رد قوله أنه صحابى لرد خبره عن الرسول وقال الامام أبو حامد الغزالى لاينطلق اسم الصحبة الا على من صحبه ثم يكفى فى الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة ولكن العرف يخصه بمن كثرت صحبته قلت وأصحاب رسول الله ﷺ على ما شرطوه كثيرون فان رسول الله شهد حينئذ ومعه اثنا عشر ألفا سوى الاتباع والنساء وجاء إليه هو اذن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم وترك مكة مملوءة ناسا وكذلك المدينة أيضا وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين فهو لاء كلهم لهم صحبة وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير مالا يحصيه ديوان وكذلك حجة الوداع وكلهم له صحبة ولم يذكرها الا هذا القدر مع ان كثيرا منهم ليست له

صحبة وقد ذكر الشخص الواحد في عدة تراجم ولكنهم معذورون فان من لم
يرو ولا يأتي ذكره في رواية كيف السبيل إلى معرفته وهذا حين فراغنا من
الفصول المقدمة على الكتاب ثم نخوض غمرته فنقول ﴿ نبدأ بذكر سيدنا
رسول الله ﷺ ﴾ تبركا باسمه وتشريفا للكتاب بذكره المبارك ولان معرفة
المصحوب ينبغي ان تقدم على معرفة الصاحب وان كان أظهر من أن يعرف

لقد ظهرت فما تخفى على أحد * الا على أحد لا يعرف القمر

لكن الاكثر يعرفونه جملة فارغة عن معرفة شيء من أحواله ونحن نذكر
جملا من تفاصيل أموره على سبيل الاختصار فنقول وبالله التوفيق وهو حسبنا
ونعم الوكيل (محمد رسول الله ﷺ)

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو
القاسم سيد ولد آدم ﷺ فأما ما بعد عدنان من آبائه إلى اسماعيل بن ابراهيم
الخليل ﷺ ففيه اختلاف كثير في العدد والاسماء لا ينضبط ولا يحصل منه
غرض فتركناه لذلك ومضر وربيعه هم صريح ولد اسماعيل باتفاق جميع أهل
النسب وما سوى ذلك فقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا وأم رسول الله ﷺ آمنة
بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب ابن مرة القرشية الزهرية تجتمع
هي وعبد الله في كلاب خرج عبد المطلب بابنه عبد الله إلى وهب بن عبد
مناف فزوجه ابنته آمنة وقيل كانت آمنة في حجر عمها وهيب بن عبد مناف
فأتاه عبد المطلب فخطب إليه ابنته هالة بنت وهيب لنفسه وخطب على ابنه
عبد الله ابنة أخيه آمنة بنت وهب فتزوجا في مجلس واحد فولدت هالة لعبد
المطلب حمزة أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي بن جعفر باسناده عن يونس بن
بكير عن ابن اسحاق قال وكانت آمنة بنت وهب تحدث انها أتيت حين حملت
برسول الله ﷺ فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فسميه محمدا فلما
وضعت أرسلت إلى جده عبد المطلب تقول قد ولد لك الليلة ولد فانظر إليه
فلما جاءها أخبرته بالذي رأت وكان أبوه عبد الله قد توفي وأمه حامل به وقيل
توفي وللنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهرا وقيل كان له سبعة أشهر والاول أثبت

وكانت وفاته بالمدينة عند اخواله بنى عدى بن النجار وكان أبوه عبد المطلب بعثه إلى المدينة يمتاز تمرًا فمات وقيل بل أرسله إلى الشام في تجارة فعاد من غزة مريضًا فتوفي بالمدينة وكان عمره خمسًا وعشرين سنة ويقال كان عمره ثمانيا وعشرين سنة.

(ج) الاستيعاب لابن عبد البر

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قال الفقيه الحافظ الامام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الثمري رضي الله عنه بحمد الله أبتدىء وإياه أستعين وأستعده وهو ولي وعصمتى من الزلل في القول والعمل ووليتى وتوفيقى عليه توكلت وإليه أنبت الحمد لله رب العالمين * جامع الأولين والآخرين * ليوم الفصل والدين * حمدا يوجب رضاه * ويقتضى المزيد من فضله ونعمائه * وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة * وهادى الأمة * وخاتم النبوة * وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما (أما بعد) فان أولى مانظر فيه الطالب * وعنى به الراغب * بعد كتاب الله عز وجل سنن رسوله ﷺ فهى المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه والدالة على حدوده والمفسرة له والهادية إلى الصراط المستقيم صراط الله من اتبعهما اهتدى ومن سلك غير سبيلهما ضل وهوى وولاه الله ماتولى وأنفذ عليه وعيده ان شاء ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية إلى حفظها معرفة الذين نقلوها عن نبيهم رسول الله ﷺ إلى الناس كافة وحفظوها عليه وبلغوها عنه وهم صحابته الذين وعوها وأدوها ناصحين محتسين * حتى كمل بما نقلوه الدين ، وثبتت بهم حجة الله عز وجل على المسلمين * فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله ﷺ ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منها * قال الله عز وجل ذكره « محمد رسول الله والذين

معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله
 ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود الآية ﴿١﴾ فهذه ﴿٢﴾ صفة من بادر
 إلى تصديقه والايان به وآزره ونصره ولصق به وصحبه وليس كذلك جميع
 من رآه ولا جميع من آمن به وسترى منازلهم من الدين والايان وفضائل ذوى
 الفضل والتقدم منهم والله قد فضل بعض النبيين على بعض وكذلك سائر
 المرسلين والحمد لله رب العالمين * وقال الله عز وجل « والسابقون الاولون
 من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا
 عنه » ﴿٣﴾ وأخبرنا ﴿٤﴾ عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال نا أحمد بن سلمان
 الحسن قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال نا أبى وأخبرنا عبد الوارث
 ابن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أحمد بن زهير قال نا أحمد بن حنبل قال
 نا هشيم قال أخبرنا أشعث عن ابن سير بن فى قوله عز وجل والسابقون
 الاولون قال هم الذين صلوا للقبلتين ﴿٥﴾ وبهذين ﴿٦﴾ الإسنادين عن أحمد بن
 حنبل قال ونا هشيم عن اسمعيل ومطرف عن الشعبى قال هم الذين بايعوا بيعة
 الرضوان ﴿٧﴾ وأخبرنا ﴿٨﴾ احمد بن عبد الله بن محمد بن على قال حدثنا الحسن بن
 اسماعيل قال حدثنا عبد الملك قال نا عبد الملك بن بجر قال نا محمد بن اسماعيل
 بن سالم قال نا سنيد قال نا هشيم قال أخبرنا مطرف واسماعيل عن الشعبى قال
 السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين بايعوا بيعة الرضوان قال
 سنيدونا حجاج عن ابن جريح قال أخبرنى أبو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله
 يقول كنا يوم الحديبية أربع عشرة ومائة فبايعنا رسول الله ﷺ وعمر
 بن الخطاب رضى الله عنه أخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه غير الجد
 بن قيس اختبأ تحت بطن بعيره قيل لجابر هل بايع النبى عليه السلام بذى الحليفة
 قال لا ولكنه صلى بها ولم يبايع تحت الشجرة الا الشجرة التى عند الحديبية قال
 أبو الزبير قلت لجابر كيف بايعوا قال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت
 قال وأخبرنا أبو الزبير عن جابر قال جاء عبد الحاطب بن أبى بلتعة أحد بنى
 أسد يشتكى سيده فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال له كذبت
 لايدخلها أحد شهد بدرا أو الحديبية (قال أبو عمر) وقال الله عز وجل
 « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » ومن رضى الله عنه لم

يسخط عليه أبدا ان شاء الله وقال رسول الله ﷺ لن يلج النار أحد شهر بدرا
أو الحديبية * أخبرني أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي رحمه الله قال نا
قاسم بن أصبغ قال نا الحرث بن أبي أسامة قال أخبرنا عاصم بن علي وأحمد
بن عبد الله بن يونس قالا حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد
الله عن النبي ﷺ قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة * أخبرنا
عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا ابراهيم بن اسحق بن مهران
قال نا يحيى بن يحيى النيسابوري قال نا أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابر ان
عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشتكى حاطباً فقال يا رسول الله
لا يدخلن حاطب النار قال فقال رسول الله ﷺ كذبت لا يدخلها أحد شهر
بدراً أو الحديبية * ورواه حجاج عن ابن جريج عن أبي الزبير انه حدثه عن
جابر عن أم مبشر عن النبي ﷺ مثله * وقد روى الاعمش عن أبي سفيان عن
جابر عن النبي ﷺ مثله ولم يذكر أم مبشر * وقد روى عن أبي سلمة عن أبي
هريرة عن النبي ﷺ مثله * حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن
أصبغ قال نا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي قال نا أبو زيد الهروي قال
ناقرة بن خالد عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة
الرضوان قال خمس عشرة مائة قال قلت فان جابر بن عبد الله قال كانوا أربع
عشرة مائة قال رحم الله جابرا هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة * حدثنا
عبد الله بن محمد قال نا أحمد بن زهير قال نا أحمد بن سلمان نا عبد الله
بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم
بن أصبغ قال نا أحمد ابن زهير قال نا أحمد بن حنبل قال نا محمد بن جعفر قال
نا شعبه عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال سألت جابر بن عبد الله
عن أصحاب الشجرة قال كنا ألفاً وخمسمائة قال ولو كنا مائة ألف لكفانا
﴿ قال أبو عمر ﴾ رضي الله عنه يعني الماء النابع من أنامله ﷺ وقد ذكرنا
طرق ذلك في التمهيد بما بان به أن ذلك كان منه مرات في موطن شتى ﷺ
وبهذين الاسنادين عن أحمد بن حنبل قال نا سفيان عن عمرو قال سمعت جابر
بن عبد الله يقول لنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ أنتم
اليوم خير أهل الأرض وقال معقل بن يسار وعبد الله بن أبي أوفى وكانا ممن

شهدا البيعة تحت الشجرة كانوا ألفا وأربعمائة ذكره أحمد بن حنبل عن
 عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن الحكم بن عبد الله الأعرج عن معقل
 بن يسار وذكره أحمد أيضا عن أبي قطن عمر وبن الهيثم عن شعبة عن عمرو بن
 مرة عن ابن أبي أوفى كل ذلك من كتاب أحمد بن زهير عن أحمد (و من)
 كتاب عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بالاسنادين المذكورين عنه قال نا
 محمد بن جعفر نا هشام عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال كان عدة أهل بدر
 ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أحد العددين قال أحمد ونا يحيى بن سعيد
 قال نا سفيان نا أبو اسحق نا البراء بن عازب قال كنا يعني أصحاب محمد
 نتحدث أن عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر كعدة أصحاب طالوت الذين
 جازوا معه النهر وماجاز معه النهر المؤمن وكذلك قال ابن اسحق نا
 عبد الوارث نا قاسم قال من شهد بدرا من المسلمين نا أحمد بن زهير وعبيد بن
 عبد الواحد البزار قال نا أحمد بن محمد بن أيوب نا ابراهيم بن سعيد عن ابن
 اسحق قال جميع من شهد بدرا من المسلمين من المهاجرين والانصار ثلاثمائة
 رجل وأربعة عشر رجلا من المهاجرين ثلاثة وثمانون ومن الأوس أحد وستون
 ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا * وذكر ابن اسحق عن يزيد بن أبي حبيب
 عن مرثد بن عبد الله اليزني عن الصنابحي عن عبادة قال كنت فيمن حضر
 العقبة يعني الأولى كنا اثني عشر رجلا وكانوا في العقبة الثانية سبعين رجلا لا
 خلاف في ذلك أصغرهم أبو مسعود عقبة ابن عمر وذكره أحمد بن حنبل عن
 يحيى بن زكريا عن أبي زائدة عن أبيه ومجالد عن الشعبي عن أبي مسعود
 الانصاري قال الشعبي وكان أصغرهم سنا * وذكره ابن اسحق بالاسناد
 المتقدم عنه قال فحدثني معبد بن كعب بن مالك ان أباه كعب بن مالك حدثه
 وكان ممن شهد العقبة قال حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون
 رجلا ومعهم امرأتان من نسائهم نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء بنت عمرو
 بن عدى * حدثنا عبد الله بن محمد بن أسد قال نا سعيد بن عثمان بن السكن
 قال نا محمد بن يوسف قال نا البخاري قال نا اسحق بن ابراهيم قال نا عبد الله
 بن ادريس قال سمعت حصين بن عبد الرحمن وسعيد بن عبيدة عن أبي عبد
 الرحمن السلمي عن علي قال بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام

وكلنا فارس قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فذكر الحديث في قصة حاطب حتى بلغ إلى قول رسول الله ﷺ أليس من أهل بدر وما يدريك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت لكم * وبه عن البخارى قال نا آدم بن أبى اياس قال نا شعبة عن الأعمش قال سمعت ذكوان يحدث عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبی ﷺ يقول لاتسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه * وحدثناه عبد الله بن محمد بن يحيى قال نا محمد بن بكر قال نا أبو داود نا مسدد قال نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال رسول الله ﷺ فذكره سواء * وذكر سنيد قال نا حجاج عن شعبة عن عمرو ابن مرة عن البختري عن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال الناس حيز وأنا وأصحابى حيز وقال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فقال له مروان بن الحكم كذبت وعنده زيد بن ثابت ورافع ابن خديج وهما قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاهدان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع عليه مروان ليضربه فلما رأيا ذلك قالوا صدق * وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله * حدثنا يعيش بن سعيد وعنه الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا احمد بن محمد البرثى قال نا أبو معمر قال نا عبد الوارث قال نا بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده قال سمعت النبی ﷺ يقول ألا انكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى * وقال الله عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وقال بعض العلماء كنتم بمعنى أنتم خير أمة وقيل كنتم في علم الله ومعلوم ان مواجهة رسول الله ﷺ لأصحابه بانتم خيرها اشارة بالتقدمة في الفضل اليهم على من بعدهم والله أعلم ﴿ ويدل ﴾ على ما قلنا ماروى عن بن عباس أنه قال هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة رواه سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس حدثناه عبد الوارث نا قاسم بن أصبغ نا محمد بن عبد السلام نا سلمة بن شيب نا عبد الرزاق نا اسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن

عباس في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا مع محمد ﷺ إلى المدينة هكذا قال مع محمد وأكثر الرواه له عن سماك يقولون ما ذكرت لك انهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة والمعنى واحد لانهم هاجروا بأمره وان لم يكونوا هاجروا معه في سفر واحد وإنما أشار إليهم ابن عباس بالذكر لانهم الذين قاتلوا من خالفهم على الذين حتى دخلوا فيه ولذلك قال أبو هريرة ومجاهد والحسن وعكرمة خير الناس للناس يقاتلونهم حتى يدخلوهم في الدين طوعا وكرها وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان المهاجرين الاولين والانصار في ذلك سواء * وذكر محمد بن اسحاق السراج في تاريخه قال نا أبو كريب قال نا محمد بن عبيد وأبو أسامة عن اسماعيل بن أبي خالد عن عامر الشعبي قال المهاجرون الاولون الذين بايعوا بيعة الرضوان قال نا سفيان بن وكيع قال نا أبي عن أي هلال عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب لم سمو المهاجرين الاولين قال من صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين جميعا فهو من المهاجرين الاولين ﴿ قال أبو عمر ﴾ رضى الله عنه قول الشعبي وسعيد بن المسيب يقضى بأن معنى قولهم المهاجرين الاولين كمعنى قول الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار لانهم صلوا إلى القبلتين جميعا وبايعوا بيعة الرضوان وفي ذلك أقوال لغيرهم سنذكرها بعد أن شاء الله * حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم نا محمد بن وضاح قال نا موسى بن معاوية قال نا وكيع عن سفيان عن ميسرة الاشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس يجيئون بهم في السلاسل يدخلونهم في الاسلام وروى عن مجاهد انه قال أيضا كانوا خير الناس على الشرط الذي ذكره الله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله * وجاء عن عمر بن الخطاب أنه قال من سره أن يكون من تلك الأمم فليؤد شرط الذي ذكره الله تعالى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله * وقال بعض أهل العلم كنتم بمعنى أنتم والكاف صلة * وقال آخرون كنتم في اللوح المحفوظ وهو الذكر وأم الكتاب واستدلوا بقول الله عز وجل ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون إلى قوله واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * وروى ابن القاسم عن مالك أنه سمعه يقول لما دخل أصحاب رسول الله ﷺ الشام نظر إليهم رجل من أهل الكتاب فقال ما كان أصحاب عيسى بن مريم عليه السلام

الذين قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهادا من هؤلاء * وقال رسول الله ﷺ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم * حدثنا عبد الوارث ابن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أحمد بن زهير بن حرب قال نا أبي قال نا يحيى بن سعيد القطان قال نا سفيان قال نا منصور وسليمان الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبيد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ خير القرون قرني * وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي قال نا أزهر بن سعد عن ابن عون عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم قال لا أدري أذكر رسول الله ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة * وروى هذا الحديث عن النبي ﷺ عمر بن الخطاب وعمران بن حصين والنعمان بن بشير وبريدة الاسلمي وجعدة ابن هبيرة وأبو هريرة أخبرني عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أحمد بن زهير قال نا موسى بن اسماعيل قال نا حماد بن سلمة عن أبي محمد عن زرارة بن أوفى قال القرن مائة وعشرون سنة * أخبرنا أبو عبد الله محمد بن خليفة قال نا أبو بكر محمد بن الحسين البغدادي بمكة قال نا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال نا محمد بن يزيد الرفاعي أبو هشام ويعقوب بن ابراهيم الدورقي والحسن بن عرفة قال نا أبو بكر بن عياش قال نا عاصم عن زر بن حبیش عن عبد الله ابن مسعود قال إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالة ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه * وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قول الله عز وجل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد ﷺ وقال السدي والحسن البصري وابن عيينة والثوري أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا قاسم بن أصبغ قال نا أحمد بن زهير نا موسى بن اسمعيل نا أبو هلال الراسي عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب يا أبا محمد ما فرق بين المهاجرين الأولين يعني وغيرهم قال فرق بينهم القبلتان فمن صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ فهو من المهاجرين الأولين * وذكر مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال صلى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس

ستة عشر شهرا ثم حول إلى الكعبة قبل بدر بشهرين * وقال محمد بن الحنفية
 السابقون الاولون من المهاجرين والانصار من صلى القبلتين وقاله سعيد بن
 المسيب وابن سيرين ذكر سنيد قال حدثنا هشيم قال نا أشعث قال سمعت محمد
 بن سيرين يقول في قوله تعالى ذكره والسابقون الاولون قال هم الذين صلوا
 القبلتين قال سيد وانا وكيع عن أبي هلال عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله
 قال وحدثنا هشيم قال نا داود بن أبي هند عن الشعبي قال فصل ما بين
 المهاجرين وبين الأولين وسائر المهاجرين بيعة الرضوان يوم الحديبية قال
 وأخبرنا هشيم قال نا منصور عن الحسن قال فرق ما بينهم فتح مكة قال وأخبرنا
 شيخ عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي وعطاء بن يسار في قوله
 تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قالوا أهل بدر * حدثنا احمد
 بن عبد الله بن محمد نا الحسن بن اسمعيل نا عبد الملك بن بحر نا محمد بن
 اسمعيل بن سالم نا سنيد قال نا أبو سفيان عن معمر عن قتادة في قوله تعالى
 كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم الآية قال قد كان ذلك بحمد الله جاءه
 سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة فنصروه وآووه حتى أظهر الله دينه قال ولم
 يسم حتى من الناس باسم لم يكن لهم الا هم قال سنيد وأخبرنا أبو سفيان عن
 معمر عن أيوب عن عكرمة وحجاج عن ابن جريح عن عكرمة قال لقي النبي
 عليه الصلاة والسلام نفرا من الانصار ستة قأموا به وصدقوه فأراد أن يذهب
 معهم فقالوا ان بيننا حربا وانا نخاف ان جئتنا على هذه الحال أن لا يتبها الذي
 تريد فواعدوه العام المقبل وقالوا نذهب لعل الله يصلح تلك الحرب وذلك يوم
 بعث وكانوا يرون انها لاتصلح فلقية العام المقبل سبعون رجلا قد كانوا آمنوا
 به فأخذ منهم النقباء اثني عشر رجلا * أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال نا
 قاسم بن أصبغ نا أحمد بن زهير قال نا عفان وموسى بن اسمعيل قال حدثنا
 مهدي بن جرير قال قلت لانس ابن مالك يا أبا حمزة رأيت اسم الانصار اسم
 سماكم الله به أم أنتم كنتم تسمون به قال بل اسم سمنا الله به قال أبو عمر رضى
 الله عنه إنما وضع الله عز وجل أصحاب رسوله ﷺ بالموضع الذي وضعهم
 فيه بشأته عليهم من العدالة والدين والامانة لتقوم الحجة على جميع أهل الملة بما
 أدوه عن نبيهم من فريضة وسنة فصلى الله عليه ورضي عنهم أجمعين فنعم العون

كانوا له على الدين في تبليغهم عنه إلى من بعدهم من المسلمين * أخبرنا أبو محمد عبد الله ابن أسد قال نا عبد الله بن مسروق قال نا أحمد بن معتب قال نا الحسين قال نا عبد الله بن المبارك قال نا اسمعيل الملكي عن الحسن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ ان مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحننا فكيف نصلح * وأخبرنا أحمد بن قاسم قال نا قاسم بن أصبغ قال نا محمد بن اسماعيل الترمذي قال نا نعيم ابن حمادة قال نا ابن المبارك فذكره باسناد سواء * وروى ابن وهب عن مالك قال عدة النقباء اثنا عشر رجلا تسعة من الخروج وثلاثة من الأوس وقد وصف رسول الله ﷺ وجوه أصحابه وحلأهم بخلاهم ليقتدى به فيهم بمثل ذلك وفيما رواه شيخنا عيسى بن سعيد بن سعدان المقرئ قال نا أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن شاذان قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد وأخبرنا به أبو عثمان سعيد بن عثمان قال نا أحمد بن دحيم قال حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال نا محمد بن ثعلبة العامري بالكوفة قال نا عبد الحميد بن عبد الرحمن أبو يحيى الحماني قال نا أبو سعد الاعور يعني البقال وكان مولى لحذيفة قال نا شيخ من الصحابة يقال أبو محجن بن فلان قال قال رسول الله ﷺ ان أرأف أمتي بأمتي أبو بكر وأقواها في أمر الله عمر وأصدقها حياء عثمان وأقضاهم على وأفضها زيد وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح * وروى عفان ابن مسلم قال ناشعة ووهيب واللفظ لحديث وهيب قال نا خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال أرحم أمتي بأمتي أبو بكر فذكر مثله الا أنه لم يذكر وأقضاهم على * وروى حماد بن زيد عن عاصم عن أبي قلابة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أرحم الناس بالناس أو قال أرحم أمتي بأمتي أبو بكر فذكر مثله سواء إلى آخره * وروى يزيد بن هارون قال نا مسلم بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ على أقضى أمتي وأبى أقرؤهم وأبو عبيدة أمينهم ذكره اخلواني عن زيد بن هارون * وروى عن عمر رحمه الله من وجوه على أقضانا وأبى أقرؤنا * وقد أخبرنا عبد الوارث بن سفيان نا قاسم بن أصبغ نا أحمد ابن زهير نا أحمد بن عبد الله بن يونس قال نا سلام عن زيد العمي عن أبي الصديق التاجي عن أبي سعيد

الخدرى قال قال رسول الله ﷺ أرحم أمتى بها أبو بكر وأقواهم في دين الله
 عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضاهم على وأفرضهم زيد وأقرؤهم لكتاب الله
 أنى بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل وأمين هذه الأمة أبو
 عبيدة بن الجراح وأبو هريرة وعاء للعلم أو قال وعاء العلم وعند سلمان علم
 لا يدرك وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أنى ذر
 ﴿ قال أبو عمر ﴾ رضى الله عنه فضل رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه
 بفضائل خص كل واحد منهم بفضيلة وسمه بها وذكره فيها ولم يأت عنه عليه
 الصلاة والسلام انه فضل منهم واحدا على صاحبه بعينه من وجه يصح ولكنه
 ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ومنازلهم من الفضل والدين
 والعلم وكان صلى الله ﷺ أحلم وأكرم معاشرة وأعلم بمحاسن الأخلاق من
 أن يواجه فاضلا منهم بأن غيره أفضل منه فيجد من ذلك في نفسه بل فضل
 السابقين منهم وأهل الاختصاص به على من لم ينل منازلهم فقال لهم لو أنفق
 أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه * وهذا من معنى قول الله
 تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من
 الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ومحال أن يستوى من قاتله ﷺ مع من قاتل عنه *
 وقال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدرا وقد رآه يمشى بين يدي أنى بكر
 تمشى بين يدي من هو خير منك وهذا لانه قد كان أعلمنا ذلك في الجملة لمن
 شهد بدرا والحديبية ولكل طبقة منهم منزلة معروفة وحال موصوفة وسنذكر
 في باب كل واحد منهم ما بلغنا من فضائله ان شاء الله ﷻ وبعد ﴿ فان العلم
 محيط بأن السنن أحكام جارية على المرء في دينه في خاصة نفسه وفي أهله وماله
 ومعلوم ان من حكم بقوله وقضى بشهادته فلا بد من معرفة اسمه ونسبه وعدالته
 والمعرفة بخالته * ونحن وان كان الصحابة رضى الله عنهم قد كفيينا البحث عن
 أحوالهم لأجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم
 كلهم عدول * فواجب الوقوف على أسمائهم والبحث عن سيرهم وأحوالهم
 ليتهدى بهديهم فهم خير من سلك سبيله واقتدى به وأقل ما في ذلك معرفة
 المرسل من المسند وهو علم جسيم لا يقدر أحد ينسب إلى علم الحديث بجهله
 ولا خلاف علمته بين العلماء ان الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله ﷺ

من أوكد علم الخاصة وأرفع علم الخير وبه ساد أهل السير وما أظن أهل دين من الأديان الا وعلماءهم معتنون بمعرفة أصحاب أنبيائهم لانهم الواسطة بين النبي وبين أمته * وقد جمع قوم من انعماء في ذلك كتباً صنفوها فنظرت إلى كثير مما صنفوه في ذلك وتأملت فيما أنفوا فرأيتهم رحمهم الله قد طولوا في بعض ذلك وأكثروا من تكرار الرفع في الأنساب ومخارج الروايات وهذا وإن كان له وجه فهو تطويل على من أحب علم ما يعتمد عليه من أسمائهم ومعرفتهم وهم مع ذلك قد أضربوا عن التنبيه على عيون اخبارهم التي يوقف بها على مراتبهم ورأيت كل واحد منهم قد وصل إليه من ذلك شيء ليس عند صاحبه * فرأيت أن أجمع ذلك وأختصره وأقربه على من أراده وأعتمد في ذلك على النكت التي هي البغية من المعرفة بهم وأشير إلى ذلك بالطف ما يمكن وأذكر عيون فضائل ذوى الفضل منهم وسابقتهم ومنزلته وأبين مراتبهم بأوجز ما تيسر وأبلغه ليستغنى اللبيب بذلك ويكفيه عن قراءة التصنيف الطويل فيه * وجعلته على حروف المعجم ليسهل على من ابتغاه ويقرب تناوله على طالب ما أحب منه رجاء ثواب الله عز وجل وإلى الله أرغب في سلامة النية وحسن العون على ما يرضاه فان ذلك به لا شريك له * وأرجو أن يكون كتابي أكثر كتبهم تسمية وأعظمها فائدة وأقلها مؤنة على اني لا أدعى الاحاطة بل أعترف بالتقصير الذي هو الاغلب على الناس وبالله أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل * وأعتمدت في هذا الكتاب على الكتب المشهورة عند أهل العلم بالسير والانساب وعلى التواريخ المعروفة التي عليها قول العلماء في معرفة أيام الاسلام وسير أهله * فما كان في كتابي هذا عن موسى بن عقبة رحمته فمن طريقين أحدهما ما حدثني به عبد الوارث بن سفيان عن قاسم بن أصبغ عن مطرف بن عبد الرحمن عن يعقوب بن حميد بن كاسب عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة وحدثني به خلف بن القاسم عن أبي الحسن علي بن العباس بن محمد بن عبد الغفار يعرف بأبن الون المصرى عن جعفر بن سليمان السوفلى عن ابراهيم بن المنذر الخزامى عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة * وحدثني أيضا عبد الوارث عن قاسم عن ابن أبي خيثمة في كتابه عن ابراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة رحمته وما كان فيه عن ابن اسحق رحمته فقرأته على عبد الوارث بن سفيان عن

قاسم بن أصبغ عن عبيد بن عبد الواحد البراز عن ابن أبي خيثمة أيضا من كتابه جميعا عن أحمد بن محمد بن أيوب عن إبراهيم بن سعد عن ابن اسحاق وقرأته على عبد الوارث أيضا عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن عبد السلام الخشني عن محمد بن عبد الرحيم البرقي عن عبد الملك بن هشام النحوي عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق * وقرأته أيضا على عبد الله بن محمد بن يوسف عن محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرح عن ابن الاعرابي عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق * وأخبرني به خلف بن القاسم قال أنا أبو محمد بن الورد وهو عبد الله بن محمد بن جعفر بن الورد عن أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم عن عبد الملك بن هشام عن زياد ابن عبد الله عن ابن اسحاق * وما كان فيه عن الواقدي فأما كتاب الطبقات له فقرأته على أحمد بن قاسم التاهرتي عن محمد بن معاوية القرشي عن إبراهيم بن موسى ابن جميل عن محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي * وأما تاريخ الواقدي فأخبرني به خلف بن قاسم عن أبي الحسن علي بن العباس بن آلون المصري عن جعفر بن سليمان النوفلي عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن الواقدي * وما كان فيه عن خليفة بن خياط فأخبرني به أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد ابن علي عن أبيه عن عبد الله بن يونس عن بقي بن مخلد عن خليفة * وقرأته أيضا على أبي القاسم خلف بن سعيد الشيخ الصالح عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي عن عبد الله بن يونس عن بقي عنه * وما كان فيه عن الزبير بن أبي بكر فأخبرني به عبد الله بن يوسف عن أحمد بن محمد بن اسماعيل عن محمد بن الحسن الانصاري عن الزبير * وما كان فيه عن مصعب الزبيري وعن المدائني فمن كتاب ابن أبي خيثمة عنهما وكذلك ما كان فيه عن أبي معشر فمن كتاب ابن أبي خيثمة أيضا قرأت جميعه على أبي القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون عن أبي محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف البياضي عن ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد بن زهير بن حرب * وكل ما في كتابي عن ابن أبي خيثمة فهذا الاسناد عنه * وما كان فيه عن البخاري فمن كتابه الكبير في تاريخ المحدثين * قرأته على أبي القاسم خلف بن سهل الحافظ عن أبي الحسن علي بن محمد بن اسماعيل الطوسي عن أبي أحمد محمد بن سليمان بن فارس عن أبي

عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة نُبَخاري * وما كان فيه من تاريخ أبي العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم سراج فاخيرني باربعة أجزاء منه أبو القاسم خلف بن قاسم قال نا أبو الحسن علي بن محمد ابن اسماعيل الطوسي عنه وسائره اجازة * وما كان فيه لأبي جعفر طبري فمن كتابه المسمى ذيل المذيل قرأته على أبي عمر أحمد بن محمد بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن الفضل بن عباس الخفاف الدينوري بن الطبري * وما كان فيه عن الدولابي فمن كتابه في المولد والوفاة حدثني به أبو القاسم خلف بن قاسم عن الحسن بن رشيق عن أبي البشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي * وأما ما فيه من تسمية الرواة من الصحابة رضي الله عنهم دون من قتل في انشاهد منهم أو مات على عهد رسول الله ﷺ أو أدركه بمولده أو كانت له رؤية أولقيه أو كان مسلما على عهده ولم يره فان هذه الطبقات كثير منها مذكور في الكتب التي قدمنا ذكرها وماعدها من الرواة خاصة فمن كتاب أبي عبيد بن عثمان ابن السكن الحافظ المعروف بكتاب الحروف في الصحابة حدثني به أبو القاسم خلف بن قاسم قراءة على من كتابه من أوله إلى آخره حدثني به عن مؤلفه سمعا منه ومن كتاب الآحاد لأبي محمد عبد الله بن عبي بن الجارود في الصحابة حدثني به أبو عمر أحمد بن عبد الله بن علي عن أبيه عن الحسن بن عبد الله الزبيدي عن ابن الجارود * ومن كتاب أبي جعفر العقيلي محمد بن عمرو بن موسى المكي في الصحابة أجازه لي عبد الله بن محمد بن يوسف أبو الوليد عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني المكي عن عقيلي ومن كتاب ابن أبي خيثمة أيضا وقد طالعت أيضا كتاب ابن أبي حاتم الرازي وكتاب الأزرق والدولابي والبغوي في الصحابة وفي كتابي هذا من غير هذه الكتب من منشور الروايات والفوائد والمعلقات عن الشيوخ مالا يخفى على متأمل ذي عناية والحمد لله * ولم أقتصر في هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لقي النبي عليه السلام ولو لقيه واحدة مؤمنا به ورآه رؤية وأسمع منه لفظة فادها عنه واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا وكذلك ذكرنا من ولد على عهده بين أبوين مسلمين فدعا له أو نظر إليه وبرك عليه ونحو هذا ومن كان مؤمنا به قد أدى الصدقة إليه ولم يرد عليه * وبهذا كله يستكمل القرن الذي أشار إليه رسول الله ﷺ على ما قامه عبد الله بن أبي أوفى صاحب رسول الله

ﷺ قد ذكرنا أنساب القبائل الرواة من قريش والانصار وسائر العرب في كتاب الانباه على القبائل الرواة وجعلناه مدخلا لهذا الكتاب ليغنينا عن الرفع في الانساب ويعيننا على ما شرطناه من الاختصار والتقريب وبالله العون لاشريك له .

* ونبدأ بذكر رسول الله ﷺ ونقتصر من خبره وسيره على النكت التي يجب الوقوف عليها ولا يليق بذى علم جهلها وتحسن المذاكرة بها لتتم الفائدة للعالم الراغب والمتعلم الطالب في التعريف بالمصحوب والصاحب مختصرا ذلك أيضا موعبا مغنيا عما سواه كافيا ثم نتبعه ذكر الصحابة بابا بابا على حروف المعجم على ما شرطنا من التقصى والاستيعاب مع الاختصار وترك التطويل والاكتثار وبالله عز وجل أتوصل إلى ذلك كله وهو حسبي عليه توكلت وإليه أنيب ﴿ محمد رسول الله ﷺ ﴾ لم يختلف أهل العلم بالانساب والخبار وسائر العلماء بالأمصار أنه ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان * هذا ما لم يختلف فيه أحد من الناس وقد روى من أخبار الآحاد عن النبي ﷺ انه نسب نفسه كذلك إلى نزار بن معد بن عدنان وما ذكرنا من اجماع أهل السير والعلم بالاثر يغني عما سواه (واختلفوا) فيما بين عدنان واسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وفيما بين ابراهيم وبين سام بن نوح ما لم أر لذكره ههنا وجها لكثرة الاضطراب فيه وانه لا يوقف منه على شيء متتابع متفق عليه.

(د) كتاب الإصابة في تمييز الصحابة

لابن حجر العسقلاني

قال شيخ الاسلام . ملك العلماء الاعلام . حافظ العصر . أبو الفضل أحمد شهاب الدين بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني الشافعي أدام الله تعالى أيامه

الحمد لله الذى أحصى كل شىء عددا * ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قددا * ﴿ وأشهد ﴾ أن لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا * ولم يكن له شريك فى الملك ولا يكون أبدا * ﴿ وأشهد ﴾ أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله أكرم به عبدا سيدا * وأعظم به حبيبا مؤيدا * فما أزكاه أصلاو محتدا * وأطهره مضجعا ومولدا * وأكرمه أصحابا كانوا نجوم الاهتداء وأئمة الاقتدا * صلى الله عليه وعليهم صلاة خالدة وسلاما مؤبدا * (أما بعد) فان من أشرف العلوم الدينية علم الحديث النبوى ومن أجل معارفه تمييز أصحاب رسول الله ﷺ ممن خلف بعدهم (وقد) جمع فى ذلك جمع من الحفاظ تصانيف بحسب ما وصل إليه اطلاع كل منهم * فأول من عرفته صنف فى ذلك أبو عبد الله البخارى أفرد فى ذلك تصنيفا فنقل منه أبو القاسم البغوى وغيره وجمع أسماء الصحابة مضمومة إلى من بعدهم جماعة من طبقة مشايخه كخليفة بن خياط ومحمد بن سعد ومن قرنائه كيعقوب بن سفيان وأبى بكر بن أبى خيثمة * وصنف فى ذلك جمع بعدهم كابى القاسم البغوى وأبى بكر بن أبى داود وعبدان ومن قبلهم بقليل كمطين * ثم كالى على بن السكن وأبى حفص بن شاهين وأبى منصور الماوردى وأبى حاتم بن حبان وكالطبرانى ضمن معجمه الكبير * ثم كالى عبد الله بن منده وأبى نعيم * ثم كالى عمر بن عبد البروسمى كتابه الاستيعاب لظنه انه استوعب ما فى كتب من قبله ومع ذلك ففاته شىء كثير فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذيلا حافلا وذيل عليه جماعة فى تصانيف لطيفة وذيل أبو موسى المذينى على ابن منده ذيلا كبيرا وفى أعصار هؤلاء خلائق يتعسر حصرهم ممن صنف فى ذلك أيضا إلى أن كان فى أوائل القرن السابع فجمع عز الدين بن الأثير كتابا حافلا سماه الغابة جمع فيه كثيرا من التصانيف المتقدمة إلا أنه تبع من قبله فخلط من ليس صحابيا بهم وأغفل كثيرا من التنبيه على كثير من الاوهام الواقعة فى كتبهم . ثم جرد الأسماء التى فى كتابه مع زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبى وعلم لمن ذكر غلطا ولمن لا تصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولاقارب * وقد وقع لى بالتبع كثير من الاسماء التى ليست فى كتابه ولا أصله على شرطهما * فجمعت كتابا كبيرا فى ذلك ميزت فيه الصحابة من غيرهم ومع ذلك فلم يحصل لنا من ذلك جميعا

الوقوف على العشر من أسامي الصحابة بالنسبة إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي * قال توفي النبي ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف انسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعا أو رؤية * قال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب بعد أن ذكر ذلك أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سألته عن الرواة خاصة فكيف بغيرهم ومع هذا فجميع من في الاستيعاب يعنى بمن ذكر فيه باسم أو كنية وهما ثلاثة آلاف وخمسمائة وذكر انه استدرك عليه على شرطه قريبا ممن ذكر * قلت وقرأت بخط الحافظ الذهبي من ظهر كتابه التجريد لعل الجميع ثمانية آلاف لم يزيدوا لم ينقصوا^(١) ثم رأيت بخطه ان جميع من في أسد الغابة سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفسا * ومما يؤيد قول أبي زرعة ما ثبت في الصحيحين عن كعب بن مالك في قصة تبوك والناس كثير لا يحصيهم ديوان وثبت عن الثوري فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه قال من قدم عليا على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألفا مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض * فقال النووي وذلك بعد النبي ﷺ باثني عشر عاما بعد أن مات في خلافة أبي بكر في الردة والفتوح الكثير ممن لم يضبط أسماؤهم ثم مات في خلافة عمر في الفتوح وفي الطاعون العام وعمواس وغير ذلك من لا يحصى كثرة وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب وأكثرهم حضروا حجة الوداع والله أعلم وقد كثر سؤال جماعة من الاخوان في تبييضه فاستخرت الله تعالى في ذلك ورتبته على أربعة أقسام في كل حرف منه

﴿ فالقسم الأول ﴾ فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره سواء كانت الطريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأي طريق كان (وقد) كنت أولا رتبت هذا القسم الواحد على ثلاثة أقسام ثم بدا لي أن أجعله قسما واحدا وأميز ذلك في كل ترجمة

﴿ القسم الثاني ﴾ فيمن ذكر في الصحابة من الأطفال الذين ولدوا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض الصحابة من النساء والرجال ممن مات صلى الله عليه وآله وسلم وهو في دون سن التمييز إذ ذكر أولئك في الصحابة

(١) وقع في نسخة لم يزيدوا لم ينقصوا أي مذكور في أسد الغابة وما ذكره في التجريد حسب النسخة

المطبوعة ٨٨٠٨ إسما كتبه مصححه .

إنما هو على سبيل اللاحق لغلبة الظن على أنه صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم رآهم
لتوفر دواعي أصحابه على احضارهم أولادهم عنده عند ولادتهم ليحنكهم
ويسعيهم ويبرك عليهم والاختبار بذلك كثيرة شهيرة * ففي صحيح مسلم من
طريق هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم وأخرجه الحاكم في كتاب الفتن في المستدرک
عن عبد الرحمن بن عوف قال ما كان يولد لأحد مولود الا أتى به النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فدعا له بالحديث * وأخرج ابن شاهين في كتاب الصحابة في
ترجمة محمد بن طلحة بن عبيد الله من طريق محمد بن عبد الرحمن مولى أبي
طليحة عن ظئر محمد بن طلحة قال لما ولد محمد بن طلحة أتيت به النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ليحنكه ويدعو له له وكذلك كان يفعل بالصبيان لكن
أحاديث هؤلاء عنه من قبيل المراسيل عند المحققين من أهل العلم بالحديث
ولذلك أفردتهم عن أهل القسم الأول

﴿ القسم الثالث ﴾ فيمن ذكر في الكتب المذكورة من المخضرمين الذين
أدركوا الجاهلية والاسلام ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي صلى الله
عليه وآله وسلم ولا رأوه سواء أسلموا في حياته أم لا وهؤلاء ليسوا أصحابه
باتفاق من أهل العلم بالحديث وان كان بعضهم قد ذكر بعضهم في كتب
معرفة الصحابة فقد أفصحوا بأنهم لم يذكروهم الا لمقالاتهم لتلك الطبقة لا
أنهم من أهلها * ومن أفصح بذلك ابن عبد البر وقبله أبو حفص بن شاهين
فاعتذر عن اخراجه ترجمة النجاشي بانه صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم
في حياته وغير ذلك ولو كان من هذا سبيله يدخل عنده في الصحابة ما احتاج
إلى اعتذار * وغلط من جرم في نقله عن ابن عبد البر بأنه يقول بأنهم صحابة
بل مراد ابن عبد البر بذكرهم واضح في مقدمة كتابه بنحو مما قررناه وأحاديث
هؤلاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسلة بالاتفاق بين أهل العلم
بالحديث وقد صرح ابن عبد البر نفسه بذلك في التمهيد وغيره من كتبه

﴿ القسم الرابع ﴾ فيمن ذكر في الكتب المذكورة على سبيل الوهم والغلط
وبيان ذلك البيان الظاهر الذي يعول عليه على طرائق أهل الحديث ولم أذكر فيه
الا ما كان الوهم فيه بينا وأما مع احتمال عدم الوهم فلا الا ان كان ذلك

الاحتمال يغلب على الظن بطلانه وهذا القسم الرابع لا أعلم من سبقنى إليه ولا من حام طائر فكره عليه وهو الضالة المطلوبة في هذا الباب الزاهر وزبدة مايمخضه من هذا الفن اللبيب الماهر والله تعالى أسأل أن يعين على اكمله وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ويجازينى به خير الجزاء في دار إفضاله انه قريب مجيب وقبل الشروع في الاقسام المذكورة أذكر فصولا مهمة يحتاج إليها في هذا النوع

الفصل الأول في تعريف الصحابي

وأصح ماوقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنا به ومات على الاسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعارض كالعمى * ويخرج بقيد الايمان من لقيه كافرا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى * وقولنا به يخرج من لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمنى أهل الكتاب قبل البعثة وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أولا يدخل محل احتمال ومن هؤلاء بحير الراهب ونظراؤه ويدخل في قولنا مؤمنا به كل مكلف من الجن والانس فحينئذ يتعين ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور * وأما انكار ابن الاثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة فليس بمنكر لما ذكره وقد قال ابن حزم في كتاب الاقضية من المحلى من ادعى الاجماع فقد كذب على الأمة فان الله تعالى قد أعلمنا أن نفرا من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم صحابة فضلاء فمن أين للمدعى اجماع أولئك وهذا الذى ذكره في مسألة الاجماع لانوافقه عليه وإنما أردت نقل كلامه في كونهم صحابة * وهل تدخل الملائكة محل نظر وقد قال بعضهم ان ذلك ينبى على انه هل كان مبعوثا إليهم أولا وقد نقل الامام فخر الدين في اسرار التنزيل الاجماع على انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مرسلا إلى الملائكة وتوزع في هذا النقل بل رجح الشيخ تقى الدين السبكي انه كان

مرسلا إليهم واحتج بأشياء يطول شرحها وفي صحة بناء هذه المسئلة على هذا الأصل نظر لا يخفى * وخرج بقولنا ومات على الاسلام من لقيه مؤمنا به ثم ارتد ومات على ردة والعياذ بالله وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة فانه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر هو ومات على نصرانيته وكعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة وكربيعة بن أمية بن خلف على ماسأشرح خبره في ترجمته في القسم الرابع من حرف الراء ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الاسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى أم لا وهذا هو الصحيح المعتمد والشق الأول لاختلاف في دخوله وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالا وهو مردود لاطباق أهل الحديث على عد الأشعث بن قيس في الصحابة وعلى تخریج أحاديثه في الصحاح والمسانيد وهو ممن ارتد ثم عاد إلى الاسلام في خلافة أبي بكر وهذا التعريف مبني على الاصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة كقول من قال لا يعد صحابيا الا من وصف بأحد أو صاف أربعة من طائفة مجالسته أو حفظت روايته أو ضبط انه غزا معه أو استشهد بين يديه وكذا من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت وأطلق جماعة أن من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو صحابي وهو محمول على من بلغ سن التمييز إذ من لم يميز لاتصح نسبة الرؤية إليه نعم يصدق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه فيكون صحابيا من هذه الحيثية ومن حيث الرواية يكون تابعا وهل يدخل من رآه ميتا قبل أن يدفن كما وقع ذلك لابي ذؤيب اخذلى الشاعر ان صح محل نظر والراحح عدم الدخول * ومما جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة في الصفة التي يعرف بها كون الرجل صحابيا وان لم يرد التنقيص على ذلك ما أورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لا بأس به أنهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون الا الصحابة وقول ابن عبد البر لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر الا أسلم وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخزرج انه لم يبق منهم أحد في آخر عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والادخل في الاسلام وما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحد منهم يظهر الكفر والله أعلم

الفصل الثاني في الطريق إلى معرفة كون الشخص صحابيا

وذلك بأشياء أولها أن يثبت بطريق التواتر انه صحابي ثم بالاستفاضة والشهرة ثم بأن يروى عن أحد من الصحابة أن فلانا له صحبة مثلا وكذا عن آحاد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح ثم بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة والمعاصرة أنا صحابي * أما الشرط الأول وهو العدالة فجزم به الآمدى وغيره لان قوله قبل ان ثبتت عدالته أنا صحابي أو ما يقوم مقام ذلك يلزم من قبول قوله اثبات عدالته لان الصحابة كلهم عدول فيصير بمنزلة قول القائل أنا عدل وذلك لا يقبل * وأما الشرط الثاني وهو المعاصرة فيعتبر بمضى مائة سنة وعشر سنين من هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله في آخر عمره لاصحابه أرايتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر زاد مسلم من حديث جابر ان ذلك كان قبل موته صلى الله عليه وآله وسلم بشهر ولفظه سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول قبل أن يموت بشهر أقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ ولهذا النكتة لم تصدق الائمة أحدا ادعى الصحبة بعد الغاية المذكورة وقد ادعاها جماعة فكذبوا وكان آخرهم رتن الهندي على ما سنذكر تراجعهم كلهم في القسم الرابع لان الظاهر كذبهم في دعواهم على ما قررته * ثم من لم يعرف حاله الا من جهة نفسه فمقتضى كلام الآمدى الذى سبق ومن تبعه أن لا تثبت صحبته ونقل أبو الحسن بن القطان فيه الخلاف ورجح عدم الثبوت وأما ابن عبد البر فجزم بالقبول بناء على ان الظاهر سلامته من الجرح وقوى ذلك بتصرف أئمة الحديث في تخريجهم أحاديث هذا الضرب في مسانيدهم ولاريب في انحطاط رتبة من هذا سبيله عمن مضى ومن صور هذا الضرب أن يقول التابعى أخبرنى فلان مثلا أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول سواء أسماه أم لا * أما إذا قال أخبرنى رجل مثلا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكذا فثبوت الصحبة بذلك بعيد لاحتمال الارسال ويحتمل التفرقة بين أن يكون القائل من كبار التابعين فيرجح القبول أو صغارهم فيرجح

رد ومع ذلك فلم يتوقف من صنف في الصحابة في اخراج من هذا سبيله في كتبهم والله أعلم ﴿ ضابط يستفاد من معرفته صحة جمع كثير يكتفى فيهم بوصف يتضمن أنهم صحابة وهو مأخوذ من ثلاثة آثار ﴾ الاول أخرج^(١) من طريق قال كانوا لا يؤمرون في المغازي الا الصحابة فمن تتبع الاخبار الواردة في الردة والفتوح وجد من ذلك شيئا كثيرا وهم من القسم الاول . الثاني أخرج الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف قال كان لا يولد لاحد مولود الا أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعاه وهذا يؤخذ منه شيء كثير أيضا وهم من القسم الثاني .. الثالث وأخرج ابن من ضيق قال لم يبق بمكة والطائف أحد في سنة عشر الا أسلم وشهد حجة الوداع هذا وهم في نفس الامر عدد لا يحدون لكن يعرف الواحد منهم بوجوده يقتضي انه كان في ذلك الوقت موجودا فيلحق بالقسم الاول أو الثاني خصوص رؤيتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وان لم يرههم هو والله أعلم

الفصل الثالث في بيان حال الصحابة من العدالة

اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الا شذوذ من المتبدعة وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلا نفيسا في ذلك * فقال عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واختباره عن طهارتهم واختباره لهم فمن ذلك قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وقوله (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم) وقوله (السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) إلى قوله (انك رؤوف رحيم) في آيات كثيرة يطول ذكرها وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج

(١) هكذا يباين بجميع الأصول

أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق على انه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لاوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والابناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يحيثون من بعدهم هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله ثم روى بسنده إلى أبي زرعة الرازي قال إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة انتهى ﴿ والاحاديث الواردة في تفصيل الصحابة كثيرة ﴾ من أدلها على المقصود ما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه * وقال أبو محمد بن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال الله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وقال تعالى (ان الذين سبقتم مننا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فثبت ان الجميع من أهل الجنة وانه لايدخل أحد منهم النار لانهم المخاطبون بالآية السابقة فان قيل التقييد بالانفاق والقتال يخرج من لم يتصف بذلك وكذلك التقييد بالاحسان في الآية السابقة وهي قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان) الآية يخرج من لم يتصف بذلك وهي من أصرح ماورد في المقصود ولهذا قال المازري في شرح البرهان لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه صلى الله عليه وآله وسلم يوما ما أو زاره لما(١) أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كتب وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون انتهى * والجواب عن ذلك أن

(١) قوله لما ما أى في رفقة .. وقوله عن يكتب أى عن قرب .. وأراد بذلك الوقت القليل

التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب والا فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة وأما كلام المازري فلم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء وقال الشيخ صلاح الدين العلائي هو قول غريب يخرج كثيرا من المشهورين بالصحة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك ابن الحويرث وعثمان بن أبي العاص وغيرهم ممن وفد عليه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقم عنده الا قليلا وانصرف وكذلك من لم يعرف الا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار اقامته من اعراب القبائل والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر والله سبحانه وتعالى أعلم وقد كان تعظيم الصحابة ولو كان اجتماعهم به صلى الله عليه وآله وسلم قليلا مقرا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم فمن ذلك ما قرأت في كتاب أخبار الخوارج تأليف محمد بن قدامة المروزي بخط بعض من سمعه منه في سنة سبع وأربعين ومائتين قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا زهير هو الجعفي عن الاسود بن قيس عن نبيج العنزي قال كنت عند أبي سعيد الخدري وقرأت على أبي الحسن علي بن أحمد المرداوي بدمشق عن زينب بنت الكمال سمعا عن يحيى بن القميرة اجازة عن شهدة الكاتبة سمعا قالت أخبرنا الحسين بن أحمد بن طلحة أخبرنا أبو عمر بن مهدي قال حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال حدثنا جدي يعقوب بن شيبه قال حدثنا محمد بن سعيد القزويني أبو سعيد قال حدثنا أبو خيثمة زهير بن معاوية الجعفي عن الاسود يعني ابن قيس عن نبيج يعني العنزي عن أبي سعيد الخدري قال كنا عنده وهو متكئ فذكرنا عليا ومعاوية فتناول رجل معاوية فاستوى أبو سعيد الخدري جالسا ثم قال كنا ننزل رفاقا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكنا في رقعة فيها أبو بكر فنزلنا على أهل أبيات وفيهم امرأة حبلى ومعنا رجل من أهل البادية فقال للمرأة الحامل أيسرك أن تلدى غلاما قالت نعم قال أن أعطيتني شاة ولدت غلاما فأعطته فسجع لها أسجعا ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر فلما علم بالقصة قام فتقيا كل شيء أكل قال ثم رأيت ذلك البدوي أتى به عمر بن الخطاب وقد هجا الانصار فقال لهم عمر لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أدري مانال فيها لكفيتكموه ولكن له صحبة من رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم * لفظ على بن الجعد ورجال هذا الحديث ثقات
 وقد توقف عمر رضي الله عنه عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه لقي
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم * وفي ذلك أئين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون
 أن شأن الصحبة لا يعد له شيء كما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري
 من قوله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد
 ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه .. وتواتر عنه صلى الله عليه وآله وسلم
 قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على
 الله عز وجل وروى البزار في مسنده بسند رجاله موثقون من حديث سعيد بن
 المسيب عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله اختار
 أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين وقال عبد الله بن هاشم الطوسي
 حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول في قوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على
 عباده الذين اصطفى) قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 والخبار في هذا كثيرة جداً فلنقتصر على هذا القدر فقيه مقنع * فائدة : أكثر
 الصحابة فتوى مطلقاً سبعة عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس
 وزيد بن ثابت وعائشة رضوان الله تعالى عليهم قال ابن حزم يمكن أن يجمع من
 فتيا كل واحد من هؤلاء مجلد ضخيم قال ويليه عشرون وهم أبو بكر وعثمان
 وأبو موسى ومعاذ وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وأنس وعبد الله بن عمرو
 بن العاص وسلمان وجابر وأبو سعيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف
 وعمران بن حصين وأبو بكرة وعبادة ابن الصامت ومعاوية وابن الزبير وأم
 سلمة قال يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير قال وفي الصحابة
 نحو من مائة وعشرين نفساً مقلون في الفتيا جداً لا يروى عن الواحد منهم
 إلا المسألة والمسألان والثلاث يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير بعد
 أن بحث كافي ابن كعب وأبي الدرداء وأبي طلحة والمقداد وغيرهم وسرد
 الباقي * قلت وسأذكر في ترجمة كل من ذكر من هذا القسم إن ابن حزم ذكر
 أنه من فقهاء الصحابة فإن ذلك من جملة المناقب . وقد جعلت على كل اسم
 أورده زائداً على ما في تجريد الذهبى وأصله وعلى ما في أصله فقط (ز) والله

المستول أن يهديننا سواء الطريق وان يسلك بنا مسالك لتحقيق . وان يرزقنا
التسديد والتوفيق . وان يجعلنا في الدين أنعم عليهم مع خير فريق وأعلى رفيق
آمين آمين

حرف لالف (القسم الأول باب الهمزة بعدها ألف

(آى اللحم) الغفارى .. صحابى مشهور روى حديثه الترمذى والنسائى
والحاكم وروى بسنده عن أبى عبيدة قال آى اللحم اسمه عبد الله بن عبد الملك
بن عبد الله بن غفار وكان شريفا شاعرا وشهد حنيننا ومعه مولاة عمير وإنما
سمى آى اللحم لانه كان يأبى أن يأكل اللحم وقال الواقدى كان ينزل الصحراء
وكذا قال خليفة بن خياط فى اسمه ونسبه وقال الهيثم بن عدى وهشام بن
الكلبى اسمه خلف بن عبد الملك وقال غيرهما اسمه عبد الله بن عبد الله بن مالك
وقيل اسمه الحويرث بن عبد الله بن خلف بن مالك وقال المرزبانى اسمه عبد الله
بن عبد ملك كان شريفا شاعرا أدرك الجاهلية * قلت رأيت بخط الرضى
الشاطبى عبد ملك بفتح اللام مجردا عن الالف واللام وروى مسلم فى
صحيحه حديث عمير مولى آى اللحم قال أمرنى مولاى أن أقدد لحما فجاءنى
مسكين فأطعمته الحديث وفيه قلت يارسول الله أتصدق من مال سيدى بشيء
قال نعم والأجر بينكما وقال أبى عبد البر هو من قدماء الصحابة وكبارهم
ولاخلاف أنه شهد حنيننا وقتل بها

باب الألف بعدها موحدة

(أبان) بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى
الاموى .. قال البخارى وأبو حاتم الرازى وابن حبان له صحبة وكان أبوه من
أكابر قريش وله أولاد نجباء أسلم منهم قديما خالد وعمرو فقال فيهما أبان

الآيات المشهورة التي أولها

ألا ليت ميتا بالظرية شاهد * لما يفتري في الدين عمرو وخالد

ثم كان عمرو وخالد ممن هاجر إلى الحبشة فأقاما بها وشهد أبان بدرا مشركا
فقتل بها أخواه العاص وعبيدة على الشرك ونجا هو فبقى بمكة حتى أجار عثمان
زمن الحديبية

الفصل الثاني

الحديث وعلوم الدين

الحديث والمعارف العربية والاسلامية :

عن الحديث تفرع التفسير القرآني والفقه الاسلامي وعلم الكلام العقلي ،
والتاريخ الاسلامي ، والاخلاق الاسلامية .

بل صارت المعارف العربية تتشكل بشكل الحديث كما هو الحال في الادب
واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم .

ولعله من الأوفق هنا أن نتحدث عن تاريخ الحديث بقلم واحد من كبار المحدثين
المعاصرين وهو الشيخ أحمد شاکر فيما عن مادة « حديث » في دائرة المعارف
الاسلامية^(١)

« الحديث) : هذه الكلمة معنى عام هو الخبر أو المحادثة ، دينية كانت أم
غير دينية ثم أصبح لها معنى خاص ، هو ماورد عن النبي وصحابته من قول أو
فعل . وفي هذا المعنى يطلق على جملة الحديث المقدس عند المسلمين اسم
« الحديث » ، ويطلق على العلم الخاص به « علم الحديث » .

١ - موضوع الحديث وصفته

كان السير على سنة الآباء الأولين (والسنة هي النهج القديم المأثور الذي
يعتاده المرء في المبادلة والأخذ والعطاء) يعد حتى عند كفار العرب فضيلة من
الفضائل (انظر Goldziher Muhamm. Stud ؛ ج ١ ، ص ٤١ ، تعليق ٨)
ولما جاء الإسلام لم تستطيع السنة أن تبقى على قديمها ، وهو اتباع عادات
الآباء الكفار وأحوالهم ، وكان لابد للمسلمين من أن ينشئوا لهم سنة جديدة .
فأصبح واجباً على المؤمن أن يتخذ من خلق الرسول وصحابته مثلاً يحتذيه في
جميع أحوال معاشه ، ولهذا بذل كل جهد ممكن في سبيل جمع أخبار النبي
وصحابته^(٢).

(١) دائرة المعارف الاسلامية مادة « حديث »

(٢) هذا غير صحيح ، فلم يكن اتباع سنة النبي ﷺ عند المسلمين عن عادة اتباع الآباء ، وقد نعاها
الله على الكفار نعيًا شديدًا وتوعد عليها وعيداً كثيراً ، وأمر الناس باتباع الحق حيثما كان ،
وباستعمال عقولهم في التدبر في الكون وآثارهم ونقد الزيف من الصحيح من الأدلة : وإنما كان
حرص المسلمين على سنة رسول الله اتباعاً لأمر الله في القرآن « لقد كان لكم في رسول الله أسوة =

وفي أول الأمر كان الصحابة أحسن مرجع لمعرفة سنة محمد ، فهم قد عاشروه ، وسمعوا قوله بأذانهم وشاهدوا فعله بأبصارهم ثم كان على المسلمين بعد ذلك أن يطمئنوا إلى أخبار التابعين وهم أهل الجيل الأول بعد النبي ، وقد أخذوا الحديث عن الصحابة واطمأنت نفوس المسلمين في الأجيال اللاحقة إلى الوثوق بروايات تابعي التابعين أيضاً ، وهم من أهل الجيل الثاني بعد النبي وقد عاشروا الصحابة وهكذا^(١).

واحتفظت الأحاديث بصيغة الأقوال الشخصية أجيالا عدة ، فكان كل حديث صحيح يتألف من شطرين الأول عبارة عن أسماء الرواة الذين نقلوا المتن أحدهم عن الآخر ، ويسمى هذا الشطر « الإسناد » أو « السند » أى البرهان على صحة الرواية « فمن يروى الحديث كان يقول : سمعت فلاناً ، أو

« حسنة » الآية ٢١ من سورة الأحزاب (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الآية ٦٣ من سورة النور (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) الآية ٤٤ من سورة النحل . إلى غير ذلك من أوامر الله في كتابه ، مما لا يجمله مسلم ، واتباعا لأمر رسول الله نفسه ، في الأحاديث الصحيحة المتكاثرة ، وفيما ثبت عمليا بالتواتر ، من عمل كبار الصحابة ثم من بعدهم من التابعين والعلماء ، لم يشذ بعد الصحابة إلا أناس غلبهم الهوى أو أعمتهم الجهالة . وهذا موضوع أطال البحث فيه العلماء السابقون وأبدعوا ، حتى لم يدعوا قولا لقائل أو كادوا . وكتب السنة وكتب الأصول وغيرها مستفيضة متناولة ، والباحث المنصف يستطيع أن يتبين وجه الحق . ويكفى أن نشير إلى كتابين فيهما مقنع لمن أراد : كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي بتحقيقنا وشرحنا (طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٣٨) وكتاب (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم) للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليمني المتوفى سنة ٨٤٠ (طبعة الطبعة المنيرية) فاني رأيت كاتب المقال لم يشر فيه من أوله إلى آخره إلى مصدر عرى أو إسلامي رجع إليه في بحثه ، وهذا عجب !

(١) ليس هذا على إطلاقه . فالصحابة ، وهم الطبقة الأولى من رواة الحديث الذين سمعوه وأشاهدوه أو أخذ بعضهم عن بعض ، كلهم ثقات مصدقون ، إلا أن يخطئ أحدهم في الرواية فيتبين خطؤه من درس الروايات الأخرى وموازنة بعضها بعض . والتابعون وتابعو التابعين ، وهم الطبقتان الثانية والثالثة ، درس علماء الحديث أخبارهم وآثارهم ورواياتهم فكان أكثرهم الثقة الصادق ، وقليل منهم الضعيف أو المردود الرواية وهذا علم واسع مفصل في كتب كبار . ودواوين واسعة من درسها وفهمها استيقن واطمأن ، وهذه الطبقات الثلاث هي أساس علم الرواية ، ومن جاء بعدهم فانما أخذ عنهم ، وفي عصر الطبقة الثالثة بدأ تدوين الحديث تدوينا عاما في مؤلفات ، كموطأ مالك وهو من أتباع التابعين ، من الطبقة الثالثة . أحمد محمد شاكر

حدثني فلان عن فلان ، وهكذا يبدأ الاسناد بالمحدث ، ثم تذكر سلسلة السند إلى أن يرفع الحديث إلى مصدره الأول .

والشطر الثاني من الحديث هو « المتن » أى النص أو القول المروى (انظر تفصيل ذلك في Coldziher المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ٦-٨) .

وبعد وفاة محمد لم تستطع الآراء والمعاملات الدينية الأصلية التى سادت فى الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير : فقد حل عهد للتطور جديد ، وبدأ العلماء يدخولون شيئاً من التطور فى نظام مرتب من الأعمال والعقائد يتواءم والأحوال الجديدة . فقد أصبح الإسلام بعد الفتوح العظيمة يبسط سيادته على مساحات شاسعة ، واستعير من الشعوب المغلوبة على أمرها آراء ونظم جديدة ، وتأثرت حياة المسلمين وأفكارهم حين ذاك فى كثير من النواحي لا بالنصرانية والإسرائيلية وحدهما بل بالهللينية والزرادشتية والبوذية كذلك .

وعلى أية حال فإن المسلمين التزموا أياً التزم المبدأ القائل بأن سنة النبى والسابقين الأولين فى الإسلام هى وحدها التى يمكن أن تكون القانون الخلقى للمؤمنين .

وسرعان ما أدى هذا بالضرورة إلى وضع لأحاديث ، فأستباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبى لكى تتفق وآراء العصر التالى ، وكثرت الأحاديث الموضوعية ، وتداولها الناس منسوبة إلى النبى بحيث يجعله يقول ويفعل شيئاً مما كان يعد فى ذلك العصر من الأمور المستحسنة . وظهرت فى الحديث أقوال مأخوذة من أقوال الرسل والأناجيل المنحوتة ، ومن الآراء الإسرائيلية والعقائد الفلسفية اليونانية الخ . تلك الآراء التى لقيت الحظوة عند فريق معين من المسلمين ، ونسبت كل هذه الأقوال إلى النبى (انظر جولد سيهر : المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ ومابعدها ، Eleménte: Neutestamentliche: Goldziher in der Traditionslitteratur der Islam فى Oriens Christianus طبعة ١٩٠٢ ، ص ٣٩٠ ومابعدها) .

ولم يتورع الناس عند ذاك عن أن يجعلوا النبي يفصل على هذا النحو
انقص والأساطير التي وردت موجزة في القرآن ويدعو إلى آراء ومعتقدات
حديثة الخ . بل وكان كثير من هذه الأحاديث الموضوعية المنسوبة إلى النبي
تناول الأحكام : كالحلال والحرام والطهارة وأحكام الطعام ، والشرعية ،
وآداب السلوك ومكائرم الأخلاق ثم وضعت أحاديث تناول العقائد ، ويوم
الحساب ، والجنة والنار ، والملائكة والخلق ، والوحي والأنبياء السابقين . وفي
الجملة وضعت أحاديث في كل ما يتعلق بالصلة بين الله والإنسان . وتشتمل
هذه الأحاديث الموضوعية كذلك على عظات وتعاليم خلقية نسبت إلى النبي .

ومع مضي الزمن ازداد ما روى عن النبي من قول أو فعل شيئا فشيئا في
عدده وفي غزارته . وفي القرون الأولى التي تلت وفاة الرسول عظم الخلاف
بين المسلمين على جملة من الآراء في مسائل تختلف طبائعها أشد الاختلاف ،
وعملت كل فرقة على تأييد رأيها على قدر ماتستطيع بقول أو تقرير منسوب إلى
النبي . ومن استطاع أن يرد رأيه إلى أثر من آثار النبي فهو على الحق من غير
شك . ولهذا كثرت الأحاديث الموضوعية المتناقضة أشد التناقض في سنة
محمد^(١) .

(١) أما أنه وحده بعض الكذابين الوضاعين الذين اقتروا أحاديث على النبي عليه الصلاة والسلام . وأما
أنه وحده بعض المغفلين الذين دخلت عليهم هذه الأكاذيب فظنوها صحيحة وقبلوها ودخلت
عندهم الأساليب فظنوها تصلح إيضاحا تاريخيا لبعض ما ورد محملا من أخبار السابقين في
القرآن والسنة الصحيحة ، وإما أنه وقعت أغلاط من بعض الرواة الصادقين في بعض الروايات ،
أما هذا كله فلا شك في وقوعه وهو الذي قام علماء الحديث بهذا المجهود الضخم الهائل في سبيل
نائه ، فوزنوا الرجال ، ورواة الحديث ، بميزان العدل والمعرفة . بحثوا في سيرتهم الشخصية ،
فقبلوا من ثبت عندهم أنه عدل لا تشوب سيرته شائبة من خلق ودين أو أمانة وبحثوا رواياتهم
ونقدوها ، فرفضوا من كثر خطؤه وكثر رواياته المخالفة لرواية غيره من الثقات وقارنوا
الروايات بعضها ببعض ، فرفضوا ما خالف المعقول أو خالف صريح القرآن أو خالف المعلوم من
الدين بالضرورة ، أعنى المتواتر العملي والاعتقادي . ونفروا عن الأحاديث كل ما حاول
الوضاعون الكذابون ادخاله عليها . وحفظوا السنة بيضاء بقية ، كل هذا كان ، ويعرفه المسلمون
ويتدارسونه بينهم ، وأما الصورة التي تبدو مما قال كاتب المادة أن كل تفصيل في الأحاديث ، من
حلال وحرام وطهارة الخ هو من الموضوعات . فإنما هي نفى للسنة جميعها وإبطال لها ، وإنما
معناها أن رسول الله لم يفعل شيئا ولم يقل شيئا ، إذ أن كل ما روى عنه مكذوب في ظنه وإنما
معناها أن كل المسلمين ، من عهد الصحابة فمن بعدهم ، كاذبون مفترون على رسولهم ، ليس —

وفي الخلافات الكبرى التي نشأت عن العصبية ، جرى كل فريق على التوسل بمحمد (انظر Mnhamm. Stud.: Goldziher ج ٢ ، ص ٨٨ وما بعدها) ، فمثلاً نجد أنه قد نسب إلى النبي قول تنبأ فيه بقيام دولة العباسيين . وجملة القول إنهم جعلوه يتنبأ ، على نحو يمتزج فيه الرؤية بالنبوة ، بما جرى بعد ذلك من حوادث سياسية وحركات دينية . بل بالظواهر الاجتماعية الجديدة التي إنما نشأت من الفتوح العظيمة (كازدياد الترف) وكان غرضهم من ذلك تبرير كل أولئك في نظر الجماعة الإسلامية الجديدة .

وهناك قسم خاص من هذه الأحاديث التنبئية وضعت في صورة أقوال نسبت إلى محمد تتعلق بفضائل أماكن متعددة ونواح في بلاد لم يفتحها المسلمون إلا في عصر متأخر (انظر Goldziher : نفس المصدر ، ج ٢ . ص ٢٨ وما بعدها) .

وعلى هذا لا يمكن أن تعد الكثرة الغالبة من الأحاديث وصفا تاريخيا صحيحا لسنة النبي ، بل هي على عكس ذلك تمثل آراء اعتنقها بعض أصحاب النفوذ في القرون الأولى بعد وفاة محمد ، ونسبت إليه عند ذلك فقط^(١).

والعلم مدين دينا كبيراً لما كتبه جولد سيهر Goldziher في هذا الموضوع (انظر Muham. Stud. ، طبع مقال سنة ١٨٩٠ م ، وغيره من مؤلفاته) . وهو مدين كذلك لما كتبه سنوك هرجرونييه G. Snouch HurgronJe (انظر

— فيهم أمين ! وليس على وجه الأرض منصف يقول هذا . ولست أدري إن قيل هذا في السنة رواها الثقات وبينوا طرق روايتها ووصلوا أسانيدها شيخاً عن شيخ سماعاً في أول أمرهم وكتابة وسماعاً فيما بعد ذلك ، ونقدوا الرواية والرواة أدق نقد وأحكمه ، فماذا يقال في غيرها من الروايات والكتب التي لا سند لها ولا نقد لروايتها ؟ أحمد محمد شاكر

(١) هذا النوع من الرواية داخل في الأنواع السابقة والروايات الصحيحة ثابتة معروفة ، والروايات الباطلة معروفة ، نص علماء الحديث على إبطالها . وإنما أفرد كاتب المقال هذا النوع ، لأنه لا يريد أن يسلم بنبوة رسول الله وبأنه يوحى إليه من عند الله ، فهو لذلك يعتبر أن كل حديث من هذا النوع مكذوب ، لأن صحته معناها صحة نبوة رسول الله بأنه أخبر عن شيء قبل وقوعه يوحى من الله إليه . أما المسلمون فيصدقون رسولهم ويؤمنون بأنه رسول يوحى إليه وبأنه يخبر عن الغيب الذي يوحى الله إليه ، لا أنه يعلم الغيب من نفسه إنما هو بشر يتبع ما يوحى إليه .

ﷺ

من بين مؤلفاته العديدة رسالته المسماة Le Droit Muslimman في مجلة تاريخ الأديان Revue de L'histoire de Religions ج ٣٦ ، ص ٦ وما بعدها .

فهذان العالمان هما اللذان بينا لأول مرة في وضوح وجلاء صفة الحديث الحقيقية وأهميته التاريخية من هذه الناحية^(٢).

ومع أن المسلمين كانوا يلعنون واضعي الأحاديث ومن يذيعها بين الناس عن سوء قصد ، إلا أن ثمة اعتبارات مخففة أخذ بها في بعض الأحوال وبخاصة إذا كان الحديث الموضوع يتناول بعض العظائم أو التعاليم الخلقية^(١). راجع

(٢) لكاتب المقال أن يطمئن إلى جولد سيهر وآرائه وأبحاثه ، إذا ما راقى له وصادفت هوى نفسه ، أما نحن رجال الحديث ونقاده فنأى أن نقيم له وزناً لاعتنا عصبية وهوى ، ولكن عن برهان وحجة لم أقرأ مؤلفات جولد سيهر التي يشير إليها كاتب المقال ، لأنها لم تترجم إلى العربية ، ولكنني قرأت له كتاباً ترجمه أحد علماء الأزهر ، وهو كتاب (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن) قرأته نقل شيباً في القراءات عن كتب مطبوعة ، فحرف في النقل عن عمد ، ونسب إلى أكثر القراء قراءة شاذة باطلة ، جعلها قراءة أكثرهم . (ص ١٩ من المصدر المذكور طبعة القاهرة ١٩٤٤) وقد نقدت عمله هذا في (مجلة المقتطف في المجلد ١٠٥ في عدد ديسمبر سنة ١٩٤٤ ص ٤٦١ - ٤٦٣) وقلت هناك بعد أن بينت بطلان ما نسب لأكثر القراء : « لا تظن بعد هذا أن مؤلف الكتاب أخطأ فيما حكى إنما الواضح الذي لا يشك فيه أنه علم الصحيح وعدل عنه ونقل غيره عارفاً أن القراء أجمعوا تقريباً على القراءة المعروفة ، ثم نسب القراءة الشاذة إلى أكثرهم » . فجولد سيهر لو عاملناه بما نعامل به رواية الحديث من النقد ، بعد أن نفى عن شروط العدالة المعروفة للعلماء ونتمسك منها بشرط الصدق وحده ، وجدنا أنه ممن لا يجوز قبول نقله في شيء أصلاً ، لأن الصدق والأمانة في الرواية شرط في قبول ما ينقل الناقل ، فإذا ثبت أنه جانب الصدق في روايته ولو مرة واحدة سقط كل ما يرويه وبطل ، لا تقبل له رواية بعد ذلك إلا أن يثبت أنه أخطأ ولم يتعمد الكذب ، وجولد سيهر تعمد أن ينسب إلى أكثر القراء غير الحقيقة ، في شيء مادي يلمسه كل قارئ . نقله عن كتب مطبوعة في أيدي الناس ، وكان جريماً جداً إذ أشار إلى المواضع التي ينقل منها بالجزء ، والصفحة . ظناً منه أن القراء سيصدقون نقله . فلا يرجعون إلى ما ينقل منه !!

(١) هذا كلام عجيب ! يوهم أن المسلمين أجازوا وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب ، وهو ما جاء كاتب المقال « بعض العظائم أو التعاليم الخلقية » ؟ ولعل كاتب المقال أتى من ناحية أنه اعتمد في مقاله على مصادر غير عربية فقط ، فلو أنه رجع إلى أي مصدر عربي من كتب الحديث لما قال هذا ، وأقرب كتب مصطلح الحديث كتاب (علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح) فلو يرجع إليه لرأى فيه (ص ١٠٠ من طبعة المطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٣١ مانصه : « والواضعون الحديث أصناف ، وأعظمهم ضرراً قوم من المنسويين إلى الزهد وضعوا -

التفصيلات في (Goldziher المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٣١ وما بعدها
وص ١٥٣ وما بعدها ، والمؤلف نفسه في Zeitschr. der Deutsch Morgenl
Gesellsch ج ٦١ ، ص ٨٦٠) .

والعالم الإسلامي كله يجعل للحديث مكانة عظيمة تتلو مكانة القرآن
وسرعان ماتغلب المسلمون على مقام في بعض الدوائر من الاعتراض على جمع
الحديث وإذاعته بين الناس (انظر مقال Köinpfe um: Goldziher die Stellung
Gesellsch . hes Hadith im Islam, Zeitschr ter Deutsch Morgenl في ج ٦١ ،
ص ٨٦٠ ، وما بعدها) .

وفي بعض الحالات يعتقد أن « كلام الله نفسه يوجد في الحديث كما يوجد
في القرآن . ومثل هذا الحديث يبدأ عادة بعارة « قال الله » ويسميه علماء
المسلمين « الحديث القدسي أو الإلهي » . ويطلقون على غيره اسم « الحديث
النبوي » . وهناك ثبت بالأحاديث النبوية في مخطوط بمكتبة ليدن رقم ١٥٦٢
(Catal Cod. Or. ج ٤ ، ٩٨)

٣ - نقد المسلمين للحديث

ويعد الحديث صحيحا في نظر المسلمين إلا إذا تابعت سلسلة الإسناد من
غير انقطاع وكانت تتألف من أفراد يوثق بروايتهم . وتحقيق الإسناد جعل
علماء المسلمين يقتلون الأمر بحثاً ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم

=الحديث الحديث احتسابا فيما زعموا ، فتقبل الناس ، موضوعاتهم ثقة منهم بهم ، وركونا إليهم .
ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها ومحو عارها والحمد لله . وفيما روبنا عن الإمام أبي
بكر السمعاني أن بعض الكرامية ذهب إلى جواز وضع الحديث في باب الترغيب والترهيب «
ونحو ذلك في كتاب (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي طبعة المطبعة الخيرية سنة
١٣٠٧ ص ١٠٢) وقال النواوي في الرد على ما نقل من الكرامية : « وهو خلاف إجماع
المسلمين الذين يعتد بهم » وقال السيوطي : « بل بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فجزم تكفير
واضع الحديث » . فهذا قول أئمة ناسمين وعلماء الحديث ، لا ما نقله كاتب المقال عن كتب
إفريقية ، مما يوهم أن المسلمين يجيزون وضع الحديث والكذب على رسول الله ! ومعاذ الله أن
يكون هذا منهم . وأنظر تفصيل ما كتب عن الأحاديث الموضوعية في شرحنا على كتاب اختصار
علوم الحديث للحافظ ابن كثير ضعة مطبعة حجازي سنة ١٩٣٧) أحمد محمد شاكر

لمعرفة الوقت الذي عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ؛ بل فحصوا أيضاً عن قيمة المحدث صدقاً وكذباً وعن مقدار تحريه للدقة والأمانة في نقل المتون ليحكموا أى الرواة كان ثقة في روايته ، ويسمى نقد الرجال باسم « الجرح والتعديل » (انظر Muhamm Stud: Goldziher ج ٢ ، ص ١٤٣ وما بعدها) .

معرفة الرجال لابد منها لدرس الحديث ولهذا تتضمن جميع الشروح مجموعات الأحاديث تفصيلات ، مطولة عن الرجال تتفاوت طولاً وقصراً . وهناك مؤلفات معينة تقتصر على هذا الموضوع ، من بينها ما يسمى بكتب الطبقات وهي تراجم مرتبة في طبقات ، وتتناول سير عدة علماء ورواة للحديث وغيرهم (انظر . Ursprung und: O.Loht Bedeutung der Tabarat. Zeitschr. der Deutsch. Morgenl. Gesellsch. ج ٣٢ ، ص ٥٩٣ - ٦١٤) . نضرب لهذه الكتب مثلاً بكتاب الطبقات لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ - ٨٤٤م ؛ وهو كتاب مشهور ؛ و« طبقات الحفاظ » للذهبي المتوفى سنة ٨٤٨هـ - ١٣٤٧م . ومن هذا النوع أيضاً ما صنف في الرواة الضعفاء مثل « كتاب الضعفاء » النسائي (انظر Goldziher : المصدر نفسه ج ٢ ، ص ١٤١ ، وما بعدها) . وكذلك سير الصحابة مثل كتاب « الإصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م وكتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » لابن الأثير المتوفى سنة ٦٢٠هـ - ١٢٣٢م .

والحكم على قيمة المحدث قد يختلف اختلافاً بيناً فربما كان ثقة عتد قوم ولكن غيرهم كانوا يعدونه في منتهى الضعف وربما اعتبروه كاذباً في روايته . بل إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسلمة عند الجميع في أول الأمر . ولهذا نجد أن الثقة بأبى هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس^(١).

(١) لم تكن الثقة بأبى هريرة محل جدل إلا عند أهل الأهواء ، ثم تبعهم بعض من اصطنع الجرأة في الطعن على السنة من المتأخرين . وإنما كان بعض الصحابة يأخذون عليه الاكثار من الحديث خشية الخطأ ، ثم كانوا إذا حققوا ما أدخلوا عليه أيقنوا من صحة ما روى ، والأخبار في ذلك =

وكان الحكم على محدث يختلف باختلاف وجهة نظر كل طائفة أو فرقة معينة ، ونشأ عن هذا خلافات مرة وينبغي أن نذكر في هذا المقام أن مادة الحديث المروى كانت في الواقع أصل النزاع . وإذا كانت الثقة بالمحدثين هي محل النزاع ، فالغالب أن مافي موضوع الحديث من هوى هو الذي كان يثير المغارضة دائماً . فالحكم النهائي لم يكن مقصوداً به قيمة المحدث وإنما كان المقصود به الحكم على مادة الروايات التي يرويها^(١).

== متكاثرة . وكان هو يرد على من أخذ عليه كثرة الرواية ، يقول : « انكم تزعمون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، والله الموعود ، إني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصنف بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم » . وقال ابن عمر : « أكثر أبو هريرة » فقيل له : « هل تنكر شيئاً مما يقول ؟ » قال : « لا ولكن جرؤ وجبناً » فبلغ ذلك أبا هريرة فقال : « ما ذنبى ان كنت حفظت ونسوا » . وغاضبه مروان بن الحكم فقال له : « ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وإنما قدم قبل وفاة رسول الله ﷺ بيسير » فقال أبو هريرة . « قدمت ورسول الله ﷺ بخير وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين ، فأقيمت معه حتى مات ، وأدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج ، فكنت أعلم الناس بالحديث ، وقد والله سبقني قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألونني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، ولا والله لا يخفى على كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله ﷺ منزلة ، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه » قال الوليد بن رباح راوى هذه الحادثة « فوالله مازال مروان بعد ذلك كافاً عنه » . وينظر ترجمة أبي هريرة في كتب الصحابة ، وخاصة في الاصابة (ج ٧ ص ١٩٩ - ٢٠٧ طبعة المطبعة الشرقية سنة ١٩٠٧) ، وغزوة خيبر كانت سنة ٧ من الهجرة فقد صحب أبو هريرة رسول الله ﷺ أكثر من ثلاث سنين يلتزمه ليلاً نهاراً ، يسمع حديثه ويروى عمله ، ويفهم عنه ويفقه ، فيحدث بما سمع ويصف ما يرى ، وما الحديث عن رسول الله ﷺ الا هذا ، أن يحدث بما سمع كما سمع ، وأن يصف ما رأى كما رأى وأن يحكى أحوال رسول الله ﷺ التي يعلم ، والتي جعل الله فيها للمسلمين ، بل للناس كلهم أسوة حسنة ، فمن اعتدى اتباع ومن لا يحسابه على الله أحمد محمد شاكر

(١) أما الخلاف في توثيق بعض الرواة وتضعيفهم فانه خلاف طبيعي في كل بحث يعرض له الانسان ، لا يؤخذ مغزاً على علماء الحديث . وأما ادعاء أن « مادة الحديث المروى كانت في الواقع أصل النزاع علم أن الثقة بالمحدثين هي محل النزاع في الظاهر » فهذا كلام مجمل موهم ، وليس نقداً علمياً لصناعة المحدثين وعلومهم . فانهم بحثوا في تاريخ كل راو حتى عرفوا سيرته وصدقه أو كذبه وحفظه أو غلطه ، ثم حكموا عليه بما تبين لهم . وتبعوا ما روى كل راو فنقروا عن روايته الخطأ غير المقصود ، وردوا ما كان فيه شبهة العمد إلى رواية شيء لا أصل له ، وقارنوا الروايات بعضها ببعض . فنقدوا السنة ونقدوا المتن ، فماذا في هذا ؟ لا أدري ا لو ذكر الكاتب مأخذاً معيناً ==

وفي عصر متأخر ، وبعد أن اتخذت العقائد والعبادات والنظم السياسية والاجتماعية وضعاً محدداً في القرنين الثاني والثالث للهجرة نشأ رأى عام معين فيما يتعلق بالثقة بمعظم رواة الحديث وقيمة رواياتهم وقد اعتبرت أصول العقائد التي اشتملت عليها كتب مالك ابن أنس والشافعي وغيرهما من العلماء صحيحة في نظر طوائف واعتبرت ثقة على وجه خاص فيما روته من أحاديث محمد . ومع مضي الزمن لم يجرؤ أحد على الشك في صحة هذه الأحاديث ، ولم يصبح في الإمكان اعتبار رجال كأي هريرة - الذي يرجع إليه الفضل في تداول هذه الأحاديث - من الكاذبين . بل سلم على وجه عام بصحة كثير من الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح^(١)، ولم يرفض شيء منها إلا ما كان لا يتعارض مع ما وقع الإجماع على صحته . على أن الميل على العموم كان متجهاً إلى الثقة بمثل هذه الأحاديث أيضاً إذا أمكن على الأقل تفسيرها بروح من التوفيق

وعلى مر الزمن فقدت الخلافات القديمة كل أهمية عملية عند الأجيال الناشئة ، ووجد أن معظم الأحاديث المتصلة بهذه الخلافات ، ولو أن بعضها يعارض البعض الآخر معارضة قوية . إلا أنه أمكن البعض في الغالب التوفيق بينها بفضل المهارة في تفسير مضمونها . وعلى هذا أصبح رفض الحديث يعد عملاً متطرفاً لا يلجأ إليه إلا عند اليأس من تأويله (انظر Snouck Hurgronje المصدر المذكور آنفاً) والأحاديث العديدة المتناقضة في موضوع بعينه ، والتي سلم بصحتها وذكرت في مجموعات الأحاديث جنباً إلى جنب ثمم المؤرخ في الغالب بدليل لا يقوم على التطور الداخلي للإسلام .

على أن الأحاديث مع هذا لم تكن كلها متساوية القيمة عند علماء المسلمين . بل جعلوها أنواعاً متفاوتة تميزها تعريفات فنية معينة تبعاً لاكمال الإسناد والثقة بالمحدثين ، الخ ...

سريده لبحثنا ما قال وحققناه ، ولكن جاء بشيء مبهم ، يوقع الوهم في نفس القارئ أنه نقد وماهو بنقد .

(١) ابن الأحاديث التي تتضمن أخطاء تاريخية شديدة الوضوح ١٩

٣ - تصنيف الحديث

ينقسم الحديث أولاً إلى ثلاثة أقسام :

(أ) ١ - « صالح » أى صحيح ، ويطلق هذا الاسم على الحديث الصحيح الخالى من الخطأ ، والذي لا توجد علة في إسناده ، ولا يعارض شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة

٢ - ويسمى الحديث « حسناً » إذا لم يكن بريئاً من الشوائب براءة تامة ، كأن يكون غير متصل السند تمام الاتصال ، أو كأن لا يقع الإجماع على الثقة براوية^(١).

٣ - ويعتبر الحديث « ضعيفاً » إذا وقع فيه شك خطير ، كأن يكون ذلك في متنه ، أو كأن يكون واحد أو أكثر من سلسلة إسناده ممن لا يوثق بروايتهم ، أو ممن اتهم بشيء من البدع .

(ب) وقد يحدث أن تكون قيمة الرواية محل شك لأن الراوى ذكر كلاماً في أثناء الحديث بحيث يستحيل الفصل بين قوله هو وقول الرسول . ويسمى هذا الحديث بالحديث « المدرج » .

ويسمى الحديث « متروكاً » إذا انفرد به راو واحد تعد الثقة بروايته ضعيفة . أما الحديث الذى يعتبر مكذوباً فيسمى بالحديث « الموضوع » .

(١) هذا الكلام ليس على وجهه ؟ فإن انقطاع الاسناد موجب لضعف الحديث فلا يكون حسناً . وإنما « الحديث الحسن » هو الذى لا يكون في إسناده راو متهم بالكذب ، ولكن يوجد في روايته من أخذ عليه شيء في حفظه وضبطه ثم يتابعه عليه رواة آخرون غير متهمين بالكذب أيضاً ، فيقع في نفس المحدث الناقد أن لهذا الحديث أصلاً معروفاً . أو كما قال الترمذى في سننه التى تسمى (الجامع الصحيح طبعة بولاق ج ٢ ص ٣٤٠) « كل حديث يروى لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب ولا يكون الحديث شذوا ويرمى من غير وجه نحو ذاك فهو عندنا حديث حسن » وانظر بحث « الحديث الحسن » في كتاب (علوم الحديث لابن الصلاح بشرح الحافظ العراقى ص ٣٠ - ٤٧ طبعة حلب سنة ١٩٣١) وكتاب (اختصار علوم الحديث لابن كثير بشرح حنا ص ٢٤ - ٣٣ ص ٢٤ - ٣٣) وكتاب (تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ٤٩ - ٥٩)

(ج) ولا تتناول الأحاديث كلها أقوال النبي وأفعاله ، بل نجد منها ما يتعلق بالصحابة والتابعين . وهنا يفرق بين :

- ١ - الحديث المرفوع وهو ما أضيف إلى النبي .
- ٢ - والموقوف وهو ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل .
- ٣ - والمقطوع وهو ما لا يرتفع إلا إلى الجيل الأول بعد محمد ، وقد يراد به ما أضيف إلى التابعي من قول أو فعل .

(د) ويميز بين الأحاديث من ناحية الإسناد واتصاله على الوجه الآتي :

إن كان الحديث متصل السند ورواته من العدول إلى أن يرتفع إلى صحابي فإنه يسمى بالحديث المسند .

وإذا اشتمل الحديث على ملاحظات تتعلق بالرواة جميعهم (كأن يقرر ضمناً أنهم حلفوا اليمين عند روايتهم للحديث أو شبك كل واحد من رواته يده بيد من رواه عنه) فإنه يسمى « المسلسل » . وفي الحالة الأولى يسمى « مسلسل الحلف » ، وفي الثانية « مسلسل اليد » انظر (Katal: Ahlwardt der. Arab. HSS. der Kgl Bibliothek. zu Berlin ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ - ٢٧٣) .

وإذا كان الإسناد متصلاً قليل الرجال بالنسبة لغيره ، وذلك لأن آخر رواته تلقاه عن أولهم عن أشخاص قليلي العدد ، فإن الحديث يسمى « بالحديث العالي » ولهذا النوع من الإسناد فائدة عظيمة ، إذ أن إمكان وقوع الخطأ فيه قليل جداً . راجع ما يتعلق بالرواة المعمرين (Goldziher المصدر المذكور ج ٢ ، ص ١٧٠ - ١٧٤)

ويسمى الإسناد متصلاً إذا كانت سلسلة السند متصلة وكاملة ، ويقابل المنقطع بالمعنى العام . على أن القاعدة هي أنه يراد بالحديث المنقطع ، بالمعنى الخاص ، ماسقط من رواته واحد من التابعين .

ويطلق اسم الحديث المرسل على الحديث الذي رفعه تابعي إلى النبي ولم يكن معروفاً اسم الصحابي الذي سمعه منه .

واختلف في الاحتجاج بالحديث المرسل ، فالمتقدمون من الفقهاء مثل
أبي حنيفة ومالك ابن أنس قالوا بقبوله ، أما المتأخرون فقد قالوا بغير
ذلك (انظر بين مصادر أخرى Zeitschr. der Deutsch. Morgenl
Gesellsch ج ٢٣ ، ص ٥٩٥ ، هامش ٣) .

والحديث يسمى « بالحديث المعضل » إذا سقط من سنده اثنان أو
أكثر سواء كان السقوط من أول السند أو من أثنائه أو من آخره ويذهب
بعض العلماء إلى القول بأن المعضل هو ماسقط اثنان أو أكثر من أسناده
بالتتابع .

وإذا روى الراوى الحديث عن شيخه بلفظ « عن » لاغير ، كأن
يقول « عن فلان » فمن المحتمل أن يكون لم يسمع الحديث من الشيخ
الذى روى عنه ، وإنما سمعه من أشخاص آخرين لم يرد ذكر أسمائهم في
الإسناد ويسمى مثل هذا الحديث بالحديث المعنعن (راجع التفصيلات
الأخرى في Goldziher Muh. Stud ج ٢ ، ص ٢٤٨) .

والمبهم اسم يطلق على الحديث الذى يروى عن شخص لم يذكر اسمه
في الإسناد .

(هـ) وينقسم الحديث باعتبار طرق الإسناد إلى الأقسام الآتية :

١ - المتواتر : وهو ما رواه في كل طبقة جماعة يمتنع تواطؤهم على
الكذب ، وذلك من ابتدائه إلى انتهائه ولم يخالف فيه أحد .

٢ - المشهور : وهو ما زوه ثلاثة فأكثر من العدول ، ويرى البعض
أنه هو الذى استفاض فيما بعد ولم يكن قد رواه فى الأصل إلا واحد من
الجيل الأول .

٣ - والعزير : وهو ما رواه اثنان ولم يستفرض كالأحاديث المتواترة أو
المشهورة .

٤ - والآحاد : اسم يطلق على الأحاديث التى رواها واحد فقط
[فى أى طبقة من طبقات الإسناد] .

٥ - والغريب : في الغالب هو الحديث النادر والغريب المطلق باعتبار الإسناد هو ما رواه تابعي في الجيل الثاني فقط (انظر فرد ج ٢ ، ص ٦١ ب ، وغريب ج ٢ ، ١٤١ ب) وإذا انفرد برّواية الحديث شخص من الأجيال المتأخرة فإن الحديث ليس غريباً بالنسبة « لشخص معين » . ويسمى الحديث بالغريب أيضاً إذا اشتمل متنه على عبارات نادرة أو غريبة ، ويكون هذا الوصف باعتبار معناه . وهذه المصطلحات الفنية لم تكن في الأصل متفقا على تفسيرها بمعنى واحد بين علماء المسلمين . ويقال مثلاً إن الامام الشافعي لم يفرق بين الحديث المقطوع والحديث المنقطع والمصنفات المتأخرة كذلك ليس بينها اتفاق مطلق على هذه التعريفات (انظر F.Risch der Izz al Din Abu Abd Allah uber die Kunstausrücke der Traditionswissen- schaft uebst Erläuterungen طبع ليبسك ١٨٩٥ م ، وكذلك الجرجاني : كتاب التعريفات طبع فنوحل ، وكشاف اصطلاحات الفنون ، طبع شبرنجر وآخرين) .

وتعرض الكتب العامة أيضاً المؤلفة في قواعد علم الرواية لمناقشة تقسيم الحديث إلى أقسامه المختلفة . ومن بين هذه المصنفات الكتب الثلاثة الآتية :

- ١ - « علوم الحديث » لابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ - ١٢٤٥ م (انظر Goldziher المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٨٧ وما بعدها Geschicht der: Brockelmann, Arab Litt ج ١ ، ٣٥٩)^(١)
- ٢ - التقريب والتيسير للنووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م .
وله شرح أسمه « تدريب الراوي » للسيوطي المتوفى ٩١١ هـ -

(١) كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح اشتهر أيضاً باسم (مقدمة ابن الصلاح) وقد طبع مراراً ، وأهم طبعاته طبعة مصر سنة ١٣٢٦ هـ بتصحيح الشيخ محمود السمكري الحلبي ، وطبعة المطبعة القيمة في بمبي بالهند سنة ١٣٥٧ هـ ، وأهم من ذلك طبعته بشرح الحافظ زين الدين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ في حلب سنة ١٣٥٠ وهو شرح جليل واف ، يقرب هذا العلم للمتعين .

١٥٠٥ م^(١).

٣ - « نخبة الفكر » لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م .

وله شرح للمؤلف نفسه نشره Bibl.. Indicc ، رقم ٣٧ من المجموعة الثانية ، طبع كلكته سنة ١٨٦٢ م^(٢).

٤ - مجموعات الحديث

ألف علماء مختلفون مجموعات للأحاديث متعددة اكتسب بعضها مقام الشريعة بين مسلمي العصور المتأخرة . ولكن نسخة رسمية محررة للحديث لم تعمل حتى الآن . ولم تكن الأحاديث في أول الأمر مصنفة بحسب الموضوعات ، وإنما كانت مصنفة بحسب الرجال ، وسميت هذه المجموعات « بالمسند » قياساً على ماتضمنته من أحاديث كاملة الإسناد . فأخذ الوصف من الحديث المفرد وأطلق على المجموعة كلها . وأحسن هذه الكتب هو « المسند » لابن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ - ٨٨٥ م^(٣). راجع التفصيلات

(١) هذا الشرح من أنفس كتب السيوطي وأجودها وقد ضبع في مصر في المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ هـ .

(٢) هو جزء صغير ، طبع مراراً في مصر واهند والآستانة وغيرها . وكتب مصطلح الحديث كثيرة جداً نشر كثير منها في الأقطار الإسلامية ، ومن أهمها وأقدمها بما نشر أخيراً كتاب (معرفة علوم الحديث) للامام الحاكم أبي عبد الله النيسابوري صاحب المستدرک المتوفى سنة ٤٩٥ هـ وقد طبع في دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٨ م تحت إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد بالهند ، وكتاب (الكفاية في علم الرواية) للحافظ الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وقد طبع بجيدر آباد بمطبعة دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٥٧ هـ (وكتاب اختصار علوم الحديث) للحافظ ابن كثير صاحب التفسير والتاريخ المشهورين ، المتوفى سنة ٧٧٤ و طبع بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣ هـ ثم طبع بمطبعة حجازي بمصر سنة ١٣٥٥ شرحنا وتحقيقنا . ومن أهم مؤلفات المتأخرين في هذا العلم الجليل كتاب (توجيه النظر إلى أصول الأثر) لأستاذنا الجليل الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي رحمه الله ، طبع بمطبعة الخافعي بمصر سنة ١٣٣٨ هـ وكتاب (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث) لأستاذنا عالم الشام السيد جمال الدين القاسمي رحمه الله ، وطبع بدمشق سنة ١٣٥٢ هـ .

(٣) هذا كلام غير دقيق تاريخياً ، فإن كتب الحديث ألقت على النوعين - المسانيد والموضوعات - من القديم ، بعضها مرتب على الأبواب ، أي موضوعات الفقه وغيره ، ومن أقدمها موطأ مالك ، وهو مؤلف قبل (المسند) للامام أحمد بن حنبل بزمان طويل (فإن الامام مالك ابن أنس =

Materialien zur Litteratur: Goldziher der Überlieferungs- wesens bei den في
Muhammedanern in Zeitsch. der Deutsch. Morgenl. Gesellsch. ج ١ ، ص
٤٦٥ - ٥٠٦ .

وصنفت أمثال هذه المسانيد أيضا في العصور المتأخرة ، فمثلا رتب بعض
علماء الأحاديث الموجودة في المصنفات الكبرى للتيسير على حروف المعجم^(١) ،
ورتب غيرهم الأحاديث الموجودة في « موطأ » مالك ابن أنس أو غيره من
المصنفات التي لم يقصد بتأليفها أن تكون مجموعة وافية للحديث في كتب
متفرقة (انظر Muham Stud: Goldziher ج ١ ، ص ٢٢٧) .

على أن مجموعات الأحاديث التي صنفت في العصور المتأخرة كانت
القاعدة في تصنيف معظمها أن يكون ذلك وفقا لمضمون الأحاديث ،
وما صنف منها تبعا للأبواب يسمى « المصنف »^(٢) . واعتبر أهل السنة من
المسننين مع مضي الزمن ستة من هذه المصنفات حجة في موضوعها وقد ألقت
كلها في القرن الثالث للهجرة . وأصحاب هذه المصنفات هم :

- ١ - البخارى المتوفى ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م
- ٢ - مسلم المتوفى عام ٢٦١ - ٨٧٥ م
- ٣ - أبو داود المتوفى عام ٢٧٥ هـ - ٨٨٨ م

متوفى سنة ١٧٩ هـ المولود سنة ١٦٤ هـ والامام أحمد بدأ في سماع الحديث سنة ١٧٩ أى سنة
وفاة مالك ولكنه لم يسمع منه وسمع من تلاميذه أحمد محمد شاكر

(١) وهذه ليست مسانيد ، بل معاجم صنعها المتأخرون على حروف المعجم للأحاديث التي وردت
في كتب معينة . وهى أشبه بالفهارس لكتب الحديث منهم من جعلها فهارس حقيقة أن لم تكن
الطاعة قد وجدت ، ولو قد وجدت إذ ذاك لكانت فهارس حقيقة متقنة ، وعلماء العرب
والاسلام هم أول من رتب اللغة والأعلام والأحاديث على حروف المعجم ، فهم أول من وضع
أساس الفهارس . التي يظن الناس أنها مقتبسة من غيرهم .

(٢) ليس هذا صحيحا ، فكتب السنة المرتبة على الأبواب قديمة ، أقدمها الموطأ كما قلنا آنفا ، ثم
الكتب الستة الصحاح ، البخارى ، ومسلم ، والترمذى . والنسائى وابن ماجه . وغيرهم كسنان
الدارقطنى . والدارقطنى ، والمصنف لابن أبى شيبة إلى آخر ما هو معروف من كتب الحديث .
وكنها مؤلف في القرن الثالث ، إلا الموطأ كان في القرن الثانى ، وإلا الدارقطنى فانه في القرن
الرابع .

٤ - الترمذى المتوفى ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م .

٥ - النسائى المتوفى ٣٠٣ هـ - ٩١٥ م .

٦ - ابن ماجه المتوفى ٢٧٣ هـ - ٨٨٦ م .

وتسمى كتبهم باختصار الكتب الستة أو الستة الصحاح ، ولها مقام من التقديس ، وهى تتلو فى المرتبة القرآن وهو كلام الله .

ويحظى كتابا البخارى ومسلم على وجه خاص بتقدير عظيم ويسميان الصحيحين ، وهما لا يشتملان إلا على الأحاديث المتفق على صحتها .

على أن شروط البخارى للصحة ليست هى الشروط التى رآها مسلم^(١) (انظر Goldziher ، المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ٢٤٧) .

هذا إلى أن البخارى يزيد فى الغالب على عناوين أبوابه تعليقات مستفيضة لانجدها فى صحيح مسلم ، وإن كان كلاهما يتقصى الأحاديث حيثما كانت متبعين شتى الطرق ، وكلاهما يشتمل ، لا على الأحاديث المتعلقة بالفقه والحلال والحرام وحدها ، بل على كثير من الأحاديث التاريخية والخلقية وأحاديث تتناول العقائد (انظر Goldziher المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٤٨)

(١) كلا ، بل شروطهما واحدة ، هى شروط صحة الحديث المعروفة ، إلا فى فرق واحد . هو أن البخارى يشترط أن يثبت أن راوى الحديث لقى شيخه الذى يروى عنه . إذا قال فى حديثه « عن فلان » فإذا ثبت عنه أنه لقيه بأن قر « حدثنا فلان » أو بأى طريق آخر من طرق ثبوت ذلك كان الحديث على شرطه ، فهو أولى أن يكون على شرط مسلم . لأن مسلما يكتفى كما يكتفى أكبر أئمة الحديث بأن الشيخ والراوى عنه كانا فى عصر واحد ، وإن لم يثبت لقاء التمسيد للشيخ ثبوتا صريحا . وليس معنى هذا أن مسلما ومن وافقه يقبلون رواية منقطعة لم يسمعها الراوى من شيخه ، فإن هذه تكون رواية ضعيفة باتفاقهم ، وهى الحديث المنقطع ، إنما معناه أن هؤلاء يرون أن الراوى الثقة ، وأول شرط فى توثيقه أنه لا يكذب ، هذا الراوى إذا روى عن شيخ فإنه لا يروى عنه إلا ما سمعه منه أو أحده عنه بأى طريق من طرق التلقى . إذ لو كان يروى ما لم يأخذه عن شيخه كان إما كاذبا ، ونكاذب ليس بثقة ، وإما مدلسا . والمدلس هو الذى يروى عن شيخ معاصر له شيئا لم يسمعه منه بل سمعه عن غيره عنه . ولكنه يرويه بصحة « عن » أو شبهها . والمدلسون معروفون غم ، فلا يقبلون من احاديثهم إلا ما صرحوا فيه بأن سمعوه ، وذلك احترازا من تدليسهم ، وإما ما يرويه المدلس بصيغة توهم عدم السماع فإن أكابر المحدثين على عدم قبوله ، ومنهم مسلمة نفسه أحمد محمد شاكر

وعلى عكس ذلك نجد أن الكتب الأربعة الأخرى تقتصر على السنة أى .
الأفعال المأثورة ، ولا تشتمل على الأحاديث التى تعتبر صحيحة فقط بل
تشتمل أيضا على الأحاديث الحسنة وبالجملة على جميع الأحاديث التى اعتمد
عليها العلماء فى استنباط الأحكام ، ولو كان الشك قائماً فى إسنادها .

وعندما كان يرى هؤلاء المصنفون أن حديثاً يمكن رفضه ، فإنهم كانوا فى
العادة يلفتون نظر القارئ إلى ذلك (انظر Goldziher المصدر نفسه ، ج ٢ ،
ص ٢٤٨ وما بعدها) .

وهناك تفسير واضح للسمعة الحسنة التى ظفرت بها هذه الكتب الستة .
ففى القرن الثالث كانت الأحوال ملائمة جداً لجمع الأحاديث إذ كان لا بد من
توافر إجماع معين فى جميع المسائل المتعلقة بالعقائد والأفعال ، وكونت الكثرة
الغالبة من علماء المسلمين رأياً معيناً فى قيمة أغلب الأحاديث ، فأصبح من
الممكن البدء عند ذاك فى جمع كل ما اتفق على صحته . ومن هنا ترى أن قيمة
البخارى وغيره من أصحاب الصحاح لم تكن - كالخطأ الشائع - لأنهم قرروا
لأول مرة أى هذه الأحاديث المتداولة كان صحيحاً وأياها كان كاذباً ، فرأيهم
الخاص لم يكن ليؤثر كثيراً فى رأى الغالب ، وإنما تنهض قيمة كتبهم فى الأكثر
على أنها جمعت فى صعيد واحد كل ما اتفق المؤمنون فى عهدهم على أنه صحيح
(انظر Snouck Hurgronje المصدر المذكور) .

وهناك مجموعات أخرى مشهورة للحديث صنف فى القرن الثالث أيضاً
مثل « سنن عبد الله الدارمى » ، (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م) ولكن هذه
المصنفات لم تصل أبداً فى العالم الإسلامى إلى ما وصلت إليه الصحاح الستة من
القيمة وحسن السمعة . بل إن الكتب الأخيرة من الصحاح نفسها لم يقع
الإجماع على تقديرها إلا بعد تدرج طويل . ومجموعة ابن ماجه على وجه
خاص ظلت موضعاً للريبة وقتاً طويلاً لما اشتملت عليه من الأحاديث الضعيفة
العديدة .

ومع أن الكتب الستة لها قيمة عظيمة فإنه لم يعتبر من النقائص فى شيء أن
يستباح نقد ما ورد فيها من الأحاديث نقداً حراً : تلك الأحاديث التى لم ينعقد

الإجماع على صحتها ، وإن كانت واردة في الكتب الصحاح ، ولهذا نجد مثلاً أن « الدارقطني » المتوفى سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م صنف كتاباً دلت فيه على ضعف مائتي حديث أوردها البخاري ومسلم^(١) (انظر Goldziher ، المصدر المذكور ، ج ٢ ص ٢٥٧) .

وفي عصر متأخر كذلك ظهرت مجموعات للأحاديث صنفها كثير من العلماء ، وكانت مؤلفات هؤلاء تهدف بوجه خاص إلى إعداد مجموعات تتفاوت في شمولها نقلوا فيها عن الكتب الستة وأصافوا إليها أحياناً المجموعة المشهورة التي صنفها ابن حنبل ، ثم رتبوا ذلك كله على طرق مختلفة .

من هذه المصنفات كتاب البغوي المتوفى سنة ٥١٠ هـ - ١١١٦ م ، ويسمى « مصابيح السنة » وهو كتاب كان شموله وحسن ترتيبه سبباً في شهرته بين المسلمين ، ويحتوي على نخبة من الأحاديث المستقاة من الكتب القديمة دون ذكر للإسناد ، واشتهر على وجه خاص تعليق لولي الدين التبريزي على كتاب البغوي ويسمى « مشكاة المصابيح » والاسم مشكاة مأخوذ من القرآن (سورة النور . آية ٣٥) .

ونذكر من المصنفات المطولة التي ظهرت في عصر متأخر كتابين للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م : أحدهما « جمع الجوامع » والثاني « الجامع الصغير » ، وغاية السيوطي الأولى من هذين الكتابين هي وضع مؤلف شامل للمجموعات الموجودة^(٢) (انظر katalog der: W. Ahlwardt Arab Hss. der Kgl Biblioth zu Berlin ج ٢ ، ص ١٥٥ وما بعدها) .

(١) هذا غير صحيح ، فإن الدارقطني إنما « علل » أحاديث في الصحيحين : البخاري ومسلم ، بأنهما خالفاً فيها شرطهما ، وهو اختبار أعلى درجات الصحة في الإسناد ، أو بأن بعض أسانيد الحديث الذي ينقده أصبح في نظره من الإسناد الذي رواه به البخاري ومسلم . ولم يتفق المحدثون على ضعف أي حديث في هذين الكتابين ، بل اتفقوا على أن البخاري ومسلم مقدمان على أهل عصرهما ومن أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح من غير الصحيح . وانظر تفصيل القول في ذلك في (مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر ص ٣٤٤ وما بعدها ، طبعة بولاق سنة ١٣٠١ هـ) وانظر أيضاً ما أشرنا إليه من كتب مصطلح الحديث . أحمد محمد شاكر

(٢) كتاب « جمع الجوامع » ويسمى أيضاً « الجامع الكبير » كتاب ضخيم جداً ، قصد به السيوطي إلى جمع كل الأحاديث التي وجدها فيما وقع له من كتب السنة سواء أكانت صحيحة أم غير =

وقصرت طائفة من جمعة الحديث منها على قسم معين من الحديث الوارد في المجموعات الكبرى ، كأن يقتصروا على ما تعلق بالأخلاق وحدها ، أو قصرُوا همهم على عدد معين من الأحاديث المشهورة . ولهذا نجد مثلاً مصنفات عديدة اشتهرت باسم « الأربعين » وهي مجموعات تشتمل على أربعين حديثاً مشهوراً

ولما أصبحت مادة الحديث في كثير من النواحي غامضة على أفهام المؤمنين في الأجيال المتأخرة شعر كثير من العلماء بالحاجة إلى إعداد شروح لمجموعات الحديث ، فالكلمات والعبارات المهجورة تحتاج إلى شرح ، وينبغي على وجه خاص تعليل الكثير من التعارض أو جعله عديم الضرر بالتحايل على تفسيره . وعنى معظم الشراح بعد ذلك بالأحكام التي تستنبط من الحديث والآراء المتعارضة فيها ، والتي انتصر لها علماء مختلفون . نذكر من أحسن الشروح المستفيضة المشهورة شرح ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - ١١٤٨ م . وشرح القسطلاني المتوفى سنة ٩٣٢ هـ - ١٥١٧ م على صحيح البخاري ، وشرح السوي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م على صحيح مسلم (انظر : Cesch der: C. Brockelmann Arab. Litt. ج ١ ، ص ١٥٦ وما بعدها) .

وحكم الشيعة على الحديث من وجهة نظرهم الخاصة فلم يعتبروا منه صحيحاً إلا ما رفع إلى علي وشيعته ولهذا كانت لهم مؤلفاتهم الخاصة في هذا

صحيحة ، ورتب فيه الأحاديث على الحروف على أوائل اللفظ النبوي فيها ورتب ترتيباً مقارباً لأحاديث « الأفعال » أي التي فيها حكاية ووصف لحادثة وشئ ذلك وليس فيها حديث قول للنبي ﷺ ، وهذا الكتاب لم يطبع ، وتوجد منه نسخ غير كاملة في دار الكتب المصرية . وأما « الجامع الصغير » فإنه مختصر مشهور معروف طبع مراراً وطبع بعض شروح عليه للعلماء ، وهو مرتب على الحروف أيضاً ، على أوائل اللفظ النبوي اقتصر فيه مؤلفه السيوطي على الأحاديث الوحيدة ، وصانه عما تفرد به وضاع أو كذاب أي صانه عن الحديث الموضوع فقط . ففيه أحاديث ضعيفة قطعاً ، وهما - في رأيي - محاولة لعمل فهارس متقنة لكتب الحديث لأن مؤلفيها رتبها على الحروف ثم ذكر بعد كل حديث اسماء الكتب التي نقله منها ، كالبخاري ومسلم وغيرهما ورمز إلى اسماء هذه الكتب برموز اصطلاحية ، مثل (خ) للبخاري ، (م) لمسلم ، (د) لأبي داود (ن) للترمذي ، وهكذا ، وهذه الرموز بعضها قديم معروف عند المحدثين ، وبعضها اختاره السيوطي وجعله اصطلاحاً له في كتابه هذين . أحمد محمد شاكر

الموضوع ومن أهمها الكتب الخمسة الآتية :

- ١ - الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ - ٩٣٩ م .
- ٢ - « من لا يحضره الفقيه » محمد ابن علي بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ - ٩٩١ م .
- ٣ - « تهذيب » الأحكام .
- ٤ - « الاستبصار فيما اختلف فيه الأخبار » (وهو مختار من سابقه) محمد الطوسي المتوفى سنة ٤٥٩ هـ - ١٠٦٧ م .
- ٥ - « نهج البلاغة » (الأقوال المنسوبة إلى علي) لعلي بن طاهر الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ١٠٤٤ م أو لأخيه الشريف الرضى البغدادي (انظر Gesch der: C. Brockelmarn Arab. Litteratur ج ١ . ١٨٧ و ٤٠٤ وما بعدها The Faith of Islam: E. Sell لندن ١٨٨٠ . ص ٦٩ وما بعدها هامش Goldziher المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٤٨ هامش ٤ وله أيضا - Beitröge zur Litte- raturgesch. der Shi a. m Sitz-Ber Wiener Akad, phil- Hist. CL ١٨٧٤ ص ٥٠٨) .

٥ - رواية الحديث

الرأى الغالب بين المسلمين هو أن المعرفة بالعلوم الدينية لا سبيل إليها إلا بتلقين معلم يكون قد تلقاها بالطريقة نفسها . وهذا الرأى اعتنقه المسلمون منذ القدم وطبقوه بوجه خاص على علم الحديث^(١) . فالحديث يجب أن يسمع ، وكان الطلاب يقطعون البيادى والقفار ليحضروا دروس الشيوخ الذين كانوا حجة في هذا العلم ويسمونهم « حملة الحديث » وللنبي أحاديث

(١) ليس هذا التعبير على وجهه . فإنما يريد المحدثون التوثق من الرواية ومن صحتها ومن أدائها كما جاءت ، والسماع من الشيخ أو القراءة عليه في ذلك أضبط وأوثق . وأما العلوم عامة - دينية وغيرها - فالواقع فعلا أنها لا بد فيها من معلم ، ثم يستقل المتعلم بنفسه فيتوسع في العلم بما منح من فهم وفقه فيه ، كل على ما يسره . وبالقدر الذى تنبأ له نفسه ويقتضيه استعداداه .

كثيرة تقول « سافر في طلب العلم »^(١). وهذا يعتبر من الأعمال التي يرضى عنها الله . وفي Goldziher (المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٧٥ - ١٩٣) تفصيلات للرحلات في طلب العلم « وما آل إليه أمرها من فساد . فهو يضرب مثلاً كيف أن العلماء المدعين كانوا يزهون بقطع بلاد شاسعة لسماع القليل من الأحاديث تكون في الغالب مجهولة .

كان الحديث يروى بالسماع من الشيوخ . وكان من المؤلف كذلك أن يقرأ أحد الطلاب نسخة من الحديث بينما يستمع له الآخرون ، وكان الشيخ يصحح القراءة عند الضرورة ويشرح للطلاب ما غمض عليهم ، وفي هذه الحالة أيضاً كانت العادة في رواية الأحاديث الملقنة على هذا النحو أن يقول الشيخ « حدثني أو أخبرني فلان قراءة عليه » وكان للطلاب الذي سمع الحديث بهذه الطريقة بخضرة الشيخ وسماعه أن يرويه لغيره بدوره بعد أن يحصل غالباً على إجازة من شيخه بذلك .

على أن الطريقة القديمة لرواية الحديث لم تكن دائماً مرعية . وأصبح نسخ النصوص المكتوبة وجمعها هو الغالب في نقل الحديث وبطل استعمال التلقين الشفوي . وكانت الأحاديث تنسخ ويجاز تلقينها مبتدئة بالعبارة « المؤلف حدثني » كما لو كانت قد رويت بالسماع من الشيخ . راجع ما كتب عن « الإجازة » في الإسلام وما آل إليه أمرها من فساد في Goldziher المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٩٣ ، A. Sprenger في Zeitschr. der Deutsch Morgenl Gesellsch. ، ج ١٠ ص ٩ وما بعدها و W. Ahlwardt في katal der. arab Hss. der Kgl Bibliothek zu Berlin ج ٢ ، ص ٥٤ ، ٩٥ .

وفي أول الأمر كانت بعض الأوساط تعتبر كتابة الحديث من المحظورات . ولا يوثق إلا بالأحاديث التي ظل يذكرها ويرويها رجال من العدول ، ولم يكن

(١) لانعرف حديثاً بهذا اللفظ . والأحاديث كثيرة في الحظ على الرحلة في طلب العلم ، منها حديث أنس قال . قال رسول الله ﷺ : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي وقال : « حديث حسن » . وانظر (الترغيب والترهيب للمحافظ المنذرى ج ١ ص ٦٢ - ٦٣ - الطبعة المنيرية) . أحمد محمد شاكر

يوثق بالنصوص التي تنسخ في الغالب من غير عناية كافية أو من مصادر لا يعتمد عليها . ولهذا نجد ابن عساكر يقول « اجعل همك طلب الحديث من الرجال أنفسهم لا من الكتب حتى لا يتطرق إلى الحديث ما في الكتب من فساد^(١) » (انظر Goldziher المصدر المذكور ج ٢ ، ص ٢٠٠) .

ومع هذا فإن العلماء الذين نفروا من الأوراق والكتب يذكرون دائماً على أنهم من الشواذ لا غير . ويظهر أن السنة المألوفة كانت تدوين الحديث كتابة حتى في أقدم الأزمنة . على أننا نسلّم في الوقت نفسه بأن الكتابة كانت وسيلة لا غير لمساعدة الذاكرة ، وأن المعرفة الحقة كانت تحفظ في القلب لا في الورق . انظر التفصيلات الخاصة بتدوين الحديث في Goldziher المصدر المذكور ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، ٢٠٢ . وله أيضاً في Zeitschr. des Deutsch Morgenl. Gesellsch ج ١ ، ص ١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٩ ، ج ٦١ ص ٨٦٢ A. Sprenger المصدر المذكور ج ١ ص ١ وما بعدها ، وما كتبه أيضاً في jour the Asiat. Society of Bengal ٣٠٣ ، ٣٢٩ .

المصادر :

إلى جانب الكتب والرسائل المذكورة في صلب المقال :

- ١ - البخاري Les traditions islamiques ، ترجمة عن العربية وعلق عليه ووضع له فهرساً O.Houdas & W. Marçais Public de L'Ecole des Langues or viv. Série IV. t. VI suiv ج ١ - ٣ ، باريس ١٩٠٣ - ١٩٠٨
- ٢ - Le livre: F. Oeltier des testaments du Cahih d'el Bokhari مترجم عن العربية مع التعليق والشرح ، باريس ١٩٠٩
- ٣ - المؤلف نفسه : Le livre des ventes du Cohih d'el Bokari ترجمة مع التعليق والشرح ، باريس ١٩١٠

(١) لم أجد نص كلام ابن عساكر ، وكاتب المقال أحال على كتاب جولد سيهر وهو بلغة أجنبية ، لاندرى مبلغ صحته في النقل . أحمد محمد شاكر

٤ - المؤلف نفسه : Le Livre des ventes du mouwatta de Malik ben

Ann. مترجم مع التعليق ، الجزائر ١٩١١

٥ - Le: W.Marcais taqrib de en-Newawi ترجمة وتعليق (Journ

Asiat : السلسلة التاسعة ، ج ١٦ ، ص ٣١٥ وما بعدها ، ص ٤٧٨
وما بعدها ، ج ١٧ ، ص ١٠١ وما بعدها ، ص ١٩٣ وما بعدها ، ص ٥٢٤
وما بعدها : ج ١٨ ، ص ٦١ وما بعدها) ونشر مستقلا كذلك ، باريس
١٩٠١

٦ - Mishkat ulmasabih: A.N. Matthews or a Collection of the mast

، authentic Traditions regarding the actions and sayings of Mohammed

كنكته ، ١٨٠٩ ، ١٨١٠

٧ - Zue tenden-: Th Nöldeke ziösen Gestaltung der Urgeschichte des

Islam's في Zeitschr. der Deutsch. Morgenl Gesellsch. ج ٥٢ ، ص ١٦ ،
٣٣

٨ - Die Religion des: I.Goldziher Islam (Kultur der Gegenwart, T.I.

Abt. III I Hälfte ص ٩٩ وما بعدها)

٩ - المؤلف نفسه Vorlesungen uber den Islam هيدلبرج ١٩١٠ ،

ص ٤٠ وما بعدها ،

■ الفرق ما بين الآيات القرآنية والحديث القدسي والحديث النبوي :

لا بد أن يدرك أولا أن الكل أوحى به الله عز وجل إلى الرسول ﷺ .

يقول سبحانه : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) .

أولا : الفرق ما بين القرآن والحديث القدسي :

(أ) نخدي الله بالقرآن المعجز ولم يتحد بالحديث القدسي .

(ب) القرآن والحديث القدسي كلاهما بلفظه ومعناه موحى به من الله ولكنه

يتعبد بالنص القرآني فيتلى في الصلاة وليس كذلك الحديث القدسي .
(ج) أنه يمكن رواية الحديث القدسي بمعناه ، أما القرآن فيروي باللفظ والمعنى .

ثانيا : الفرق ما بين الحديث القدسي والحديث النبوي :

ان القدسي معناه ولفظه من الله عز وجل .
أما النبوي فمعناه من الله ولفظه من الرسول .

الحديث القدسي :

هو من حيث المعنى من عند الله تعالى ومن حيث اللفظ فهو من رسول الله ﷺ ، فهو ما أخبر الله تعالى به نبيه بالهام أو بالمنام فأخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه فالقرآن مفضل عليه لأن لفظه منزل أيضا .
■ كتب مصطلح الحديث تدور الدراسة فيها حول موضوعين رئيسيين هما :

- (١) النص الحديثي ودرجاته قوة وضعفا .
- (٢) دراسة شاملة للرواة على أنا إذا تعمقنا في الأمر وجدنا أن البحث في الموضوع الأول وان كان ظاهريا يتناول نص الحديث غير أنه في الحقيقة وزن الحديث من ناحية ارتباطه بالراوي .

ومن علوم الحديث دراسات النسخ والمنسوخ كما هو الحال في الدراسات القرآنية منها :

أولا : كتاب النسخ والمنسوخ لآبي مسلم المغزلي جامع التأويل :

انظر ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعالم اسماعيل باشا محمد أمين بن مير سليم الباباني (منشورات مكتبة

المثني - بغداد . العراق) ..

صححه وطبعه المعلم رفعت بليكه الكليبي ٦١٥/٣ .

في جامع التأويل لمحكم التنزيل في التفسير لمحمد بن بحر الاصفهاني المتوفى سنة ٣٢٢ ، وهو تفسير كبير في أربعة عشر مجلدا على مذهب المعتزلة ، لعله هو أبو مسلم بن محمد بن علي بن مهربد الاصفهاني المتوفى سنة ٤٥٧ قاله في ميزان الاعتدال ٥٣٨/١ .

من كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للاديب مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة .

(مكتبة المثني - بغداد . العراق) .

ثانيا : علم تأويل الحديث :

ويمهد له حاجي خليفة صاحب كشف الظنون بمقدمة عن علم التأويل سواء في القرآن أو الحديث يهنا منها ما يخص تأويل الحديث ومما ذكره من مؤلفات فيه :

(أ) تأويل متشابه الأخبار لابي منصور عبد القاهر ابن طاهر البغدادي ٤٢٩ هـ .

(ب) تأويل مختلف الحديث للامام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .

ثالثا : أبعاد الحديث عند ابن خلدون :

ويكشف ابن خلدون عن العلوم الدينية التي تفرعت من الحديث النبوي وهي في رأيه تنحصر في :

١ - تاريخ الحديث ومنسوخه وهو من أشهر علوم الحديث (المتأخر زمنا ينسخ المتقدم) ... ومن ابرز الاعلام فيه الشافعي .

٢ - طرق الاسانيد والرواة (مراتب الرواية والرواة ومصطلح الحديث في هذا الشأن) .

- ٣ - دراسات في لفظ الحديث .
- ٤ - كان أعلام الحديث من الصحابة متفرقين في الامصار وأحوالهم معروفة وشهرت بيئة الحجاز بأنها أعلى طرق الحديث (البيئات تتميز بطرق خاصة في الحديث) .
- ٥ - كان مالك بن أنس أول من أفرد أحاديث الاحكام على أبواب الفقه .
- ٦ - عني المحدثون بالطرق المختلفة للحديث الواحد كما عنوا بالحديث يتفرق في أبواب متعددة من الفقه .
- ٧ - البخاري جمع ما اتفق عليه المتحدثون ونشره على حسب أبواب الفقه ومن هنا يجيء الحديث مكررا في أكثر من باب .
- ٨ - أمهات كتب الحديث البخاري/ مسلم/ أبو داود/ الترمذي/ النسائي .
- ٩ - دراسات في الحديث ودارسوه : الناسخ والمنسوخ/ القريب/ المؤتلف والمختلف/ الحاكم . ابن الصلاح/ النووي .
- ١٠ - تقويم بن خلدون لامهات كتب الحديث الخمسة .
- ١١ - تفاوت المحدثون في الاكثار من الحديث والاقلال (علة ذلك) .
- ١٢ - الطحاوي ومسنده توسع في الرواية عن مستور الحال ولم يكن ذلك مجمعا عليه في الصحيحين .

رابعاً : شروح الحديث :

ظفر تاريخ الحديث بشروح توقف على فهم نصه من أهمها :

العيني :

هو بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ٨٥٥ هـ .

النووي :

هو محي الدين أبو زكريا محي بن شرف النووي ت ٦٧٦ هـ

القسطلاني :

هو أحمد بن محمد بن أبي بكرة بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن الحسين
القسطلاني القاهري الشافعي ت ٩٢٣ هـ

ابن حجر العسقلاني :

هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني .
ت ٨٥٢ هـ .

شروح البخاري :

- | | |
|---|------------------|
| (١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني . | (٢) فتح الباري |
| لابن حجر العسقلاني . | (٣) ارشاد الساري |
| للقسطلاني . | (٤) بهجة النفوس |
| للكرماني . | |

شروح مسلم :

- | | |
|---------------|--------------|
| (١) صحيح مسلم | شرح النووي . |
|---------------|--------------|

كتب السنن الأربعة :

- | |
|---------------|
| (١) النسائي . |
| (٢) الترمذي . |

- (٣) أبو داود .
 (٤) ابن ماجه .
 (٥) المستدرک علی الصحیحین للحاکم وله تعلیق علیہ للذهبی .
 (٦) سنن البیهقی لیان درجة الحديث .
 (٧) سنن الدارقطني .
 (٨) شرح الدارمي .

شروح الترمذي : شروح أبي داود :

- تحفة الاحوزي . - عون المعبود لأبي داود .

كشف الظنون ٦٣٧/١

أول من صنف في الحديث عبد الملك بن جريح ، ومالك بن أنس - الربيع بن صبيح - البخاري ومسلم - أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي .

شرح الحديث شرح غريبه وأعرابه ومعناه دون تعرض لذكر الأحكام

- أبو عبيد القاسم بن سلام .

- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

أضاف غيرهما ذكر الأحكام وآراء الفقهاء :

- أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي في معالم السنن وأعلام السنن .

فمنهم من ذكر الغريب دون المتن واستخرج الكلمات الغريبة ودونها ورتبها وشرحها كما فعل أبو عبيد أحمد بن محمد المروزي .

ومنهم من قصد استخراج الأحاديث ترغيباً وترهيباً وأحاديث متضمنة أحكاماً شرعية غير جامعة فدونها وأخرج متونها كما فعل أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي .

- ومنهم من جمع بين كتاب رزين وبين الاصول السنة لتهديبه وترتيب أبوابه
وتسهيل مطلبه وشرح غريبه وهو :

أبو السعادات مبارك بن محمد بن الاثير الجزري في جامع الاصول
وشرح صحيح البخاري :
ابن حجر والقسطلاني والعيني .

مجاميع الحديث

ثمة مناهج في جمع مادة الحديث بين صحاح ومسانيد وسنن ...
وتفاوتت مناهج الجمع كما تراوحت درجة الوثاقة في مادة الحديث
المجموعة ، وكان للعلماء جامعي الحديث مناهجهم التي بينوا خططهم العلمية
والشرائط التي وفروها لمادتهم المجموعة ..
فمثلا الحديث المعلق ماحذفت أسانيده ، فهو في الحديث الصحيح كما هو
في الضعيف ..
فهو عند البخاري مثلا لانه يقطع الحديث بحسب موضوعه .. أما مسلم
فحذف للاختصار ...

خامساً : الحديث والتفسير والفقه :

ان أمين الله على وحيه محمدا ﷺ هو أول مفسر له بوحي من الله ...
ولهذا نجد أن موطأ مالك بن أنس يمثل الصورة الأولى للتفسير القرآني في صفائه
وسلاسته ...

ورد عن النبي ﷺ ، وهو كذلك الصورة الأولى للفقه الاسلامي المستمد
من النص القرآني كما أثر عن رسول الله ..

ونسوق فيما يلي نماذج من هذا الشكل الحديثي الذي يعرض للتفسير والفقه منفردين أو مجتمعين .

ص ٤٥ ج ٢ موطأ مالك :

وفيما يلي أمثلة من نصوص عرض منها بن مالك التفسير الاتي القرآني مستنبطا منه الحكم الشرعي للحديث النبوي في ذلك ..

وحدثني عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر صفات معلومات يمر من ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهو فيما يقرأ من القرآن . قال يحيى قال مالك وليس على هذا العمل .

ص ٥٩ ج ٢ موطأ مالك :

وحدثني عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار أن معاوية ابن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال أبو داود سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا الا مثلا بمثل فقال له معاوية ما أري بمثل هذا بأسا ، فقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه : لا أساكنك بأرض أنت بها ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر له فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا تبع ذلك الا مثلا بمثل ووزنا بوزن .

ص ٣٦ ج ٢ موطأ مالك :

وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار أن عبد الله ابن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف اختلفا في المرأة تنفس بعد وفاة زوجها بليال ، فقال أبو سلمة إذا وضعت مافي بطنها فقد حلت للازواج ، وقال ابن عباس آخر الأجلين فجاء أبو هريرة فقال أنا مع ابن أخي يعني أبا سلمة فبعثوا كريبا مولى عبد الله بن عباس إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ

نسأها عن ذلك فجاءهم فأخبرهم أنها قالت ولدت سبيعة الاسلامية بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال قد حلت فانكحي من شئت ...

قال مالك وهذا الأمر الذي لم يزل عليه أهل العلم عندنا .

ص ١٤٧ ج ١ موطأ مالك :

مآء في التكبير والقراءة في صلاة العيدين :

حدثني يحيى بن مالك عن ضمرة بن سعيد المازني عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر فقال كان يقرأ بـ « ق والقرآن المجيد » اقربت الساعة وانشق القمر » .

ص ١٥٥ ج ١ موطأ مالك :

مآء في القبلة :

وحدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس ، ثم حوّلت القبلة قبل بدر بشهرين .

ص ٤٠ ج ١ موطأ مالك :

باب الوضوء :

وحدثني عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن حمير عن مولى عثمان بن عفان أن عثمان بن عفان جلس على المقاعد فجاء المؤذن فأذنه بصلاة العصر فدعا بماء فتوضأ ، ثم قال : والله لأحدثنكم حديثا لولا أنه في كتاب الله ماحدثتكموه ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من امرئ يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الصلاة الاخرى حتى يصلها

قال يحيى قال مالك أراه يريد هذه الآية : أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات وذلك ذكرى للذاكرين .

ص ٢٦ - ٢٧ ج ١ موطأ مالك :

باب الوضوء :

حدثني يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ حين قفل من خيبر أسري حتى إذا كان من آخر الليل عرس ، وقال لبلال اكلاً لنا الصبح ، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه وكلاً بلال ما قدر له ، ثم أسند إلى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من الركب حتى ضربتهم الشمس ففزع رسول الله ﷺ فقال بلال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذي أخذ بنفسك ... فقال رسول الله ﷺ اقتادوا فبعثوا رواحلهم واقتادوا شيئاً ، ثم أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم رسول الله ﷺ الصبح ثم قال حين قضى الصلاة ، من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه أقم الصلاة لذكرى .

سادساً : قصة الحديث والجرح والتعديل

إذا كان الجانب الأول من دراستنا هو الجانب التاريخي من حياة الحديث النبوي والجانب الثاني هو دراسة لنص هذا الحديث فانه من الطبيعي أن يكون ثالث الجوانب هو دراسة نقدية للحديث نلم فيها بأهم المقاييس التي تمثل الاتجاهات الرئيسية في نقد الحديث وفي تشریح سلسلة الرواية .

واذن فلنبداً مع التاريخ الحديث وعلى ماعودنا القدماء من ضبط علمي نقول إن مفهوم الحديث هو ماصح نسبته إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وعلى هذا الاعتبار فان المجال الزمني للحديث هو عصر الرسول لكن كان يعاصر الرسول الصحابة وهؤلاء كانوا يعاشرون الرسول يسمعون قوله ويرون فعله ويسألونه في أمور الحياة اليومية ويأخذون منه الجواب ، وعلى هذا فانه

بعد عصر الرسول ضم إلى الحديث مارواه الصحابة من أخبار ماسمعوا وشاهدوا عن الرسول ، ومن ثم ينفصح المجال الزمني للحديث حتي عصر الصحابة الذين عاشوا زمنا بعد الرسول ثم تتسع دائرة الحديث الزمنية فتشمل أيضا تلامذة الصحابة من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ماسمع أولئك ورأوه من قول الرسول ﷺ وفعله وتقريره وبهؤلاء التابعين يقف المجال الزمني للحديث يرويه رواية حية من سمع أو شاهد أو سأل .

قصة الحديث شائقة حملت معها سمات من التاريخ الاسلامي وأحداثه أثرت فيه وتأثرت به ، فرجال التشريع الاسلامي وجدوا في الحديث مصدرا وثيقا يلي القرآن ولكنه يحدد ما أجمل في القرآن فإذا كان القرآن يدعو إلى الصلاة فإن فعل الرسول ﷺ وقوله أو باصطلاحنا هنا فإن حديث الرسول ﷺ قد فصل كيفية الصلاة ووقتها وعدد ركعاتها والغرض منها ، والنافلة هذه ناحية ، ناحية نجد فيها الحديث يتعرض لتنظيم أمور الحياة العملية والدينية أيام الحرب والسلام على السواء ، فعلى مدى ثلاث وعشرين سنة كان يعرض للناس أيام الرسول ﷺ أشياء في حياتهم اليومية يسألون الرسول فيها ويحجب عنها أو تطرأ عليهم مسائل في دينهم يستفهمون الرسول فيوضحها أو ثمة شئون في السلوك الفردي أو الاجتماعي أو الخلقى تحتاج جميعا إلى بيان من المعلم الاسلامي الأول وعلاقات بين المسلمين والمشركين أوقات السلم أو الحرب للرسول فيها رأي ولجماعة المسلمين استشارة وفكر ، كل هذا سجله الحديث ويتنوع أبوابا حسب الموضوع الذي ينتسب إليه في كتب الحديث المعتمدة والتي سنعرض لأمهراتها فيما بعد ...

ذلك جانب تبدو فيه قيمة الحديث الدينية كمصدر من مصادر التشريع في الاسلام ، ومع ما للحديث من هذه القيمة فقد أحاطت به عوامل شككت في بعضه أول الأمر ، فالقرآن مثلا منذ بداية نزوله كانت تحوطه أسباب الصيانة والحفظ إذ اتخذ الرسول ﷺ كتبه للوحي يدونونه كلما نزل بينما لانجد الرسول يتخذ كتبه للحديث بل تجد في بعض الروايات نهيا واضحا عن تدوين الحديث من مثل مارواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن النبي

ﷺ أنه قال : « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني فلا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ومن جهة أخرى نجد من الروايات ما يبيح تدوين الحديث من مثل ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة من أن خزاعة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته فخطب فقال : « ان الله حبس عن مكة القتل وسلط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنون ، وانها لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ، ألا وانها أحلت لي ساعة من نهار وانها ساعتني هذه حرام لا يختكي شوكتها ولا يعضد شجرها ولا تلتقط ساقطتها الا لمنشد ، فمن قتل له قتيل فهو بخير النظر بين اما أن يقتل ، وأما أن يفاد أهل القتل ، فجاء رجل من أهل اليمن فقال اكتب لي يارسول الله (يريد أن يكتب له الخطبة التي سمعها منه) فقال ﷺ : « اكتبوا لأبي فلان » .

وكذلك ماروي من أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يدون ما يسمعه من حديث الرسول أولا بأول .

ويقف العلماء من هذين الموقفين المتناقضين يوفقون بينهما فيرون أن كلمة النهي عن التدوين إنما كانت أول نزول القرآن وخشية أن يلتبس الحديث بالقرآن خاصة الاسلام ما يزال في بدايته واعتماد العرب على الذاكرة والحفظ ، وعلى أي الاحوال فان الحديث إذا لم يكن كله قد دُون فان كثيرا منه وعته ذاكرة المسلمين ، وان لم يكن هذا الحفظ متساويا في القسمة بين الراوين والحافظين .

وفارق الرسول ﷺ الدنيا مخلفا بعده القرآن وقد دُون أما الحديث فيروي شفاهها بغير تدوين ، ويتولى الصحابة من بعده تطبيق المبادئ الاسلامية معتمدين في ذلك على القرآن كمصدر أول وعلى حديث الرسول ﷺ كمصدر ثان ، وكانوا يتخرجون بخاصة في الأخذ بحديث الرسول ﷺ حتى يستوثقوا من صدقه ، وفي كتب الحديث كثير من الروايات عن أبي بكر وعمر وعلى وغيرهم مما يؤيد مظاهر هذا التخرج في الرواية عن الرسول ﷺ ، ولم

يكن هذا التحرج لأن عوامل الكذب قد بدأت تأخذ سبيلها إلى حديث رسول الله ﷺ ليس بعد وفاة الرسول فحسب وإنما كان بعصره ذاته محدثون .

« من كذب علىّ عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ...

إنما هو تصور للملفات ومزورات وضعت على رسول الله ﷺ وكان من الطبيعي أن توضع في حياته كمظهر من مظاهر الحرب النفسية أو الحرب القولية إن جاز التعبير ، فإذا ما كان عهد أبي بكر وحركة الارتداد أتيح مناخ آخر للوضع والتلفيق وهكذا تجدد على المسلمين في تاريخهم ظروف تحمل على الكذب في حديث الرسول وتعاون في هذا الكذب ناس من أعداء الاسلام وآخرون من المسلمين أنفسهم .

وتصور لنا كثير من الروايات مظاهر هذا الوضع في الحديث سواء على يد من ساءت نيتهم أو بواسطة من حسن مقصدهم ، فعبد الكريم بن أبي العوجاء يقر بوضع أربعة آلاف حديث ، وعبد الكريم هذا هو خال معن بن زائدة الذي اتهم الماثونية أحاديثه فيها من التشبيه والتعطيل وتغيير أحكام الشريعة الشيء الكثير الذي يتنافى والاسلام وهذه أحاديث التفسير وقد بلغت بضعة آلاف لم يصح منها عند ابن حنبل شيء ، وإذا كانت عدة الاحاديث في صحيح البخاري سبعة آلاف منها ثلاثة آلاف مكررة فانه يقال أن البخاري انتخبها من نحو ستمائة ألف حديث استفاضت روايتها في عصره .

ويذكر مسلم رواية لابن سعيد القطان أنه قال : « لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث ، ويفسر هذا مسلم بأنه يجري الكذب على لسانهم ولا يعمدون الكذب وسنعرض عما قليل لتفصيل هذا .

لقد كان بعض الرواة سليم النية فيما يروي فهو يجمع كل ما أتاه على أنه صحيح وهو في ذاته صادق لكن ما جمعه فيه نظر مثال هذا ما قيل في عبد الله بن المبارك من أنه ثقة صدوق اللسان ولكنه يأخذ عن أقبل وأدبر .

وجماعة أخرى كانت لا تري بأسا في الوضع مادام الكلام في ذاته حقا ، منهم طوائف الوعاظ والقصاص والزهاد يقول واحد منهم هو محمد بن سعيد الدمشقي إذا كان كلام حسن لم أر بأسا أن أجعل له اسنادا .

وليس هنا مجال تفصيل القول في مظاهر وضع الحديث فذلك أمر يطول ولكن كان للوضع أسباب أهمها مايلي :

أولا : الخصومة السياسية بين الصحابة وكان المتعصبون يضعون الاحاديث في فضل صاحبهم بينما تكون أحاديثهم الأخرى الموضوعة في طعن خصمهم نجد مظهرا من هذا فيما وضعت الشيعة من أحاديث في فضل علي والطعن في أبي بكر ، وعلى نفس المنوال صنع المتعصبون لأبي بكر وجاءنا من هذا فيمن نتج عن الخصومة بين علي ومعاوية وبين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ثم بين الامويين والعباسيين والعلويين بعضهم مع بعض .

ويتصل بهذه الخصومة السياسية الخصومة القبلية فوجدت القبائل في الحديث مجالا تتفاخر فيه وتنازع غيرها السيادة والشرف وجاءنا من الحديث الموضوع كثير في فضل قريش وجهين وأسلم ... الخ . كذلك كان الحديث موضوعا للعصبية الجنسية فكان هناك الحديث الذي يرفع من شأن العرب ويحط من شأن الاجناس الاخرى كالفرس والروم والترك والحبشة ... الخ .

وكان علي الأخيرين أن يضعوا من الحديث ما يحط من شأن العرب ويرفع من أمر جنسياتهم ، وتعدي الحديث الموضوع نطاق السياسة والقبيلة والجنس إلى مجال الاماكن والبلدان فقل أن نجد بلدا كبيرا الا وفيه حديث يشيد بفضله فمصر ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس ... الخ كلها فيها أحاديث موضوعه .

ثانيا : الخلافات الكلامية والفقهية :

فلقد حاولت كل فرقة كلامية أن تدعم مذهبها بأن تسند مبادئها إلى أحاديث وآثار عن الرسول وأن تذكر من جهة ثانية أحاديث أخرى تطعن في الفرق المخالفة لها ولا تكتفى بهذا وإنما يجيء من الحديث ما فيه طعن صريح يتضمن اسم رئيس الفرقة المخالفة ويفصل

في دقائق المسائل الكلامية مما لا يعقل صدوره عن الرسول ﷺ وليس مما يتفق وطبيعة الاشياء أن يكون حتى في عصر الرسول نفسه وفي ميدان الفقه نجد أنه في الخلافات الدقيقة يجلب الفقهاء الاحاديث المناصرة لتفريعاتهم الفقهية حتى أننا نجد في كتب الفقه الحنفى الكثير جدا من الاحاديث التى تنصر هذا الجانب من الرأي الفقهي وفي الوقت عينه أحاديث أخرى تؤيد الجانب المخالف ويستفيض هذا الحديث في كتب الفقه الحنفى بينما صاحب المذهب نفسه الامام أبو حنيفة لم يصح عنده من الاحاديث شيء ، بل ان ابن خلدون يذكر أن ما استجازه أبو حنيفة من الحديث لا يتجاوز سبعة عشر حديثا .

ثالثا : رأي بعض من أحبوا الدنيا أن يتوسلوا إلى الامراء والخلفاء بالدين فوضعوا الحديث الذي يتفق وهوى هؤلاء الامراء والخلفاء وساروا بذلك في تيار النفاق الذي سلكه من قبلهم الادباء شعراء وكتاب .

رابعا : قصد بعض الصالحين قصدا حين رأوا اقبال الناس على الدنيا واشتغالهم بغير الدين أن يضعوا الحديث مرغبين ومرهبين فكان منهم من تصدق لوضع أحاديث في فضائل سور القرآن سورة سورة ونجد أمثلة لها في تفسير الكشاف يجيء بها في نهاية تفسير كل سورة وعمل في هذا الطريق جماعة الزهاد والقصاص .

خامسا : حين اتسعت الدولة الاسلامية بفتحها أمصارا ذات حضارات قديمة وديانات بائدة وثقافات مختلفة كان من الطبيعي والسيادة ماتزال للدين متمثلا في الكتاب والسنة ... كان من الطبيعي أن تتسرب آثار هذا كله عن طريق الحديث لكي يقبله الناس ولكي يجد سبيلا إلى قلوبهم وبذلك كان الحديث معرضا متباين الصور تري فيه الحكم الفقهي المصنوع والحكمة الهندية والفلسفة الزردشتية والموعظة الاسرائيلية أو النصرانية .

دفعت هذه الفوضى في صناعة الحديث وروايته جماعة من العلماء الثقات إلى أن ينهجوا مناهج في تنقية الحديث وتمييز صادقه من كاذبه ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى نقد الاسناد لمعرفة قيمة المحدث وهكذا بدأ هؤلاء في تشریح الرجال المحدثين بتجريحهم أو تعديلهم مستثنين الصحابة وان كان فريق آخر يخضع الصحابة لمقاييس النقد .

« قال الغزالي : والذي عليه سلف الأمة وجماهير الخلف أن عدالتهم (أي الصحابة) معلومة بتعديل الله عز وجل اياهم وثنائه عليهم في كتابه ، فهو معتقدنا فيهم الا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه بذلك ، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل ، وقد زعم قوم أن حالهم كحال غيرهم في لزوم البحث وقال قوم : حالهم العدالة في بداية الأمر إلى ظهور الحرب والخصومات ثم تغيرت الحال وسفكت الدماء فلا بد من البحث ... ثم فسر الصحابي المعني بهذا بمن كثرت صحبته للنبي ﷺ » .

ونتوقف هنا عند مؤلف في القرن الهجري هو شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) في كتابه ميزان الاعتدال فانه يوضح لنا في مقدمته أموراً هامة يبدأها بذكر أهم المؤلفات في الجرح والتعديل .

« فهذا كتاب جليل مبسوط في ايضاح نقلة العلم النبوي وحملة الآثار ألفته بعد كتابي المبعوث بالمغني وطولت العبارة ، وفيه أسماء عدة من الرواة زائدة على من في المغني زدت معظمهم من الكتاب الحامل المذيل على الكامل لابن عدي ...

وقد ألف الحفاظ مصنفات جمة في الجرح والتعديل ما بين اختصار وتطويل ، فأول من جمع كلامه في ذلك الامام الذي قال فيه أحمد بن حنبل مارأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان وتكلم في ذاك بعده تلامذته يحيى بن معين وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل وعمرو بن علي الفلاس وأبو خيثمة وتلامذتهم كأبي زرعة وأبي حاتم والبخاري ومسلم وأبي اسحق الجوزجاني السعدي وخلق من بعدهم مثل النسائي وابن خزيمة والترمذي والدولابي والعقيلي وله مصنف مفيد في معرفة الضعفاء ولأبي حاتم بن حبان كتاب كبير

عندي في ذلك ولأبي أحمد بن عدي كتاب الكامل وهو اكمل الكتب وأجلها في ذلك ، وكتب أبي الفتح الأزري وكتاب أبي محمد بن أبي حاتم في الجرح والتعديل والضعفاء للدارقطني والضعفاء للحاكم وغير ذلك ، وقد ذيل ابن طاهر المقدسي على الكامل لابن عدي بكتاب لم أره وصنف أبو الفرج بن الجوزي كتابا كبيرا في ذلك كنت اختصرته أولا ثم ذيلت عليه ذيلا بعد ذيل ويشرح منهجه في كتابه : « والساعة فقد استخرت الله عز وجل في عمل هذا المصنف ورتبته على حروف المعجم حتى في الآباء ليقرب تناوله ورمزت عليه اسم الرجل من أخرج في كتابه من الأئمة الستة البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة برموزهم السائرة ، فان اجتمعوا على إخراج رجل فالرمز ع وان اتفق عليه أرباب السنن فالرمز عو ، وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين وبأقل تجريح فلولوا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته ولم أر من الرأي أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتلين مافي كتب الأئمة المذكورين خوفا من أن يتعقب على لا أنى ذكرته لضعف فيه عندي وما كان في كتاب البخاري وابن عدي وغيرهما من الصحابة فاني اسقطهم لجلالة الصحابة رضي الله عنهم ولا أذكرهم في هذا المصنف إذ كان الضعف إنما جاء من جهة الرواة إليهم ، وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة المتبوعين في الفروع أحدا لجلالتهم في الاسلام وعظمتهم في النفوس مثل أبي حنيفة والشافعي والبخاري فان ذكرت أحدا منهم فاذكره على الانصاف وما يصيره ذلك عند الله ولا عند الناس إذ إنما يضير الانسان الكذب والاصرار على كثرة الخطأ والتجري على تدليس الباطل فانه خيانة وجناية والمرء المسلم يطبع على كل شيء الا الخيانة والكذب » .

ويسرد فئات من الكذابين والوضاعين ممن احتواهم كتابه « فقد احتوي كتابي هذا على ذكر الكذابين والوضاعين المعتمدين قاتلهم الله ، وعلى الكاذبين في أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا ثم المتهمين بالوضع أو التزوير ، ثم على الكذابين في لهجتهم لافي الحديث النبوي ، ثم على المتروكين الهلكى الذين كثر خطأهم وترك حديثهم ولم يعتمد على روايتهم ثم على الحفاظ الذين في دينهم رقة وفي عدالتهم وهن ، ثم على المحدثين الضعفاء من قبل حفظهم فلم غلط وأوهام ولم

يترك حديثهم بل يقبل مارووه في الشواهد والاعتبار بهم لا في الاصول والحلال والحرام ، ثم على المحدثين الصادقين أو الشيوخ المستورين الذين فيهم لين ولم يبلغوا رتبة الأثبات المتقنين ، ثم على خلق كثير من المجاهولين ممن ينص أبو حاتم الرازي على أنه مجهول أو يقول فيه غيره لا يعرف أو فيه جهالة أو يجهل أو نحو ذلك من العبارات التي تدل على عدم شهرة الشيخ بالصدق إذ المجهول غير محتج به ، ثم على الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة وضعهم مع الكذابين بسبب النقد وإن كان متعنتا وهم ليسوا من هذه الفئة ، أو الثقات الذين تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه في ذلك الثقة لكونه تعنت فيه وخالف الجمهور من أولى النقد والتحرير فائنا لاندعي العصمة من السهو والخطأ في الاجتهاد في غير الانبياء عليهم السلام .

ثم البدعة كبري وصغري روي عاصم الأحول عن ابن سيرين قال لم يكونوا يسألون عن الاسناد حتى وقعت الفتنة فلما وقعت نظروا من كان من أهل السنة أخذوا حديثه ومن كان من أهل البدع تركوا حديثه ..

وروي هشام عن الحسن قال : لاتفتاحوا أهل الاهواء ولا تسمعوا منهم فالتلين بالبدعة باب خلف فيه اختلاف بين العلماء ليس هذا موضع تقريره ... ولم أتعرض لذكر من قيل فيه محله الصدق ولا من قيل فيه لا بأس به ولا من قيل هو صالح الحديث أو يكتب حديثه ، أو هو شيخ فان هذا وشبهه يدل على عدم الضعف المطلق ويتلوهم بذكر مراتب الثقات المعدلين .

فأعلى العبارات في الرواة المقبولين ثبت حجة حافظ وثقة متقن ، وثقة ثم ثقة ، ثم صدوق ، ولا بأس به ، وليس به بأس ثم محله الصدق ، وجيد الحديث ، وصالح الحديث ، وشيخ وسط وشيخ حسن الحديث ، وصدوق إن شاء الله ، وصويلح ، ونحو ذلك .

ويبين تفصيلا مراتب الجرح « وأردأ عبارات الجرح : دجال كذاب ، أو وضاع يضع الحديث ، ثم حقهم بالكذب ، ومتفق على تركه ثم متروك ، ليس بثقة ، وسكتوا عنه ، وذهب الحديث ، وفيه نظر وهالك ، وساقط ، ثم واه بكرة ، وليس بشيء ، وضعيف جدا ، وضعفوه ضعيف واه ، وفيه ضعف ،

وقد ضعف ، ليس بالقوي ، ليس بحجة ، ليس بذاك ، يعرف وينكر ، فيه مقال ، تكلم فيه ، لين ، سيء الحفظ لا يحتاج به ، اختلف فيه ، صودق لكنه مبتد « ، ونحو ذلك من العبارات التي تدل بوضعها على اطراح الراوي بالاصالة أو على ضعفه أو على التوقف فيه ، أو على جواز أن يحتاج به مع لين مافيه .

نعم وكذلك من قد تكلم فيه المتأخرين لا أورد منهم الا من قد تبين ضعفه وأتضح أمره من الرواة إذ العمدة في زماننا ليس على الرواة بل على المحدثين والمقيدين والذين عرفت عدالتهم وصدقهم في ضبط اسماء السامعين ، ثم من المعلوم أنه لا بد من صون الراوي وستره فالحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ثلثمائة ولو فتحت على نفسي تليين هذا الباب لما سلم معي الا القليل إذ الأكثرون لا يدرون ما يروون ولا يعرفون هذا الشأن إنما سمعوا في الصغر واحتيج إلى علو سندهم في الكبر ، فالعمدة على من قرأ لهم وعلى من أثبت طباق السماع لهم كما هو مبسوط في علوم الحديث .

أمثلة تطبيقية على الجرح والتعديل من ميزان الاعتدال للذهبي

| | |
|-------|---------------------|
| ص ١٥ | ابراهيم بن خالد |
| ص ٢٠ | ابراهيم بن عبد الله |
| ص ١٧٦ | جابر بن زيد الجعفي |
| ص ٢٩٦ | خالد بن زكوان |
| ص ٤٣٧ | سويذة بنت جابر |
| ص ٤٤٠ | شبيب بن بشر |
| ص ٤٥٥ | صالح بن أبي حسان |
| ص ٤٧٣ | ضمرة بن حبيب الحمصي |
| ص ٤٧٧ | طلحة بن جبير |
| ص ٤٨١ | ظيان |

ويبدو أن تاريخ الجرح والتعديل يمتد في الزمان إلى عصر مبكر فقد كان من ذلك روايات نسبت إلى عهد الصحابة على لسان عبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك ، ويزداد الامر اتساعا في عهد التابعين فيكون من أعلام الجرح والتعديل كالشعبي وابن سيرين والحسن البصري وسعيد بن المسيب وغيرهم ، وكان للخلاف المذهبي أكبر الاثر في الجرح والتعديل فبينما كان رجال السنة يجرحون الاحاديث التي تروىها الشيعة عن علي ويرون أنه لا يصح الرواية عنه الا عن غير طريق الشيعة مثل طريق عبد الله بن مسعود بينما كان الامر هكذا من جانب أهل السنة نري أهل الشيعة لا يعدلون من الاحاديث المنسوبة لعلي الا ما كان طريقه الرواه الشيعيين وهكذا

وكان من أثر هذا أن من يجرحه قوم قد يعدله آخرون واستفاض الأمر إلى حد تصوره عبارة شمس الدين الذهبي حين يقول (لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة) وإذا عدونا ماقد يكون في هذه العبارة من مبالغة الا أنها من غير شك دليل على مدى سعة الخلاف بين القوم في التجريح والتعديل .

وعلى كل حال فقد كان مدار اهتمام نقاد الحديث هو سلسلة السند أو الرواة أما متن الحديث نفسه فقل أن نظفر منهم فيه بنقد يقبله أو يزيفه ، ولنا عودة إلى بيان بعض تلك المقاييس التي كان يمكن اتخاذها في نقد نص الحديث .

اختلف الصحابة في الحديث عن رسول الله كثرة وقلة حسب ما أتيح لهم من مدة الصحبة وكثرة من روي عنهم وحياتهم زمنا بعد الرسول ﷺ إلى غير ذلك من أمور يمكن تبينها حين نتعرض لترجمات حياتهم . فأكثرهم حديثا أبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وعبد الرحمن بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر وأنس بن مالك فحديث أبي هريرة ٥٣٧٤ حديثا ، ولعائشة ٢٢١٠ ولعبد الله بن عمر وأنس بن مالك ما يقرب من مسند عائشة ، ولكل من جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس أزيد من ١٥٠٠ ، على حين أننا نجد مثلا لعمر بن الخطاب ٥٣٧ حديثا لم يصح منها الا نحو الخمسين .

وتتلمذ على الصحابة جماعة التابعين وتكونت منهم على مر العصور سلاسل

من الرواة والمحدثين ذكر لنا نقاد الحديث أعدّها وأوثقها رواية للحديث قالوا مثلاً أصح أسانيد أبي بكر : (اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر) ، وأصح أسانيد عمر (الزهري عن سالم عن أبيه عن جده وهو عمر -) ، وأصح أسانيد أبي هريرة : (الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة) وأصح أسانيد عائشة (عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة) وهكذا ..

ونتوقف قليلاً عن الخوض في شأن توثيق الحديث اسناداً أو نصاً لتتابع رحلة الحديث في التاريخ فيلفتنا أن القرن الأول جميعه يكاد يمضي ولم يصبغ الخلفاء الحديث بالصيغة الرسمية التي كان القرآن قد سبق واتخذها ، نقصد أن الخلفاء لم يفكروا في أن يجمعوا ما في أيدي الناس من الحديث المروي ويستوثقوا منه ثم يعهدوا إلى جماعة من الصحابة بتدوين تلك الاحاديث الموثقة في كتاب يضم شتاتها وترسل منه نسخ إلى الامصار المختلفة .

كان من غير شك ثمة عوائق كثيرة لعل من أخطرها أن الرسول ﷺ حين لحق بربه كان عدد من خلفه من الصحابة يقرب من نحو مائة وأربعة عشر ألف صحابي فيهم من سمع الحديث أو الحديثين أو مافوق ذلك ومنهم من شهد من المناسبات وأحداث التاريخ الاسلامي وتصرف الرسول ﷺ فيها قولاً أو فعلاً ما لم يشهد غيره .

كان اذن من الصعب جمع هذا العدد الجم واستعراض مآلديهم من حديث قد تفرق في كل أنحاء الدولة الاسلامية المتسعة وجلهم ان لم يكونوا جميعاً إنما يعتمدون على الذاكرة فربما قد نسوا الكثير مما سمعوه وإنما يثيرهم مناسبة أو ظرف ما فيطفو إلى ذاكرتهم حديث قاله الرسول ﷺ أو فعل أقر عليه إلى كثير غير ذلك من عوامل يمكن تصورهما ، ومن ثم ادراك مدي صعوبته ، بل واستحالة أن يدون الحديث وسط هذا الجو لكنه مامن شك في أن الفوضى التي أصابت رواية الحديث قد كان يمكن تجنبها لو أن فكرة التدوين اقتصر فيها على ماين أيدي كبار الصحابة ويجمع الناس من بعد على رواية هذا المجموع المدون الموثق .

وقد تأرجحت هذه الفكرة (فكرة جمع الحديث وتدوينه) بين الظهور والاختفاء فعرضت لعمر بن الخطاب ، يروي عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن واستشار فيه أصحاب رسول الله ﷺ فأشار عليه عامتهم بذلك ، فلبث شهرا يستخير الله في ذلك شاكا فيه ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : « انى ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله وانى والله لا ألبس كتاب الله بشيء » .

وفي العصر الاموي يطلب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل العلم بل يوجه نداء عاما إلى أهل الآفاق يطلب منهم أن يجمعوا ما بين أيديهم من حديث ويدونوه لكن التاريخ لم يحفظ لنا نتيجة عملية لهذا الطلب فلعل عمر بن عبد العزيز قد توفى قبل أن تتحقق فكرته وأهمل من بعده هذا الامر .

ثم ماتلبث هذه الفكرة أن تظهر في العصر العباسي في عهد ألى جعفر المنصور يروي مالك بن أنس : لما حج المنصور قال لى : قد عزمت على أن آمر بكتيبك هذه التى وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره ، فقلت يا أمير المؤمنين لاتفعل هذا فان الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، ودانوا به ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم » .

ونستنبط من هذا الخبر أن النية لم تكن مقصورة لديه فحسب على جمع الحديث وتدوينه إنما تعدته إلى أخذ الناس جميعا بتشريع واحد يتطور فيما بعد .

وهكذا مضى القرن الأول ولم يتخذ تدوين الحديث صفة رسمية وإنما كان يدونه نفر قليل لأنفسهم ، ويحيىء القرن الثانى الهجرى فتنهض جماعة من الامصار المختلفة تجمع الحديث لا بالمعنى الذى ذكرنا قبل ، ولكن بمعنى أن كل عالم جمع الاحاديث التى رويت له وصحت عنده قال ابن حجر فى شرح البخاري : « وأول ما جمع من الحديث ذلك الربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ هـ ، وسعيد بن أبى عمرويه (سنة ١٥٦ هـ) إلى أن انتهى الأمر إلى كبار

الطبعة الثالثة ، وصنف الامام مالك الموطأ بالمدينة ، وعبد الملك بن جريج بمكة ، والاوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالكوفة ، وحماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ، ثم تلاهم كثير من الائمة في التصنيف كل على حسب ماسنح له وانتهي إليه علمه « فمنها مارتب حسب أبواب الفقه كالموطأ والبخاري ومسلم ، ومنها مارتب حسب الرواة ، فيجمع ماروي أبو هريرة مثلاً ثم ماروي أنس بن مالك ، وهكذا كمسند الامام أحمد ، ولانتعرض لوصف هذه الكتب فانها ألفت بعد عصرنا الذي نؤرخه .

* * *

أمثلة تطبيقية من كتاب « ميزان الاعتدال لشمس الدين الذهبي »

حرف الألف

١ - أبان ابن اسحاق (ت الترمذي) المدني ، عن الشباح بن محمد ، وعنه يعلى بن عبيد . قال ابن معين وغيره ليس به بأس ، وقال أبو الفتح الازدي : متروك ، قلت : لا يترك ، فقد وثقه أحمد والعجلي ، وأبو الفتح يسرف الجرح ، وله مصنف كبير إلى الغاية في المجروحين ، جمع فأوعى ، وجرح خلقاً بنفسه لم يسبقه أحد إلى التكلم فيهم ، وهو المتكلم فيه ، وسأذكره في المحمدين أخبرنا أحمد بن هبة الله عن عبد المعز بن محمد ، أنبأنا زاهر ، أنبأنا أبو بكر البيهقي ، أنبأنا جناح القاضي ، حدثنا أبان بن اسحاق عن الصباح ، حدثنا بن دميم حدثنا أحمد بن أبي عزره ... أنبأنا يعلى ... حدثنا أبان بن اسحاق بن محمد ، عن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود قال : رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء » .

(الحديث أخرجه الترمذي والصباح) .

٢ - أبان بن تغلب (م . عو) الكوفي شيعي جلد . لكنه صدوق ، فلنا

صدقه .. وعليه بدعته ... وقد وثقه أحمد بن حنبل ، وابن معين وأبو حاتم ، وأورده ابن عدي وقال : كان غاليا في التشيع .

وقال السعدي : ذائع مجاهر .

فلقائل أن يقول : كيف ساغ توثيق مبتدع وحدّ الثقة العدالة والاتقان ؟

فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة ؟

وجوابه أن البدعة على ضربين : فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ..

فيورد حديث هؤلاء جملة لما رووا من الآثار النبوية فهذه مفسدة بينة ، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل للرافضة والغلو فيه والخط من أبى بكر وعمر رضي الله عنهما والادعاء إلى غير ذلك فهذا النوع لا يحتاج بهم ولا كرامة ...

وأیضا فمما استحضر الآن في هذا الضرب رجلا لا صادقا ولا مأمونا بل الكذب شعارهم ، والنفاق دثارهم ... فكيف يقبل نقل من هذا حاله ؟

فالشيعة الغالى في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه وتعرض لسبهم ... والغالى في زماننا وعرفنا هو الذي يكفره هؤلاء السادة ويتبوأ من الشيخين أيضا فهذا ضال مقصر (ولم يكن أبان بن تغلب يعرض للشيخين أصلا بل قد يعتقد عليا أفضل منهما) .

* * *

سابعاً : علم الرقائق :

ونقصد به ذلك العلم الذى يتجه إلى الوعظ وترقيق القلوب بالقرآن والحديث . ونذكر هنا ما يخص الحديث .

(أ) كتاب الترهيب والترغيب^(١)

تأليف : الحافظ المنذرى

هو من رجال الحديث المصريين المبدعين فى القرن السابع الهجرى إذ أن الحافظ المنذرى قد صنف الحديث النبوى وفقا لموضوعى الترغيب والترهيب بينما الحديث فى كتب الصحاح والسنن مرتب على أبواب الفقه .

وللمنذرى مقدمة عن منهجه فى الكتاب الذى يصرح بأن فيه أحاديث ضعيفة من علاماتها بدؤه الحديث بلفظة (عن ..) وعدم تعليقه على الحديث فى نهاية روايته .

ولهذا الكتاب طبقتان الأولى بتحقيق (الهراس) وينبه على الأحاديث الضعيفة فى نهايتها . والطبعة الثانية لمصطفى عماره بلا تعليق .

(١) تحقيق مصطفى محمد عماره ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع من ص ٣٥-٣٨ ، ٩٢ ، ٩٤ .

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى رحمه الله تعالى :

الحمد لله المبدىء المعيد^(١)، الغنى الحميد ، ذى العفو الواسع والعقاب الشديد ، من هداه فهو السعيد السديد^(٢) ومن أضله فهو الطريد البعيد^(٣)، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد ، يعلم مآظهر ومابطن ، وماخفى وماعلن^(٤)، وما هجن^(٥) وماكمل ، وهو أقرب إلى كل مريد من حبل الوريد^(٦)، قسم الخلق قسمين ، وجعل لهم منزلتين ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، إن ربك فعال لما يريد ، ورغب فى ثوابه ، ورهب^(٧) من عقابه ، والله الحجة البالغة ، ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد . أحمدده هو أهل الحمد والتحميد ، وأشكره والشكر لديه من أسباب المزيد^(٨)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد ، والبطش^(٩) الشديد ، شهادة كافلة لى عنده بأعلى درجات أولى التوحيد ، فى دار القرار^(١٠) والتأييد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله البشير^(١١) النذير، أشرف من أظلت السماء وأقلت البيد^(١٢) ﷺ تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والسلام على رسول الله ، وبعد :
فهذا شرحى على الترغيب والترهيب المسمى (فتح جديد) أسأل الله أن ينفع به كما نفع بأصله إنه هو الحميد المجيد .

- (١) الهى الخلائق يوم الحشر . (٢) المتوفى للصواب . (٣) المحروم من رحمة الله عز وجل .
(٤) ظهر . (٥) هجن ، الفحنة فى الكلام : العيب والتبجح (٦) المريد : من له إرادة ، يعنى به الإنسان ، والوريد : عرق فى العنق : أى أن الله تعالى أقرب من مجرى الدم فى العروق وأولى بالنصر وطلب الإعانة . (٧) خوف من عقابه . (٨) تكثير النعم . (٩) الانتقام .
(١٠) الدار : اثنتان الجنة والنار ، والمراد هنا الجنة . والقرار : الاستقرار فى المكان ، والمعنى أنه يشهد لله شهادة تكون كافلة له بالاستقرار فى الجنة . (١١) يبشر الصالحين بالجنة ، ويخوف العاصين من النار . (١٢) أقلت : حملت . والبيد جمع يبداء كصحراء وزناً ومعنى ، والمراد جميع الأرض

وعلى آله وأصحابه أولى^(١) المعونة على الطاعة والتأييد صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد ، ولا تنفذ^(٢) مادامت الدنيا والآخرة ولا تبيد .

أما بعد : فلما وفقني الله سبحانه وتعالى لإملاء كتاب مختصر أبي داود ، وإملاء كتاب الخلافات ، ومذاهب السلف ، وذلك من فضل الله علينا وسعة منه . سألتني بعض الطلبة أولى الهمم العالية ممن اتصف بالزهد في الدنيا والإقبال على الله عز وجل بالعلم والعمل ، زاده الله قربا منه وعزوا^(٣) عن دار الغرور^(٤) أن أملئ كتابا جامعا في : الترغيب والترهيب ، مجردا عن التطويل بذكر إسناد أو كثرة تعليل ، فاستخرت الله تعالى وأسعفته بطلبته ، لما وقر عندي من صدق نيته وإخلاص طويته ، وأملت عليه هذا الكتاب : صغير الحجم غزير العلم ، حاويا لما تفرق في غيره من الكتب مقتصرا فيه على ماورد ، صريحا في الترغيب والترهيب ، ولم أذكر ما كان من أفعال النبي ﷺ المجردة عن زيادة نوع من صريحهما إلا نادرا في ضمن باب أو نحوه لأنني لو فعلت ذلك لخرج هذا الإملاء إلى حد الإسهاب الممل ، مع أن الهمم قد داخلها القصور^(٥) ، والبواعث قد غلب عليها الفتور^(٦) . وقصر العمر مانع من استيفاء المقصود ، فأذكر الحديث ثم أعزوه^(٧) إلى من رواه من الأئمة أصحاب الكتب المشهورة التي يأتي ذكرها ، وقد أعزوه إلى بعضها دون بعض طلبا للاختصار لاسيما إن كان في الصحيحين أو في أحدهما ، ثم أشير إلى صحة إسناده وحسنه أو ضعفه ونحو ذلك ، إن لم يكن من عزوته إليه ممن التزم إخراج الصحيح فلا أذكر الإسناد كما تقدم ، لأن المقصود الأعظم من ذكره إنما هو معرفة حاله من الصحة والحسن والضعف ونحو ذلك ، وهذا لا يدركه إلا الأئمة الحفاظ أو لو المعرفة التامة والإتقان فإذا أشير إلى حاله أغنى عن التطويل بإيراده ، واشترك في معرفة حاله من له يد في هذه الصناعة وغيره . وأما دقائق العلل فلا مطمع في شيء منها لغير الجهابذة^(٨) من النقاد أئمة هذا الشأن ، وقد أضربت عن ذكر كثير منها في هذا الكتاب طلبا للاختصار وخوفا من التنفير المناقض للمقصود ، ولأن من تقدم

(١) الذين نصره وعزروه . (٢) تفنى . (٣) أي زهدا وانصرافا . (٤) الدنيا الفانية . (٥) العجز . (٦) الملل . (٧) أنسبه . (٨) العلماء الأفاضل الراسخون في العلم .

من العلماء رضى الله عنهم أساغوا^(١) التساهل في أنواع من الترغيب والترهيب ، حتى إن كثيراً ذكروا الموضوع ولم يبينوا^(٢) حالة ، وقد أشبعنا الكلام على حال كثير من الأحاديث الواردة في هذا الكتاب وفي غيره من كتبنا ، فإذا كان إسناد الحديث صحيحاً أو حسناً أو مقاربهما صدّرت بلفظة : عن ، وكذلك إن كان مرسلًا أو منقطعاً أو معضلاً أو في إسناده راوٍ مبهم أو ضعيف وثق أو ثقة ضعيف وبقية رواة الإسناد ثقات أو فيهم كلام لا يضّر . أو روى مرفوعاً والصحيح وقفه . أو متصلاً والصحيح إرساله أو كان إسناده ضعيفاً لكن صححه أو حسّنه بعض من خرّجه ، أصدره أيضاً بلفظه : عن ، ثم أشير إلى إرساله وانقطاعه أو عضله أو ذلك الراوى المختلف فيه ، فأقول في رواية أو من طريق فلان أو في إسناده فلان أو حول هذه العبارة ولا أذكر ما قيل فيه من جرح وتعديل خوفاً من تكرار ما قيل فيه كلما ذكر وأفردت هؤلاء المختلف فيهم باباً في آخر الكتاب ، أذكرهم فيه مرتباً على حروف المعجم ، وأذكر ما قيل في كل منهم من جرح وتعديل على سبيل الاختصار ، وقد لا أذكر ذلك الراوى المختلف فيه ، فأقول إذا كان رواة إسناد الحديث ثقات وفيهم من اختلف فيه : إسناده حسن أو مستقيم أو لا بأس به ونحو ذلك حسبما يقتضيه حال الإسناد والمتن وكثرة الشواهد ، وإذا كان في الإسناد من قيل فيه كذاب أو وضاع أو متهم أو مجمع على تركه أو ضعفه أو ذاهب الحديث أو هالك أو ساقط أو ليس بشيء أو ضعيف جداً أو ضعيف فقط أو لم أر فيه توثيقاً بحيث لا يتطرق إليه احتمال التحسين صدّرت بلفظة : روى ، ولا أذكر ذلك الراوى ولا ما قيل فيه ألينة فيكون للإسناد الضعيف دلالتان : تصديره بلفظة : روى ، وإهمال الكلام عليه في آخره ، وقد استوعبت جميع

(١) أجازوا . (٢) يريد أن يعتذر عن ترك بيان كثير من دقائق العلل ، فاعتذر بأن كثيراً من العلماء أجازوا التساهل في أنواع من الترغيب والترهيب ، حتى أدى التساهل لبعضهم إلى ذكر أحاديث موضوعة مع عدم بيان وضعها ، فإذا كانوا قد تساهلوا إلى هذا الحد ، فليس بعيب على المؤلف أن لا يبين دقائق العلل ، وهذا عذر مقبول ، وليس مراد المؤلف أن يجوز رواية الحديث الموضوع من غير بيان حالة ، فقد قال ﷺ « من حدث عني بخديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » رواه مسلم . فعلى راوى الحديث أن يثبت من صحته ولا يروى ضعيفه وإن أجاز به بعض العلماء في ذكر الترغيب في الخير وبيان فضائل الأعمال .

ما كان من هذا النوع من كتاب :

- (١) موطأ مالك
- (٢) وكتاب مسند الإمام أحمد
- (٣) وكتاب صحيح البخارى
- (٤) وكتاب صحيح مسلم
- (٥) وكتاب سنن أبى داود وكتاب المراسيل له
- (٦) وكتاب جامع أبى عيسى الترمذى
- (٧) وكتاب سنن النسائى الكبرى وكتاب اليوم والليلة له
- (٨) وكتاب سنن ابن ماجه
- (٩) وكتاب المعجم الكبير ، وكتاب المعجم الأوسط ، وكتاب المعجم الصغير ، الثلاثة للطبرانى
- (١٠) وكتاب مسند أبى يعلى الموصلى
- (١١) وكتاب مسند أبى بكر البراز
- (١٢) وكتاب صحيح ابن حبان
- (١٣) وكتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم أبى عبد الله النيسابورى
- (١٤) رضى الله عنهم أجمعين ولم أترك شيئا من هذا النوع فى الأصول السبعة ، وصحيح ابن حبان ومستدرک الحاكم إلا ماغلب على فيه ذهول حال الإملاء أو نسيان أو أكون قد ذكرت فيه ما يغنى عنه ، وقد يكون للحديث دلالتان فأكثر فأذكره فى باب ثم لا أعيده فيتوهم الناظر أنى تركته ، وقد يرد الحديث عن جماعة من الصحابة بلفظ واحد وبألفاظ متقاربة فأكتفى بواحد منها عن سائرهما ، وكذلك لا أترك شيئا من هذا النوع من المسانيد والمعاجم إلا ماغلب على فيه ذهول أو نسيان أو يكون ما ذكرت أصلح إسنادا مما تركت أو يكون ظاهر النكارة جدّا : وقد أجمع على وضعه أو بطلانه . وأضفت إلى ذلك جملا من الأحاديث معزوة إلى أصولها كصحيح ابن خزيمة
- (١٥) وكتب ابن أبى الدنيا
- (١٦) وشعب الإيمان للبيهقى . وكتاب الزهد الكبير له
- (١٧) وكتاب الترغيب والترهيب لأبى القاسم الأصبهاني

وغير ذلك كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، واستوعبت جميع ما في كتاب أبي القاسم الأصبهاني مما لم يكن في الكتب المذكورة وهو قليل ، وأضربت عن ذكر ما قيل فيه من الأحاديث المتحققة الوضع ، وإذا كان الحديث في الأصول السبعة لم أعزه إلى غيرها من المسانيد والمعاجم إلا نادراً لفائدة طلبها للاختصار ، وقد أعزوه إلى صحيح ابن حبان ومسند الحاكم إن لم يكن متنه في الصحيحين ، وأنبه على كثير مما حضر في حال الإملاء مما تسهل أبو داود رحمه الله تعالى في السكوت عن تضعيفه أو الترمذي في تحسينه أو ابن حبان والحاكم في تصحيحه ، لا انتقاداً عليهم رضي الله عنهم بل مقياساً لمتبصر في نظائرها من هذا الكتاب ، وكل حديث عزوته إلى أبي داود وسكت عنه فهو كما ذكر أبو داود^(١) ولا ينزل عن درجة الحسن ، وقد يكون على شرط الصحيحين أو أحدهما . وأنا أستمع العون على ما ذكرت من القوى المتين ، وأمد أكف الضراعة إلى من يجيب دعوة المضطرين ، أن ينفع به كاتبه وقارئه ومستمعه وجميع المسلمين وأن يرزقني فيه من الإخلاص ، ما يكون كفيلاً لي في الآخرة بالخلاص ، ومن التوفيق ما يدلني على أرشد طريق ، وأرجو منه الإعانة على حزن الأمر وسهله ، وأتوكل عليه ، وأعتصم بحبله ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ثم بعد تمامه رأيت أن أقدم فهرست ما فيه من الأبواب والكتب ليسهل الكشف على من أراد شيئاً من ذلك ، والله المستعان .

الترغيب : في الإخلاص والصدق والنية الصالحة : . الترهيب : من الرياء وما يقوله من خاف شيئاً منه . الترغيب : في اتباع الكتاب والسنة . الترهيب :

(١) نقل ابن داسة عن أبي داود أنه قال : « ذكرت في كتابي : الصحيح وما يشبهه وما يقاربه ، وما كان فيه وهن شديد بيته » فأنت ترى أيها القارئ دقة رواية المؤلف وحسن الأدب مع النبي ﷺ وبذل الجهد في تمييز درجة الحديث فما عليك إلا أن تتبع الأبواب لتغذي بلبان الحكمة وتروى ظمأك بالماء القراح قال تعالى : « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الأبواب » وأنا أقدم على شرح الحديث راجياً من الله المعونة والمثوبة والهداية ، فأشرح الألفاظ وأبين معناها ، ثم أردف معنى الحديث ، والله الموفق .

من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء . الترغيب : في البداءة بالخير ليستن به . الترهيب : من البداءة بالشرّ خوفاً أن يستنّ به

كتاب العلم

الترغيب في العلم وطلبه وتعلمه وتعليمه

وما جاء في فضل العلماء والمتعلمين

١ - عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ^(١) فِي الدِّينِ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَه ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَزَارَد فِيهِ : وَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ لَمْ يُبَالِ بِهِ^(٢) ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَلَفْظُهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْفَقْهُ بِالتَّفَقُّهِ ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ^(٣) ، وَفِي إِسْنَادِهِ رَاوٍ لَمْ يَسْمَ ،

٢ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَالْهَمَّةُ رُشْدُهُ^(٤) ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ ،

٣ - وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفْضَلُ

(١) يعلمه أحكام شرعه ليعبد الله ضوء الحق إذ الفقه العلم بدقائق الأمور .

(٢) لم يقبل عبادته إذا عمل على جهل ، ولم يكثر بدعواته إذا أمكنه التعلم ولم يتعلم وفي أي واد هلك .

(٣) العلماء العاملون أكثر الناس خوفاً من عقابه جل وعلا . (٤) وفقه إلى الرشد فعمل صالحاً .

الْعِبَادَةِ الْفَقْهُ ، وَأَفْضَلُ الدِّينِ الْوَرَعُ^(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعَاجِمِهِ الثَّلَاثَةِ وَفِي إِسْنَادِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي لَيْلَى .

٤ - وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنَ الْعِبَادَةِ ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَالْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

٥ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ فَقْهًا إِذَا عَبْدَ اللَّهَ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أَحَبَّ بِرَأْيِهِ ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَفِي إِسْنَادِهِ إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، وَرَفَعَهُ هَذَا الْحَدِيثُ غَرِيبٌ ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ وَرَوَيْنَاهُ صَحِيحًا مِنْ قَوْلِ مَطْرَفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّخِيرِ ثُمَّ ذَكَرَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل

٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ نَفَسَ^(٢) عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً^(٣) مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ^(٤) مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ^(٥) عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ،

(١) الزهد ، وتغري الحقائق ، واجتناب انشغالات .

(٢) فرج . (٣) ضيقاً وشدة وعسراً . (٤) غطى على عيوبه ولم يفضحه ونصحه بينه وبينه ، وإلا رفع أمره إلى من يردعه ويذره - ولاستر على مثل سرقة أو مؤامرة قتل ، وهكذا ، فلا بد من القبض على يديه في مثل هذه الأمور .

(٥) أنفق على طالب علم أو أنشأ معهداً أو ساعد على فهم مسألة عويصة .

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ^(٢) بَيْنَهُمْ إِلَّا حَفَّتْهُمُ^(٣) الْمَلَائِكَةُ ، وَتَزَلَّتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ^(٤) ، وَغَشِيَتْهُمْ^(٥) الرَّحْمَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ^(٦) ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ ، وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا .

٧ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً لِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْخَيْثَانُ فِي الْمَاءِ ، وَفَضَّلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا^(٧) دِينَاراً وَلَا دِرْهماً إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ ، وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالبَيْهَقِيُّ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : لَا يَعْرِفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ ، وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ ، وَإِنَّمَا يَرَوِي عَنْ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءِ بْنِ حَيَوَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهَذَا أَصْلَحُ .

(قَالَ الْمَلَى) رَحِمَهُ اللَّهُ : وَمِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ مَاجَةَ ، وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ وَغَيْرِهَا ، وَقَدْ رَوَى عَنْ

- (١) تشمل المساجد ومعاهد الدرس وكل أمكنة طاهرة نظيفة .
- (٢) يشرحون معناه ويفسرون كلامه ويفقهون مراميهِ . (٣) أحاطت بهم ملائكة الرحمة .
- (٤) ظلة البهاء والوقار ، ونور الله جل جلاله . (٥) عمتهم .
- (٦) معناه والله أعلم : أن المقصر في حقوق الله ، والتارك العمل الصالح يخاسب حساباً عسيراً ويتأخر عن دخول الجنة حتى ينال عقابه ، ولم ينفعه شرفه الذي ينتسب إليه وإن اعظم ، والله يعذب العاصي وإن كان شريفاً قرشياً ، ويقرب المطيع وإن كان عبداً حبشياً ، وقد ضرب لذلك دستوراً لرضوانه : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . قال تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » .
- (٧) لم يتركوا مالا ، ولا ضيعة ، ولا قصوراً لأولادهم وورثتهم ، وإنما تركوا العلم والفقه ليعمل به المهتدون فينالوا السعادة والنعيم .

الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عنه ، وعن الأوزاعي عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة عن كثير ابن قيس عنه ، قال البخاري : وهذا أصح ، وروى غير ذلك ، وقد اختلف في هذا الحديث اختلافاً كثيراً ذكرت بعضه في مختصر السنن ، وبسطته في غيره ، والله أعلم .

٨ - وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنْ تَعَلَّمَهُ اللَّهُ نَحْشِيَهُ^(١) وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، وَمَذَاكَرْتَهُ تُسَبِّحُ ، ثَامناً : فِي التَّوْحِيدِ :

من معطيات سيرة الرسول ﷺ :

ان المعرفة الصحيحة بالله وبالتوحيد طريقها الرسول محمد ﷺ ...

قال الله سبحانه وتعالى :

« هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »

وهو الامين على وحي الله أبغى للناس وفصله ووضحه بالسنة قولاً وعملاً ...

ومن هنا فسيرة الرسول ﷺ من أهم الابواب في دراسات التوحيد ... وإلى أمور وأمور في سيرة الرسول وصلتها بدرس التوحيد .

لابن قتيبة كتاب تأويل مختلف الحديث ... وسبقته جهود في جمع صحيح الحديث ، فجمعه هو صحيح التفسير ...

وفيما يلي أهم ما في الكتاب :

١ - ماذا عاب المتكلمون على أهل الحديث (فقد جاء الطبراني في عصر المتكلمين) .

(١) رهبة أى يدعو إلى الخوف منه جل وعلا ، ويحث على العمل الصالح .

- ٢ - الطعن الذي يوجهه أهل السنة للمنهج العقلي كثرة الاختلاف مع أن الآلة واحدة وهي العقل ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ويعيهم ابن قتيبة ص ١٦ بأنهم باستخدامهم اللفظ الفلسفي يحملون القرآن معاني تلك الالفاظ .
- ٣ - الصحابة عند المعتزلة موضع للنقد للنظام ينقد عمرا وأبا بكر ص ٢٤ ، وعلياً وابن مسعود ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، وحذيفة بن اليمان وأبا هريرة ص ٢٧ ، ص ٢٨ .
- ٤ - استغل أهل السنة قصص العجم وآثارهم الادبية في خدمة الاثبات (تاريخ المنهج القصصي) ص ٣٧ ، ص ٣٨ .
- ٥ - رأي النظام في الاحاديث ص ٥٣ .
- ٦ - حضور ابن قتيبة مجالس المعتزلة وهو شاب .
- ٧ - تفاسير الرافضة ص ٨٤ ، ص ٨٥ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ ، ص ٨٨ .
- ٨ - جهود رجال الحديث في جمع الحديث ص ٨٨ ، ص ٨٩ .
- ٩ - ص ٦٩ ماأخذه ابن قتيبة على أهل السنة (ولهذا قام الطبري الروايات في تفسيره) .
- ص ١٠٢ قتادة وابن أوى وغيرهما لهم هوى اعتزالى ومع ذلك يروي عنهما أهل السنة ... فلم ؟؟ .
- ص ١٠٤ أصحاب المنهج العقلى وهم المعتزلة هاجموا المنهج النقلى لما فيه من تناقض ومخالفته للكتاب الذى يفهمونه وفق رأيهم المذهبي فمنذ عقد ابن قتيبة ص ١٠٤ حتى نهاية الكتاب بابا فى (ذكر الاحاديث التى أَدَّعوا عليها التناقض والاحاديث التى تخالف عندهم كتاب الله تعالى والاحاديث التى يدفها النظر وحجة العقل .
- وسنري ابن قتيبة المتأثر فى شبابه بمنهج المعتزلة يتخذ نفس سلاحهم وهو التأويل لنص السنة ، كما يتبين المتتبع لكتابه من أوله لآخره ثم انظر صراحة غرضه من تأليف كتابه ص ١٥٣ .

نقد المعتزلة متن الحديث الواحد أمثلة ص ١٦٠ وهناك أمثلة تتلوها
ص ١٧١ قراءة ابن قتيبة في التوراة ، وص ١٨٣ قراءته في الانجيل ، ص
٢٦٢ ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ جبريل عليه السلام يأتي بالقرآن
والسنن للرسول . .

ص ٢٤٦ ، ص ٢٤٩ السنن عند ابن قتيبة ثلاث .
ص ٣٥٣ وما بعدها (قبلها تري ابن قتيبة يستعمل لفظة تخيل التي عيب
بها الزمخشري .

ص ٣٥٦ ، ص ٣٥٧ عن القصاص .
ص ٣٦٦ عبد الله بن عمرو عارف بالسريانية والعربية .

تاسعاً : علم الرواية :

ونشأ عنه الترجمة لرواة الحديث والتاريخ لنشاطهم العلمي ، باعتبارهم
حفظة هذا الحديث الضابطين لروياته .

ومن أهم مصادرها :

(أ) طبقات الحفاظ للسيوطي بتحقيق علي محمد عمر ط مكتبة وهبة القاهرة
من ص ٥ - ٩ من ٢٨ - ٣٠ .

(ب) تذكرة الحفاظ للذهبي ط دار إحياء التراث العربي ص ٤٨ ، ٤٩ من
الجزء الأول .

(أ) طبقات الحفاظ للسيوطي

يقدم المحقق للكتاب مبرزاً وظيفته كتب الطبقات في علم الحديث ، قائلاً :

لست بحاجة إلى تعريف القراء والباحثين بأهمية كتب الطبقات وفهارس
العلماء فيما يناسب الحياة العقلية في العصور الإسلامية السالفة وتطور
الأوساط العلمية عبر هذه القرون .

وليست دراسة تلك الطبقات أقل فائدة من المصادر التي عنيت بالدول
الماضية وحال رعايا البلاد ، بل كاد الباحث فيها يستجلب من أكثر صفحاتها
مادة جديدة وفوائد إضافية ، مختصة بتاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي .

ومما يدعو إلى الغبطة في هذا الشأن أن العرب دونوا تاريخهم بعناية قل أن
تساويهم فيها أمة من الأمم ، وافتنوا في ذلك افتنانا يدعو إلى الدهشة
والإعجاب ، فآلفوا في التاريخ السياسي الأسفار الطوال ، وبسطوا القول في
الحديث عن الملوك والخلفاء ، والأفراد ، والحروب ، ومظاهر الحضارة ،
ودرسوا مجتمعاتهم من النواحي المختلفة ، نقرأ ذلك في كتب الطبري
والمسعودي وابن الأثير ، كما نقرؤه في كتب الواقدي ، واليعقوبي ،
وابن خلدون ، والمقرئزي ، وغير هؤلاء .

كما صنفوا في تاريخ البلدان ، وتراجم من وردها من الصحابة والتابعين ،
وتراجم من نشأ فيها وتوطنها ونسب إليها أو إلى نواحيها ، ومن دخلها من غير

كما صنفوا في تاريخ البلدان ، وتراجم من وردها من الصحابة والتابعين ،
وتراجم من نشأ فيها وتوطنها ونسب إليها أو إلى نواحيها ، ومن دخلها من غير
أهلها غازيا أو تاجرا أو طالب علم كما فعل الخطيب البغدادي . في « تاريخ
بغداد » وكما فعل ابن عساكر في « تاريخ دمشق » والرافعي القزويني في
« تاريخ قزوين » وأبو نعيم الأصبهاني في « تاريخ أصفهان » وكثير غير هؤلاء
بل مما يدعو إلى الإعجاب والإكبار أن علماء المسلمين ألفوا في طبقات شتى
من الناس ، فألف في « طبقات الفرسان » معمر بن المثنى ، وألف في
« طبقات أهل العلم والجهل » واصل بن عطاء ، وألف في « طبقات البلغاء »
و« طبقات الخطباء » أحمد بن محمد بن يوسف الأصبهاني ، وألف في
« طبقات المغنين » سليمان ابن أيوب المديني .

بل ذهب علماء المسلمين إلى أبعد من ذلك ، فصنفوا في البخلاء ،
والأذكياء ، والحمقى ، والعميان ، والعور .

وكان رواة الحديث من هؤلاء الذين عنى بهم فريق من المصنفين عناية
خاصة ، بل لقد ظهرت عناية المسلمين بتراجم هؤلاء الرجال منذ العصر الأول

للإسلام ، فتحدثوا عن فضائل بعض الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وكثير غير هؤلاء مما ملئت به كتب الحديث ، فكان هذا داعياً للمؤرخين بعد ذلك لأن يحتذوا هذا الحذو ، ويقفوا على فضائل التابعين ومن بعدهم .

وأقدم كتب الطبقات التي وصلت إلينا كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد المعروف بكاتب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .

وطبقات ابن سعد لم تسبق - في علمنا - إلا بطبقات أستاذه الواقدي ، وأكبر الظن أن الباعث على تأليفهما هو باعث الحديث ، ليعرف المسلمون من يصح الأخذ عنه ومن لا يصح .

ثم كان أول من صنف كتاباً - بعد طبقات ابن سعد - في تراجم المحدثين وتاريخ حياتهم هو : أبو زكريا يحيى بن معين ، المتوفى سنة ٢٣٣ هـ . وتبعه في ذلك أبو الحسن محمد بن عبد الله بن حيوة ، المتوفى سنة ٣٦٦ هـ .

وكان من نتائج اتساع الحركة العلمية وكثرة رواية الحديث أن رأى العلماء أنفسهم بين أصناف متعددة من الرواة .

وقد قام العلماء في هذا الباب بما يدعو إلى العجب ، فبحثوا عن كل راو وحلوه ، وتعددت الآراء المختلفة في التجريح والتعديل . فجمعت الأخبار في نقد المحدثين وبيان صادقهم من كاذبهم ، بل ذهب بهم الأمر إلى أبعد من ذلك « فما إن يظهر أحد بالعلم والمعرفة - ولو برواية حديث واحد أو خبر واحد - إلا يهجم عليه العلماء ويرحلون إليه يأخذون عنه ، ويعد العالم ظفراً كبيراً أن يعثر على رجل أو امرأة من هؤلاء لم يصل إليه غيره ، فيقيد عنه ما أخذ ويروى ماسمعه ، وما إن يموت هذا المروى عنه الحديث أو الخبر ، أو من اشتهر بعلم أو معرفه حتى يتسابق المؤرخون إلى تدوين أصله ونسبه ، والبلاد التي تنقل فيها ، والشيوخ الذين أخذ عنهم ، والأحداث التي عرضت له في حياته ، وتاريخ وفاته^(١) . كما فعل البخاري . والنسائي والذهبي وابن حجر وغيرهم .

(١) ضحى الإسلام ٣٥٢/٢ .

فعل العلماء ذلك بل وأكثر منه لارتباط ذلك بالمسائل المتعلقة بكتاب الله الكريم وسنة نبيه ، ولارتباط ذلك أيضاً بأصول التشريع الإسلامى ، وقدم العلماء بصنيعهم هذا بين يدى النقد التاريخى عملاً قيماً لا يعرف له الناس مثيلاً فى آداب العصور الوسطى .

وقد رتبت معظم الكتب التى ألفت فى هذا الميدان إما طبقاً لأجيال المحدثين والرواة ، أو طبقاً لمواطنهم والبلاد التى نشأوا فيها أو طبقاً للترتيب الهجائى لأسمائهم .

وكتاب « طبقات الحفاظ » للسيوطى الذى تقدمه اليوم رتبت التراجم فيه طبقاً لأجيال المحدثين وطبقاتهم .

وقد لخص الإمام السيوطى طبقاته هذه من « طبقات الحفاظ » لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . وجمع فيها تراجم من يرجع إلى اجتهادهم فى التوثيق والتجريح ، والتضعيف والتصحيح ، وذبلها بذكر من جاء بعدهم من الحفاظ والأصوليين والمحدثين ورتبها على أربع وعشرين طبقة ، تبتدىء الطبقة الأولى من كبار الصحابة ، وتنتهى الطبقة الأخيرة بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ .

على أننى بعد أن قارنت مافى « طبقات الحفاظ » للسيوطى بما فى « طبقات الحفاظ » للذهبى ، رأيت أن السيوطى لم يتقيد تماماً بما ذكره الذهبى فى طبقاته : فقد وجدت عند السيوطى من الآراء والقول ما ليس مذكوراً عند الذهبى ، وهذا الأمر يدل على أن السيوطى كان يختار ويؤلف ، ولا يلخص فقط ، ومن هنا يمكن أن نستنتج أنه لاغنى للباحثين عن كل من الكتابين ، وأن لكل منهما مزاياه وسماته الخاصة .

وثمة مظهر آخر من مظاهر شأن طبقات السيوطى ، هو أنه ذيل عليها بالحفاظ الذين تلوا عصر الذهبى إلى طبقة الحافظ ابن حجر .

وقد طبع هذا الكتاب فى أوروبا مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٣٣ م . وهى طبعة يشيع فى معظمها التصحيف والتحريف والخطأ ، وبها سقط فى كثير من

المواضع مما كان سبباً في الانصراف عن الرجوع إليها ، ولأن الرجوع إليها والحالة هذه سوف يثقل حواشي النص المحقق بذكر ما في هذه النسخة من أخطاء وتصحيقات يطول تعدادها ، نتجت عن عدم فهم النص العربى .

وينبغى أن أذكر في هذا المقام أن الذى قام بنشر هذا الكتاب لم يكن من المتفقهين فى اللغة العربية أو من العارفين لأصولها ، ولذا رأيت أن أمثل لما جاء فى هذه الطبعة من أخطاء دون أن أحصيا .

فقد قرأ عبارة : « كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة علقمة والأسود » قرأها هكذا : « كان أصحاب عبد الله المدينى يقربون. الناس ويعلمونهم السنة علقمة والأسود » .

وكذلك قرأ عبارة : « هو أعلم من أهل طبقة بصناعة الحديث وأيرعهم » قرأها هكذا : « هو أعلم من أهل طبقة بصناعة الحديث وابن عميم » . وهكذا كانت معالجة الأجانب لتراثنا العربى فى بعض الأحيان عملاً يثير السخرية والضحك .

هذا ولم أحاول الرجوع إلى هذه النسخة إلا فى حالة واحدة^(١).

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخة مخطوطة بمكتبة مصطفى فاضل بدار الكتب المصرية برقم ٥٩ تاريخ م ، وهى نسخة مكتوبة بقلم معتاد ، بخط محمد بن على الجمانى ، فرغ من كتابتها فى يوم السبت ثالث عشر من شهر رمضان سنة ١١١٨ هـ ، وتقع فى ١٩٨ ورقة وفى كل صفحة ٢١ سطرا ، ومتوسط الكلمات فى كل صفحة تسع كلمات ، ووضعت العنوانات بخط مخالف ، وفى حواشيه ما يفيد إلى قراءتها ومقابلتها ، وقد اتخذت هذه النسخة أصلا فى التحقيق ، ورمزت لها بالحرف « م » .

كما رجعت إلى نسخة أخرى مخطوطة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب برقم ٤٧٣ تاريخ - تيمور ، تمت كتابتها فى يوم السبت عاشر يوم فى رمضان سنة ١٠٨٨ هـ ، تقع فى ٣١٢ صفحة . وفى كل صفحة ٢٣ سطرا ، ومتوسط

(١) انظر حواشئ ص ١٥٣ من هذا الكتاب .

الكلمات في كل سطر عشر كلمات ، كتبت بخط معتاد ، ووضعت العنوانات بخط مخالف ، وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ت» .

هذا وقد قمت بالعمل في هذا الكتاب على الطريقة التي سرت عليها في كتاب «طبقات المفسرين» للداودي ، من الرجوع إلى الأصول ، ورد المحرف إلى أصله ، وذكر مراجع كل ترجمة في الحواشي ، كما قمت بضبط الكثير من أسماء الأعلام بالشكل أو باللفظ حتى يمكن الإفادة منها .

كذلك قمت في آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة حتى يقرب النفع ، وتكمل الفائدة .

الطبقة الثالثة الوسطى من التابعين

٦٤ - الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد^(١).

مولى زيد بن ثابت ، وقيل جابر بن عبد الله ، وقيل أبو اليسر .

ولد لستين بقيتا من خلافة عمر ، قال أبو بردة : أدركت الصحابة فما رأيت أحدا أشبه بهم من الحسن .

وقال خالد بن رباح الهذلي : سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقل له في ذلك ، فقال : إنه قد سمع وسمعنا ، فحفظ ونسينا .

وقال سليمان التيمي : الحسن شيخ أهل البصرة .

مات في رجب سنة عشر ومائة .

٦٥ - جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي اليحمدي الجوفي^(٢).

(١) له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٧١/١ ، وعذيب ٢٦٣/٢ ، وحلية الأولياء ١٣١/٢ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٦٦ ، وشذرات الذهب ١٣٦/١ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ١ ص ١٢٨ (ترجمة مطولة) ، وطبقات الشيرازي ٨٧ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٢٣٥/١ ، وطبقات المفسرين الداودي ١٤٧/١ ، والعبر ١٣٦/١ ، وميزان الاعتدال ٥٢٧/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٦٧/١ ، ووفيات الأعيان ١٢٨/١ .

(٢) له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٧٢/١ ، وعذيب التذهيب ٣٨/٢ ، وخلاصة تذهيب الكمال

قال ابن عباس : لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله .

وقال الزيات : سألت ابن عباس عن شيء فقال : تسألوني وفيكم جابر بن زيد ، هو أحد العلماء .

مات سنة ثلاثين وتسعين ، أو ثلاث ومائة أو أربع ومائة .

٦٦ - أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني^(١).

مفتى أهل مصر في زمانه .

مات سنة تسعين .

٦٧ - إبراهيم التيمي بن زيد بن شريك أبو أسماء^(٢) الكوفي^(٣).

من العباد .

مات سنة اثنتين وتسعين ولم يبلغ أربعين .

٦٨ - إبراهيم النخعي بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران^(٤) فقيه أهل

الكوفة ومفتيها هو والشعبي في زمانهما .

٥٠ ، وشذرات الذهب ١/١٠١ ، وضقات ابن سعد ج ٧ ق ١ ص ١٣٠ ، وطبقات

الشيروازي ٨٨ ، والعبر ١/١٠٨ ، والذهب ١/٢٥٤ .

(١) له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١/٧٣ ، وتهذيب التهذيب ١٠/٨٢٥ ، وخلاصة تذهيب الكمال

٣١٨ ، شذرات الذهب ١/٩٩ ، وطبقات ابن سعد ج ٧ ق ٢ ص ٢٠٠ ، وطبقات الشيروازي

٧٨ ، والعبر ١/١٠٥ ، والباب ٢/٣٠٨ ، والنجوم الزاهرة ١/٢٢١ .

(٢) كذا في مصادر الترجمة ، وفي الأصل : « أبو اسماعيل » .

(٣) له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١/٧٣ ، وتهذيب التهذيب ١/١٧٦ ، وخلاصة تذهيب الكمال

٢٠ ، وشذرات الذهب ١/١٠٠ ، وضقات ابن سعد ٦/١٩٩ ، وطبقات القراء لابن الجزري

١/٢٩ ، والعبر ١/١٠٦ ، واللباب ١/١٩٠ ، وميزان الاعتدال ١/٧٤ ، والحوار الزاهرة

١/٢٢٥ .

(٤) له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ١/٧٣ ، وتهذيب التهذيب ٣/١٧٧ ، وخلاصة تذهيب الكمال

٢٠ ، شذرات الذهب ١/١١١ ، وطبقات ابن سعد ٦/١٨٨ ، وطبقات الشيروازي ٨٢ ،

وطبقات القراء لابن الجزري ١/٢٩ ، والعبر ١/١١٣ ، واللباب ٣/٢٢٠ ، ميزان الاعتدال

١/٧٤ ، ووفيات الأعيان ١/٣ .

قال الأعمش . كان صيرفيا [في]^(١) الحديث .

وقال إسماعيل بن أُمي خالد . كان الشعبي ، وإبراهيم ، وأبو الضحى مجتمعين في المسجد يتذكرون الحديث ، فإذا جاءهم شيء ليس عندهم فيه رواية رأوه بأبصارهم .

وقال الشعبي : ماترك بعده أعلم منه ولا الحسن ولا ابن سيرين ، ولا من أهل الكوفة ولا البصرة ولا الحجاز ولا الشام .

مات سنة ست وتسعين ، عن تسع وأربعين ، أو ثمان وخمسين .

٦٩ - علي بن الحسين بن علي بن أُمي طالب ، أبو الحسين ، وأبو الحسن أو أبو محمد أو أبو عبد الله المدني زين العابدين^(٢).

قال الزهري : مارأيت قرشيا أفضل منه ولا أفقه .

وقال مالك : كان من أهل الفضل .

وقال ابن المسيب : مارأيت أورع منه .

وقال ابن أُمي شيبه : أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي .

ولد سنة ثلاث وثلاثين ، ومات سنة اثنتين وتسعين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو تسع وتسعين ، أو سنة مائة .

٧٠ - يَحْيَى بن يَعْمَر البصري أبو سليمان أو أبو سعيد أو أبو عدي^(٣).

قاضي مرور ، أول من نقط المصاحف .

(١) من تذكرة الحفاظ .

(٢) له ترجمة في : تذكرة الحفاظ ٧٤/١ ، وتهذيب التهذيب ٣٠٤/٧ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٣١ ، وشذرات الذهب ١٠٤/١ ، وطبقات ابن سعد ١٥٦/٥ ، وطلقات الشيرازي ٦٣ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٥٣٤/١ ، والعبر ١١١/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٩/١ ، ووفيات الأعيان ٣٢٠/١ .

(٣) له ترجمة في : اخبار النحويين البصريين ٢ ، وارشاد الأريب ٢٩٦/٧ ، وبغية الوعاة ٣٤٥/٢ ، وتذكرة الحفاظ ٧٥/١ ، وتقريب التهذيب ٣٦١/٢ ، وتهذيب التهذيب ٣٠٥/١١ ، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٦٩ ، وروضات الجنات ٢٧٢ ، وشذرات الذهب ١٧٥/١ ، وطلقات القراء

(ب) تذكرة الحفاظ للذهبي

وهذا هو المصدر الثاني في علم الرواية ويقدم المؤلف لكتابه بقوله :
أما بعد . فهذا كتاب « طبقات الحفاظ » ومعدّلى (١) حملة العلم النبوى
ومن يرجع (إلى) (٢) اجتهادهم فى التوثيق والتجريح ، والتضعيف والتصحيح .
لخصتها من « طبقات » إمام الحفاظ أبى عبد الله الذهبى ، وذيلت عليه من جاء
بعده .
والله أسأل الإعانة ، وبه العصمة والاستعانة .

[الطبقة الثانية من الكتاب]

كبراء التابعين وهم الطبقة الثانية من الكتاب

٢٤ ¼ ع - علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق

الامام ابو شبل النخعى الكوفى خال ابراهيم النخعى وعم الاسود ولد فى
حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحق الجاهلية وسمع من عمر وعثمان
وابن مسعود وعلى وابى الدرداء وجود القرآن على ابن مسعود . وتفقه به
وكان من انبل اصحابه . قال عبد الرحمن بن يزيد قال ابن مسعود : ما اقرأ
شيئا وما اعلم شيئا الا وعلقمة يقرؤه ويعلمه .

قال قابوس بن ابى ظبيان قلت لانى : لأى شىء كنت تدع الصحابة وتأتى
علقمة ؟ قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لابن الجزرى ٣٧٢/٢ ، والفهرست لأبى النديم ٤١ ، ومراتب النحويين ٢٥ ، وبراء الجنان
٢٧١/١ ، والنجوم الزاهرة ٢١٧/١ ، ونزهة الألباء ١٦ ، ووفيات الأعيان ٢٢٦/٢ .
قال ابن خلكان : « ويعمر بالفتح ، وقيل بضم النجم ، والأول اصح وأشهر ، وسمى بذلك
تفاؤلا بطول العمر . »

(١) فى ت « ومعدّلى » والمثبت فى : م ، وتذكرة الحفاظ .

(٢) ساقط من : ت ، وهو فى : م .

وهم يسألون علقمة ويستفتونه .

قلت كان فقيها اماما بارعا طيب الصوت بالقرآن ثبتا فيما ينقل صاحب
خير وورع كان يشبه ابن مسعود في هديه ودلّه وسمته وفضله وكان اعرج ،
اخذ عنه ابراهيم^(١) ، وابراهيم بن سويد النخعي ، وابو الضحى مسلم ابن
صبيح ، والشعبي ، والقاسم بن مخيمرة ويحيى بن وثاب وطائفة . مات سنة
اثنين وستين رحمه الله تعالى .

فائدة إنما توانيت في تخريج حديث في ترجمة علقمة وخلق كثير من المتقدمين
لشهرة رواياتهم في الكتب الستة وقصرت تراجمهم لكلا يطول الكتاب ، والله
الموفق للصواب والاصول محفوظة .

٢٥ ٢ م ٤ - أبو مسلم الخولاني

الفقيه العابد الزاهد ربحانة الشام الذي لقاه الاسود العنسي في النار فنجبا
منها ذكر ذلك شرحبيل بن مسلم ، هاجر في خلافة ابي بكر رضي الله عنه ،
وروى عن عمر ومعاذ والي عبيدة والكبار ، حدث عنه ابو ادريس الخولاني
وابو العالية الرياحي وجبير بن نفير وعطاء وابو قلابة وطائفة وثقه ابن معين
وغیره وله مناقب وكرامات وكان يقال : هو حكيم هذه الأمة رحمه الله ومات
قريبا من اثنين وستين قال ابن سعد وغيره : مات في دولة يزيد .

٢٦ ٣ ع - مسروق بن الأجدع

الامام أبو عائشة الهمداني الكوفي الفقيه احد الاعلام وكان ابوه فارس اهل
اليمن في زمانه ومسروق هو ابن اخت البطل الكرار عمرو بن معدى كرب
اخذ عن عمر وعلى ومعاذ وابن مسعود والي وعنه ابراهيم والشعبي وابو
الضحى وابو اسحاق وخلق .

فعن الشعبي ان عائشة كانت قد تبنت مسروقا ، وعن الشعبي قال

(١) يعني ابن زيد النخعي .

ما علمت احدا كان اطلب للعلم منه وكان اعلم بالفتوى من شريح وكان شريح يستشيريه ، وكان مسروق لا يحتاج إلى شريح ، وقال ابو اسحاق : حجج مسروق فما نام الا ساجدا حتى رجع ، وعن امرأة مسروق انه كان يصلي حتى يتورم قدماه . قال ابن المديني : ما اقدم على مسروق احدا من اصحاب عبد الله ،

عاشراً : منهج المحدثين في نقد الحديث :

يعد الحديث مجالا خصباً لدراسات متنوعة ، ففي المقام الأول يعتبر الحديث مصدراً ثانياً من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن وفي مجال التفسير يرجع إلى الحديث في تفسير آيات القرآن مما روي تفسيره ومنه إلى الرسول ﷺ أو إلى صحابته وتابعيه .

واللغويون يعتبرون نص الحديث ميداناً يفسرون فيه غريب لفظه وفصيح كلماته ، بينما المؤرخون يعدون الحديث مصدرهم الأول في التاريخ للدعوة الاسلامية للوقوف على السيرة النبوية ، بينما رجال الفكر والثقافة يرون في تاريخ الحديث صورة من الفكر الاسلامي في القرون الثلاثة الأولى الهجرية ويشارك هؤلاء جميعاً في جهودهم البلاغيون حين يهتمون باستخراج مافى الحديث من صور بلاغية وألوان تعبيرية ، ويعتبر الأدباء الحديث مادة خصصة يرفدون بها أدبهم على حين أن النحويين يتعرضون للحديث من ناحية مافيه من اعراب أو للاستشهاد على وزن صرفي ، ورجل الكلام يدعم مبادئ مدرسته الكلامية بنصوص من الاحاديث يفسرها التفسير الذي يخدم مذهبه ، بينما رجل الوعظ يوجه إلى السلوك القويم ويدعو إلى سيادة الاخلاق مستشهداً بروايته للحديث .

وينجد رجال تتوزع اهتماماتهم بين ميادين الحرب أو السياسة أو الاقتصاد أو التربية والتوجيه النفسي والاجتماعي - يجدون في الحديث مضامين ذات قيمة في مجال دراساتهم .

مصطلح الحديث

« وهبنا هنا الحديث عن جانب المصطلح في دراسات علوم الحديث :

ينقسم الحديث عند العلماء به إلى صحيح وحسن وضعيف ، فالصحيح هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ولا معللاً ... الخ ... من الصفات التي تختلف علماء الحديث بشأنها فبعضهم اشترط توفرها في الصحيح والبعض الآخر لم ير ذلك .

وينبغي أن نتنبه إلى أن الحكم بالصحة إنما هو أولاً وبالذات ينسحب على الاسناد فمتى قالوا « هذا حديث صحيح » فمعناه أنه اتصل سنده مع سائر الاوصاف المذكورة وليس من شرط أن يكون مقطوعاً به في نفس الامر إذ منه ما ينفرد بروايته عدد واحد وليس من الاخبار التي أجمعت الأمة على تلقائها بالقبول وكذلك إذا قالوا في حديث أنه « غير صحيح » فليس ذلك قطعاً بأنه كذب في نفس الامر إذ قد يكون صدقاً في نفس الامر وإنما المراد به أنه لم يصح إسناده على الشرط المذكور .

ثم إن درجات الحديث الصحيح تتفاوت في القوة بحسب تمكن الحديث من الصفات المذكورة التي تبتنى الصحة عليها وهي لدى علماء الحديث تتشعب إلى أقسام كثيرة يصعب تحديدها بمعنى أنه لا يمكننا القول بأن أصح الاسانيد على الإطلاق هو كذا ، ولكن نجد من علماء الحديث من رأوا رأياً في أن أصح الأسانيد هو مثلاً مالك عن نافع عن ابن عمر ... الخ .

أول من صنف الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي مولاهم وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري من أنفسهم ، ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه يشاركه في أكثر شيوخه ، وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز ، وهما لم يستوعبا الصحيح في صحيحيهما ولا التزما ذلك ، فقد روي عن البخاري أنه قال : ما أدخلت في كتاب الجامع الا ما صح وتركت من الصحاح لملال الطول .

وروي عن مسلم أنه قال : « ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا
يعنى فى كتابه الصحيح إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه .

والكتب المخرجة على كتاب البخاري أو كتاب مسلم رضى الله عنهما لم
يلتزم مصنفوها فيها موافقتها فى ألفاظ الأحاديث بعينها من غير زيادة ونقصان
لكونهم رروا تلك الأحاديث من غير جهة البخاري ومسلم طلبا لعلو الاسناد
فحصل فيها بعض التفاوت فى الألفاظ .

وهكذا ما أخرج المؤلفون فى تصانيفهم المستقلة كالسنن الكبير للبيهقى
وشرح السنة لأبى محمد البغوي وغيرهما مما قالوا فيه : « أخرج البخاري أو
مسلم » ، فلا يستفاد بذلك أكثر من أن البخاري أو مسلما أخرج أصل ذلك
الحديث مع احتمال أن يكون بينهما تفاوت فى اللفظ وربما كان تفاوتاً فى بعض
المعنى فليس لك أن تنقل حديثاً منها وتقول على هذا الوجه فى كتاب البخاري
أو كتاب مسلم إلا أن تقابل لفظه أو يكون الذى خرجته قد قال أخرجته
البخاري بهذا اللفظ بخلاف الكتب المختصرة من الصحيحين فان مصنفها نقلوا
فيها ألفاظ الصحيحين أو أحدهما .

الحديث الحسن

يرى ابن الصلاح أن الحديث الحسن قسمان :

١ - أحدهما الحديث الذى لا يخلو رجال اسناده عن مستور لم يتحقق أهليته
غير أنه ليس مغفلاً كثيراً الخطأ فيما يرويه ولا هو متهم بالكذب فى
الحديث أى لم يظهر منه تعمد الكذب فى الحديث ولا لسبب آخر مفسق
ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأنه روي مثله أو نحوه من وجه
آخر أو أكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع رواية على مثله أو بما له من
شاهد وهو ورود حديث آخر بنحوه فيخرج بذلك عن أن يكون شاذاً
أو منكراً

(٢) القسم الثاني أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والامانة غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم في الحفظ والاتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ماينفرد به من حديثه منكرا ويعتبر في كل هذا مع سلامة الحديث من أن يكون شاذا ومنكرا سلامته من أن يكون معللا .

وحين نسأل ما الفرق بين الصحيح والحسن نقول إن الحسن يتقاصر عن الصحيح في أن الصحيح من شرطه أن يكون جميع رواته قد ثبتت عدالتهم وضبطهم واتقانهم أما بالنقل الصريح أو بطريق الاستفاضة . ولقد يكون راوي الحديث متأخرا عن درجة أهل الحفظ والاتقان غير أنه من المشهورين بالصدق والستر وروي مع ذلك حديثه من غير وجه فقد اجتمعت له القوة من الجهتين وذلك يرقى حديثه من درجة الحسن إلى درجة الصحيح .

مثاله : محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » محمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق والصيانة لكنه لم يكن من أهل الاتقان حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته فحديثه من هذه الجهة حسن ، فلما انضم إلى ذلك كونه روي من أوجه آخر زال بذلك ما كنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه واغتفر به ذلك النقص اليسير فصح هذا الاسناد والتحق بدرجة الصحيح .

ويعد كتاب أبي عيسى الترمذي رحمه الله أصلا في معرفة الحديث الحسن وهو الذي نوّه باسمه وأكثر من ذكره في جامعه ويوجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله كأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهما .

الضعيف

كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث

الحسن المذكورات فيما تقدم فهو حديث ضعيف ، وأطنب أبو حاتم بن حبان البستي في تقسيمه فبلغ به خمسين قسما الا واحدا .

والذي له لقب خاص معروف من أقسام ذلك : الموضوع ، والمقلوب والشاذ ، والمعلل ، والمضطرب ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل والملاحظ فيما نوره من الأنواع عموم أنواع الحديث لخصوص أنواع التقسيم الذي فرغنا الآن من أقسامه .

معرفة المسند

ذكر أبو بكر الخطيب الحافظ رحمه الله أن المسند عند أهل الحديث هو الذي اتصل اسناده من راويه إلى منتهاه ، وأكثر ما يستعمل ذلك فيما جاء عن رسول الله ﷺ دون ما جاء عن الصحابة وغيرهم ، وذكر أبو عمر ابن عبد البحر الحافظ أن المسند مرفع إلى النبي ﷺ خاصة .

وقد يكون متصلا مثل : « مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ » ، وقد يكون منقطعا مثل : مالك عن الزهري عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ ، فهذا مسند لأنه قد اسند إلى رسول الله ﷺ وهو منقطع لأن الزهري لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهم .

وحكى أبو عمرة عن قوم أن المسند لا يقع الا على ما اتصل مرفوعا إلى النبي ﷺ ، قلت : وبهذا قطع الحاكم أبو عبد الله الحافظ ولم يذكر في كتابه غيره .

فهذه أقوال ثلاثة مختلفة .

معرفة المتصل

ويقال فيه أيضا الموصول ، ومعلقه يقع على المرفوع والموقوف وهو الذي

اتصل اسناده فكان كل واحد من رواته قد سمعه ممن فوقه حتى ينتهي إلى منتهاه .

مثال المتصل المرفوع من الموطأ مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله ﷺ .

ومثال المتصل الموقوف : « مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر قوله » .

معرفة المرفوع

وهو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ خاصة ، ولا يقع مطلقه على غير ذلك نحو الموقوف على الصحابة وغيرهم ، ويدخل في المرفوع المتصل ، والمنقطع ، والمرسل ونحوها فهو والمسند عند قوم سواء ، والانقطاع والاتصال يدخلان على المرفوع ولا يقع المسند الا على المتصل المضاف إلى رسول الله ﷺ .

معرفة الموقوف

وهو ما يروي عن الصحابة رضى الله عنهم من أقواضه أو أفعاضه ونحوها فيوقف عليهم ولا يتجاوز به إلى الرسول الله ﷺ ثم ان منه ما يتصل الاسناد فيه إلى الصحابي فيكون من الموقوف الموصول ومنه مالا يتصل اسناده فيكون من الموقوف غير الموصول على حسب ما عرف مثله في المرفوع إلى رسول الله ﷺ .

وموجود في اصطلاح الفقهاء الخراسانيين تعريف الموقوف باسم الأثر قال أبو القاسم النوراني منهم فيما بلغنا عنه الفقهاء يقولون : الخبر ما يروي عن النبي ﷺ والأثر ما يروي عن الصحابة رضوان الله عليهم .

معرفة المقطوع

وهو غير المنقطع الذي يأتي ذكره ان شاء الله تعالى ، ويقال في جمعه المقاطع والمقاطيع ، وهو ما جاء عن التابعين موقوفا عليهم من أقوالهم أو أفعالهم .

معرفة المرسل

وصورته التي لا خلاف فيها حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي بن الخيار ثم سعيد بن المسيب وأمثالهما إذا قال : « قال رسول الله ﷺ » والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين في ذلك رضى الله عنهم ، وله صور اختلف فيها أهى من المرسل أم لا ؟

ثم أعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف الا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر كما سبق بيانه في نوع الحسن ، ولهذا احتج الشافعي رضى الله عنه بمرسلات سعيد بن المسيب رضى الله عنهما فانها وجدت مسانيد من وجوه آخر .

معرفة المنقطع

وفيه وفي الفرق بينه وبين المرسل مذاهب لأهل الحديث وغيرهم ومنها أن المنقطع مثل المرسل وكلاهما شامل لكل مالا يتصل اسناده وهذا المذهب أقرب ما صار إليه طوائف من الفقهاء وغيرهم .

معرفة المعضل

وهو لقب لنوع خاص من المنقطع ، فكل معضل منقطع وليس كل منقطع

معضلا ، وهو عبارة عما سقط بعد اسناده اثنان فصاعدا ... وأصحاب الحديث يقولون أعضل فهو معضل بفتح الضاد وهو اصطلاح مشكل المأخذ من حيث اللغة ، وبحث فوجدت لهم قولهم « أمر عضيل » .. أي مستغلق شديد ولا التفات في ذلك إلى معضل بكسر الضاد وان كان مثل عضيل في المعنى ، ومثاله ما يرويه التابعي قائلا فيه « قال رسول الله ﷺ » ، وكذلك ما يرويه من دون تابعي التابعي « عن رسول الله ﷺ » أو عن أبي بكر وعمر وغيرهما غير ذاك للوسائط بينه وبينهم .

معرفة التدليس وحكم المدلس

التدليس قسمان :

أحدهما تدليس الاسناد ، وهو أن يروي عن لقيه مالم يسمعه منه موهما أنه سمعه منه ، أو عن عاصره ولم يلقه موهما أنه قد لقيه وسمعه منه . ثم قد يكون بينهما واحد وقد يكون أكثر ، ومن شأنه أن لا يقول في ذلك « أخبرنا فلان » ولا « حدثنا » وما أشبههما وإنما يقول « قال فلان أو عن فلان » ونحو ذلك ، مثال ذلك ما روينا عن علي بن خشرم قال كنا عند ابن عيينة ، فقال قال الزهري ، فقل له : « حدثكم الزهري » ؟ فسكت ثم قال : قال الزهري ، فقل له : « سمعته من الزهري » ؟ فقال لا لم أسمع من الزهري ولا ممن سمعه من الزهري حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري » ..

القسم الثاني :

تدليس الشيوخ وهو أن يروي عن شيخ سمعه منه فيسميه أو يكتبه أو ينسبه أو يصفه بخال يعرف به كي لا يعرف .

مثال : « ما روي لنا عن أبي بكر بن مجاهد الامام المقرئ أنه روي عن أبي بكر عبد الله عن أبي داود السجستاني فقال حدثنا عبد الله بن أبي عبد الله وروي عن أبي بكر محمد بن الحسن النقاش المفسر المقرئ فقال : حدثنا محمد بن سند نسبه إلى جد له » .

أما القسم الأول فمكروه جدا ذمه أكثر العلماء ، وأما القسم الثاني فأمره أخف وفيه تضييع للمروي منه وتوعير لطريق معرفته على من يطلب الوقوف على حاله وأهليته .

ويختلف الحال في كراهة ذلك بحسب الغرض الحامل عليه ، فقد يحمله على ذلك كون شيخه الذي غير سمته غير ثقة ، أو كونه متأخر الوفاة قد شاركه في السماع منه جماعة دونه ، أو كونه أصغر سنا من الراوي ، أو كونه كثير الرواية عنه فلا يحب الاكثار من ذكر شخص واحد على صورة واحدة وتسمع بذلك جماعة من الرواة المصنفين .

معرفة الشاذ

روينا عن يونس بن عبد الأعلى قال : قال الشافعي رحمه الله : ليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة مالا يروي غيره إنما الشاذ أن يروي الثقة حديثا يخالف ما يروي الناس .

ويقول ابن الصلاح : إذا انفرد الراوي بشيء نظر فيه ، فإن كان ما انفرد به مخالفا لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط كان ما انفرد به شاذاً مردوداً ، وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره وإنما هو أمر رواه هو ولم يروه غيره فينظر في هذا الراوي المنفرد فإن كان عدلاً حافظاً موثقاً باتقانه وضبطه قبل ما انفرد به ولم يقدح الانفراد فيه كما سبق من الأمثلة ، وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه واتقانه لذلك الذي انفرد به كان انفرده حارماً له مزحزحاً له عن حيز الصحيح .

ثم هو بعد ذلك دائر بين مراتب متفاوتة بحسب الحال ، فإن كان المنفرد به غير بعيد من درجة الحافظ الضابط المقبول تفرده استحسننا حديثه ذلك ولم نخطه إلى قبيل الحديث الضعيف ، وإن كان بعيداً من ذلك رددنا ما انفرد به وكان من قبيل الشاذ المنكر فخرج من ذلك أن الشاذ المردود قسمان : أحدهما

الحديث المفرد المخالف ، والثاني المفرد الذي ليس فيه راويه من الثقة والضبط مايقع جابرا لما يوجب التفرد والشذوذ من النكارة والضعف .

معرفة المنكر من الحديث

بلغنا عن أبي بكر أحمد بن هارون البرديجي الحافظ أنه الحديث الذي ينفرد به الرجل ولا يعرف متنه من غير روايته لامن الوجه الذي رواه منه ولا من وجه آخر ، فأطلق البرديجي ذلك ولم يفصل واطلاق الحكم على التفرد بالرد أو النكارة أو الشذوذ موجود في كلام كثير من أهل الحديث والصواب فيه التفصيل الذي بيناه آنفا في شرح الشاذ .

وعند هذا نقول : المنكر ينقسم قسمين على ما ذكرناه في الشاذ فانه بمعناه مثال الاول وهو المنفرد المخالف لما رواه الثقات .

ومثال الثاني : وهو المفرد الذي ليس فيه راويه من الثقة والاتقان مايتحمل معه تفرده .

معرفة المضطرب من الحديث

المضطرب من الحديث هو الذي تختلف الرواية فيه ، فيرويه بعضهم على وجه ، وبعضهم على وجه آخر مخالف له ، وإنما نسميه مضطربا إذا تساوت الروايتان ، أما إذا ترجحت أحدهما بحيث لا تقاومها الاخرى بأن يكون راويها أكثر حفظا أو أكثر صحة للمروي عنه أو غير ذلك من وجوه الترجيحات المعتمدة ، فالحكم للراجحة ولا يطلق عليه حينئذ وصف المضطرب ولا له حكمه ، ثم قد لا يقع الاضطراب في متن الحديث ، وقد لا يقع في الاسناد وقد يقع ذلك من راو واحد وقد وقع من رواة له جماعة والاضطراب موجب ضعف الحديث لاشعاره بأنه لم يضبط .

معرفة المدرج في الحديث

وهو أقسام ، منها ما أدرج في حديث رسول الله ﷺ من كلام بعض رواة بأن يذكر الصحابي أو من بعده عقيب ما يرويه من الحديث كلاما من عند نفسه فيرويه من بعده موصولا بالحديث غير فاصل بينهما بذكر قائله فيلتبس الأمر فيه على من لا يعلم حقيقة الحال ويتوهم أن الجميع عن رسول الله ﷺ ومن أمثلته المشهورة : « مارويناه عن التشهد عن أبي خثيمة زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ علمه التشهد في الصلاة فقال قل : التحيات لله فذكر التشهد وفي آخره أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فإذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك ، ان شئت أن تقوم فقم وان شئت أن تعقد فاقعد ، هكذا رواه أبو خثيمة عن الحسن بن الحر ، فأدرج في الحديث قوله : « فإذا قلت هذا إلى آخره » وإنما هذا من كلام ابن مسعود لا من كلام رسول الله ﷺ .

ومن أقسام المدرج أن يكون متن الحديث عن الراوي له بإسناد الا طرفا منه فانه عنده بإسناد ثان ، فيدرجه من رواه عنه على الإسناد الأول ، ويخذف الإسناد الثاني ويروي جميعه بالإسناد الأول .

مثاله : « حديث ابن عيينة وزائدة بن قدامة عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر في صفة صلاة رسول الله ﷺ وفي آخره أنه جاء في الشتاء فرآهم يرفعون أيديهم من تحت الثياب » والصواب رواية من روي عن عاصم بن كليب بهذا الاسناد صفة الصلاة خاصته وفصل ذكر رفع الايدي عنه ، فرواه عن عاصم عن عبد الجبار بن وائل عن بعض أهله عن وائل بن حجر .

ومنها أن يدرج في متن حديث بعض متن حديث آخر يخالف للأول في الاسناد ، مثاله : « رواية سعيد بن أبي مریم عن مالك عن الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لاتباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولا تنافسوا ... الحديث » .

فقوله : « لاتنافسوا » أدرجه ابن أبي مريم من متن حديث آخر رواه مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فيه : « لاتجسسوا ، ولا تحسسوا ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا » والله أعلم .

ومنها أن يروي الراوي حديثاً عن جماعة بينهم اختلاف في أسناده فلا يذكر الاختلاف بل تدرج روايتهم على الاتفاق .

معرفة الموضوع

وهو المختلق المصنوع ، اعلم أن الحديث الموضوع شر الاحاديث الضعيفة لانه لا يحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن حيث جاز روايتها في الترغيب والترهيب على ما بينه قريبا ان شاء الله تعالى .

وإنما يعرف كون الحديث موضوعا باقرار واضعه أو ما ينزل منزلة إقراره ، وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي أو المروي ، فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركافة ألفاظها ومعانيها .

وفيما روينا عن الامام أبي بكر السمعاني أن بعض الكوفية ذهب إلى جواز وضع الحديث في باب الترغيب والترهيب ، ثم ان الواضع ربما وضع كلاما من عند نفسه فرواه ، وربما أخذ كلاما لبعض الحكماء أو غيرهم فوضعه على رسول الله ﷺ ، وربما غلط غلط فوقع في شبه الوضع من غير تعمد كما وقع لثابت بن موسى الزاهد في حديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » .

مثال : « زوينا عن أبي عصمة وهو نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال اني رايت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة » وهكذا حال الحديث الطويل الذي يروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة فسورة بحث باحث

عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه وأن أثر الوضع ليين عليه ولقد أخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم « والله أعلم » .

ولكن ما يلفتنا فى دراسة المحدثين النقدية للحديث ذلك المنهج العلمى الدقيق الذى قاسوا به الحديث منبهين إلى صحيحه وسقيمه ونحن نرصد هنا دراسة تحليلية ثمار درسيهم النقدي نشفعه بوجهة نظرنا .
(أ) فرجال الحديث وضعوا منهجا علميا دقيقا لنقد رواة النص وصرفوا كثيرا جدا من اهتمامهم إلى رجال السند بهدف توثيق النص فمثلا رأوا أن من شرط الصحيح أن يكون رواته كلهم ثقة ومع ذلك يحتمل ألا يكون الحديث صحيحا فى حد ذاته ويبدو أن هذا القسم من الأحاديث الصحيحة الاسناد والتي نصها غير صحيح قد استبعدوا البخاري ومسلم .

(ب) يلفتنا أن القدماء تنبهوا إلى الامانة فى الاستشهاد العلمى حين قالوا بأن هناك فرقا بين قولنا « أخرجه مسلم أو البخاري » فقد يعنى هذا اختلاف النص المنقول عن الاصل فى اللفظ أو بعض المعنى بينما قولنا أخرج الصحيحان هذا الحديث مثلا بلفظه يعنى لابد من التزام الحرفية التامة فى النص .

(ج) وقد فرق العلماء بين رواة الحديث الصحيح ورواة الحسن من الحديث بأن رجال الصحيح أكثر ثقة وضبطا وهم أشهر من رجال الحسن من الحديث .

(د) كان لهم منطق سليم فى أن الحديث الحسن قد يرتفع إلى درجة الحديث الصحيح إذا كان هناك من الأحاديث ما يؤيده ويقويه من طريق رواية غير الطريق الأول ، وكذلك الشأن فى المرسل الذى يرويه التابعى عن الرسول ﷺ فانه بهذه الصورة الصحيحة ضعيف ولكن إذا كانت هناك شواهد تقويه من نصوص أحاديث أخرى ارتفع إلى درجة الحديث الصحيح .

(هـ) من أمهات مصادر الحديث الصحيحان وهما مصدر الأحاديث الصحاح أما جامع الترمذي فهو مصدر الأحاديث الحسنة وهناك مصادر أخرى لما دون ذلك من مراتب الحديث .

(و) خصصوا أنواع النصوص في دائرة الحديث فمن الحديث ما ينسب للرسول ﷺ ومنه ما ينسب إلى الصحابة رضوان الله عليهم ثم ما ينسب إلى التابعين ، فالنص الذي للرسول ﷺ سموه مسندا أو مرفوعا والذي للصحابة سموه موقوفا أما نص التابعين فهو مقطوع .

(ز) وفيما يتصل بترابط الحلقات في سلسلة الرواة نجد المحدثين يجعلون الحديث المسند الذي سقط أحد رواته مسندا مقطوعا أما الذي اكتمل رواته فهو مسند متصل ، وكذلك الشأن في الحديث الموقوف ، وينبغي أن نميز بين ثلاثة أنواع من الرواة في حالة الانقطاع :

١ - المرسل : رواية تابعي عن الرسول ﷺ .

٢ - المنقطع : يكون في الحديث المسند أو الموقوف أو المقطوع .

٣ - المعضل : ماسقط من رواته اثنان فصاعدا .

(ح) حوّم النقاد حول توثيق النص وإن لم يقتربوا من النص فقالوا إن من التدليس تدليس الأسناد بمعنى أن يوهم الراوي أنه سمع حديثا من شيخ لقيه وليس الواقع أنه سمع منه هذا الحديث أو هو يوهم بسماعه حديثا من شيخ لم يلقه وفي كلا الأمرين فإن النص غير واضح النسبة إلى من رواه .

وفي النوع الثاني من التدليس وهو تدليس الشيوخ لحطّ النقاد أن الراوي يلقي ظلّالا من الغموض على من روي عنه الحديث ونهبوا إلى أمور قد تشجع على هذا الصنيع منها كون الشيخ غير ثقة أو هو أصغر سنا من تلاميذه ... الخ .

(ط) اتبع النقاد منهج المقابلة لتوثيق النص الذي وصفوه بالشذوذ فإن النص الشاذ يقابل بمعاني الأحاديث الأخرى فإن خالفها وكان رواية الأحاديث

الآخري أولى منه بالثقة اعتبر نصا شاذا مرفوضا أما إذا وافقت معاني الأحاديث الآخري فينظر في الراوي فإن كان ثقة عد حديثه شاذا انفرد به ولم يروه غيره .

وبمقياس المقابلة أيضا وجدوا أن الحديث الذي انفرد راويه به مخالفا لسائر الأحاديث يوضع في مرتبة المنكر ، ونقدم هنا متجه المناقضة معنى هذا النص من الحديث لمعاني النصوص الآخري .

كذلك رأى النقاد أن الراوي حين يكون غير ثقة فليس ينبغي له أن انفرد برواية حديث ..

ومما يتصل أيضا بهذا المنهج في المقارنة مقابلتهم حديثين فيلاحظون أن المعنى فيهما مضطرب مع أن درجة العدالة في رواتهما متساوية ، أما إذا كان رواية أحد النصين أوثق من الآخرين فإن نص الضعفاء هو الذي يحكم عليه بالاضطراب ، بمعنى أن النقاد هنا يقيمون موازنة بين روايتين في الحديث فيلاحظون هل المعنى متفق أم مختلف ، وهل الرواة متساوون أم ينبغي الترجيح بينهم وبعد هذا كله يحكمون باضطراب الحديث أو عدم اضطرابه .

(ي) ويوقفنا عنايتهم بتحرير النص فنجدهم في المدرج يفتنون إلى تداخل ماهو من كلام الرسول ﷺ في كلام غيره أو تداخل بعض أحاديث في حديث أو تداخل اسناد في اسناد آخر .

(ك) تنبه النقاد إلى الحديث الموضوع والاعتبارات التي تحيط بالوضع وفيما عهدناه من الاهتمام الأكثر بالراوي قالوا بضرورة النظر في شأن هذا الراوي ، ثم نهوا أيضا إلى الالتفات إلى نص الحديث فإن ركابة ألفاظه ومعانيه دليل على هذا الوضع .

واذن مما سبق نجد أن نقاد الحديث أفرغوا جانبا كبيرا من اهتمامهم إلى توثيق رواية الحديث ومع أنه كانت لهم اشارتهم البارعة إلى النص إلا أنها تأخذ مكانا متواضعا من اهتمامهم .

ونحن نسأل إذا كان رجال الحديث أنفسهم يعترفون أن صحة الرواة قد لاتعنى صحة النص فلماذا لم يوازنوا في نقدهم للحديث بتوزيع قدر من الاهتمام على النص تماما مثل ما أعطوه لرجال السند ؟

ولنكون منصفين فائنا نقول أن منهج رجال الحديث في النقد يمكن أن نفيد منه أعظم الفائدة في تصور خطة علمية تقوم على توثيق النص وتوثيق راويه والموازنة بين النصوص بالترجيح بينها وفقا لاعتبارات تحيط بالنص وراويه .

* * *

حادى عشر : الحديث وتكنولوجيا العصر :

قام كمال الدين عبد الغنى ببحث موضوعه « منهج الترمذى في نقد الحديث » تقدم به لكلية الآداب جامعة الإسكندرية . فبرج القواعد النظرية التى رآها الترمذى لقياس مراتب الحديث الحسن ، ومتى يكون صحيحا ، ومتى يكون غريبا ، وذلك فى الحاسب الآلى . بالأكاديمية البحرية بالاسكندرية .

وانتهى الحاسب الآلى إلى النتائج التطبيقية عينها التى قاس بها الترمذى الحديث نظريا . أعنى أن القواعد النظرية للترمذى وتطبيقاته عليها ، أدت إلى النتائج نفسها فى الحاسب الآلى ، مما يكشف عن أصالة الفكر الإسلامى ، وأمانته ودقته .

الفصل الثالث
الحديث وعلوم العربية من لغة ونحو

أولا : في لغة الحديث :

يؤرخ الدكتور حسين نصار للتأليف في غريب الحديث ، ويقول :

لم يبدأ التدوين في هذا النوع من اللغة مع نظيره « غريب القرآن » بل تأخر كثيرا ، وإن كان من المحتمل أن الكلام فيهما بدأ في وقت واحد . فقد رأينا كتابا في غريب القرآن ينسب إلى عبد الله بن عباس ، ولكننا لم نجد كتابا في غريب الحديث تنسب إلى هذا الخبر ، أو أحد من معاصريه ، أو تلاميذه المباشرين . وإنما عزا أكثر الباحثين الكتاب الأول في غريب الحديث إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠ هـ) تبعا لابن الأثير . ولكن هذا القول يجب ألا يؤخذ قضية مسلمة ، فقد نسب ابن النديم^(١) الكتاب الأول من هذا النوع إلى أبي عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى ، إذ قال : « وله ... كتاب غريب الحديث ، وترجمته : « ماجاء من الحديث المأثور عن النبي ﷺ مفسراً » ، وعلى أثره « مافسر العلماء من السلف » . وكان أبو عدنان راوية « لأبي البيداء الرياحي ، وهو معاصر ليونس بن حبيب ، أستاذ أبي عبيدة » . فأبو عدنان إذن وأبو عبيدة متعاصران ، ومن المحتمل أن يسبق أحدهما الآخر في التأليف في غريب الحديث . ولكن إذا كان لنا أن نعتمد على مؤرخ ، فالأجدر بالترجيح ابن النديم ، لأنه أقدمهم وأقربهم إلى عصر هؤلاء المؤرخين ، فنقدم بذلك أبا عدنان على أبي عبيدة . ولم يصل إلينا كتاب أبي عدنان ، ولكن وصفه بابن درستويه في قوله^(٢) : « ذكر فيه الأسانيد ، وصنفه على أبواب السنن والفقه ، إلا أنه ليس بالكبير » .

ولم يصل إلينا كتاب أبي عبيدة أيضا ، ولكنه دخل في كتب الغريب التي ألفت بعده . ووصفه ابن الأثير في مقدمته بقوله : « فقل إن أول من جمع في هذا الفن شيئا وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي . فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتابا صغيرا ، ذا أوراق معدودات . ولم تكن قلته لجهله بغيره

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٤٠٤/١٣ .

(٢) نفس المصدر : ١٢ : ٤٠٥ .

من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما : أن كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه ، ومبتدغ لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر . والثاني : أن الناس يومئذ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجاهل قد عم ، ولا الخطب قد طم . وقد نقد إبراهيم الحريّ كتاب أبي عبيد ، باحتوائه على عدة أحاديث لا أصل لها ، أخذها من كتاب أبي عبيدة ، مما يدل على أن الحريّ كان لا يثق بأحاديث أبي عبيدة المذكورة في كتابه ، وإن كان غيره وثقّ أبا عبيدة ، كما يظهر من تهذيب ابن حجر ثم يسرد الباحث من صنفوا في غريب الحديث .

* * *

وبعد هذا الحديث التاريخي عن لغة الحديث نعرض تطبيقياً لأهم المؤلفات فيه عند أبي على القالي^(١) وابن الأثير الجزري^(٢).

(أ) أما أبو على القالي فكان في الغالب على ثقافته الحديث واللغة وبهذا انطبعت مؤلفاته وهو أصلاً من منازجرد بأرمينية ثم لبث في العراق خمساً وعشرين سنة وتلمذ هناك على أئمة اللغة والحديث فمن المحدثين سليمان بن الأشعث السجستاني وتوفي سنة ٣٥٦ هـ بالاندلس . ومن اللغويين والنحاة ابن درستويه - الزجاج - الانخفش الصغير - نفطوية - ابن درستويه - ابن السراج - ابن الأنباري - ابن قتيبة .

ونتبين منهجه في بحث الحديث فيما نصه : « وأودعته فنوناً من الاخبار ، وضرباً من الأشعار ؛ وأنواعاً من الأمثال ، وغرائب من اللغات ؛ على أني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا اشبعته ، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته ، ولافتاً من الخبر إلا انتحلته ، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته . ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول ﷺ ،

(١) ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ من ص ٩-١٢ من الجزء الأول ، ومن ص ٢٦٧ إلى ٣٠٠ من الجزء الثاني .

(٢) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطفاحي ط عيسى الباني الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٧١ م من ص ٧٤-٧٧ .

على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد ، وفسرت فيه من
الاتباع ما لم يفسره بشر ؛ ليكون الكتاب الذي استنبطه إحسان الخليفة
جامعاً والديوان الذي ذكر فيه اسم الإمام كاملاً .

(أ) الأمالي لابي علي القالي

وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدثنا اسمعيل بن أحمد بن حفص
سمعان النحوى قال حدثنا أبو عمر الضرير قال حدثنا عباد بن حبيب
بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم التميمي عن أبيه عن حده قال ثنا
رسول الله ﷺ ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة فقالوا يا رسول
الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد ثمنكها قال
وكيف ترون راحها قالوا ما أحسنها وأشد استدراثها قال وكيف ترون
بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها أوميضاً أم
خفياً أم يشق شقاً قالوا بل يشق شقاً قال فكيف ترون جوائها قالوا ما أحسنه
وأشد سواده فقال عليه السلام انحيا فقالوا يا رسول الله مارأينا الذي هو منك
أفصح قال وما يمنعني من ذلك فإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين ﷺ قال
أبو علي ﷺ قواعدها أسافلها واحدها قاعدة فأما القواعد من النساء فواحدها
قاعدة وهي التي قعدت عن الولد وذهب حرم الصلاة عنها وراحها وسطها
ومعظمها وكذلك راحي الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم قال
الشاعر

قدارت راحنا بفرسانهم * فعادوا كأن لم يكونوا زميما

وبواسقها ماعلا منها وارتفع واحدها باسقة وكل شيء ارتفع و طال فقد
بسق يقال قد بسقت النحلة قال الله عز وجل « والنحل باسقات » وكذلك
بسق النبت فكثير في كلامهم حتى قالوا بسق فلان على قومه أى علاهم في
الشرف والكرم . والوميض اللتمع الخفي

قال امرؤ القيس

أَعْنِي عَلَى بَرْقٍ أَرَاهُ وَمِضْ * يُضِيءُ حُبًّا فِي شَمَارِخِ بَيْضِ
ويقال أَوْمَضَ البرقُ يُومِضُ إِيْمَاضًا إِذَا لَمَعَ لَمْعًا خَفِيًّا وَأَوْمَضَ بَعِينُهُ إِذَا غَمَرَ
بَعِينُهُ . وَالْخَفِيُّ الْبَرْقُ الضَّعِيفُ قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَخَفِيَ الْبَرْقُ يَخْفِي خَفِيًّا إِذَا بَرَقَ
بَرَقًا ضَعِيفًا وَقَالَ الْكِسَائِيُّ خَفَابَخَفُوا خَفُوءًا . وَجَوْنُهَا أَسْوَدُهَا وَالْجَوْنُ مِنَ
الْاضْطِدَادِ يَكُونُ الْأَسْوَدَ وَيَكُونُ الْأَبْيَضَ (قَالَ الْأَصْمَعِيُّ) وَأَتَى الْحَجَّاجُ بَدْرَعَ
وكَانَتْ صَافِيَةً بَيْضَاءَ فَجَعَلَ لَا يَرَى صَفَاءَهَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَكَانَ فَصِيحًا « قَالَ
أَبُو عَمْرٍو وَهُوَ أَتَيْسُ الْجَرْمِيُّ » إِنَّ الشَّمْسَ جَوْنَةٌ يَعْنِي شَدِيدَةُ الْبَرِيقِ وَالصَّفَاءُ
فَقَدْ غَلَبَ صَفَاؤُهَا بَيَاضَ الدَّرْعِ وَأَنْشَدَ

يُيَادِرُ الْأَثْبَارَ أَنْ تُؤْبَا * وَحَاجِبَ الْجَوْنَةِ أَنْ يَغَيَا
وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ

غَيْرَ يَا بِنْتَ الْحُلَيْسِ لَوْنِي * طُولُ اللَّيَالِي وَاخْتِلَافُ الْجَوْنِ

وَسَقَرُ كَانَ قَلِيلَ الْأَوْنِ

أَيُّ الْفَتُورِ، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَصِفُ قَصْرًا أَبْيَضَ

وَجَوْنٍ عَلَيْهِ الْجِصُّ فِيهِ مَرِيضَةٌ * تَطْلُعُ مِنْهَا النَّفْسُ وَالْمَوْتُ حَاضِرُهُ

وَالْحَيَا مَقْصُورُ الْغَيْثِ وَالْخَصْبِ وَجَمَعَهُ أَحْيَاءُ قَالَ الْأَخْطَلُ

رَبِيعٌ حَيًّا مَا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ * سَوْوَمٌ وَلَا مُسْتَنْكِشُ الْبَحْرِ نَاضِبُهُ

وَأَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

إِنَّا مُلُوكُ حَيَا لِلتَّابِعِينَ لَنَا * مِثْلُ الرَّبِيعِ إِذَا مَائِبَتُهُ نَضَرَا

وَقَرِئَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْبُهْلُولِ الْأَزْرَقِ فِي
مَسْجِدِ الرِّصَافَةِ وَأَنَا أَسْمَعُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمِيدٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَمِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا

عثمان بن حكيم قال أخبرنا عامر بن سعد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ
أَحْرَمَ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ أَنْ يُقَطَّعَ عِضَاهُهَا أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا وَقَالَ الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ
وَلَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتَ شَهِيداً أَوْ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا
سَمِعْتُ بِلَالَهُ ؓ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ ؓ اللَّابَةُ وَاللُّوبَةُ الْحَرَّةُ فَمَنْ قَالَ لَابَةً قَالَ فِي جَمْعِهَا
لَأَبٌ وَمَنْ قَالَ لُوبَةً قَالَ فِي الْجَمْعِ لُوبٌ قَالَ سَلَامَةُ ابْنِ جَنْدَلٍ

حتى تركنا وماتنى ظعائننا ۝ يأخذ بين سواد الخط فلولوب
والعضاه كل شجر له شوك يعضه ومن أعرف ذلك الطلح والسنة والسيال
والعرقط والسمر والشبهان والكنجبل والواحدة عضة قال الراعي
ونحاذع المجد أقوام لهم ورق ۝ راح العضاه به العرق مدحول
واللأواء الشدة قال رؤبة

لأواءها والأزل والمظاظا ۝ الأزل الضيق والمظاظ المشارة يقال ما ظظت
فلانا ممطرة ومظاظا ۝ قال أبو علي ؓ وقرىء على الأزرق وأنا أسمع قال حدثنا
بشر بن مطر قال حدثنا سفيان عن عمرو وعن أبي العباس عن عبد الله بن
عمرو قال قال لي رسول الله ﷺ أَلَمْ أُخَبِّرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ
فَقُلْتَ إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّكَ أَنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنَكَ وَتَفَهَتْ نَفْسُكَ
إِنَّ لَعَيْنِكَ حَقًّا وَلَأَهْلِكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ حَقًّا فَقَمِ وَنَمْ وَصِمِ وَأَفْطِرِ ۝ قال أبو
علي ؓ قال أبو عمر والشيباني هَجَمَتْ عَيْنُهُ وَخَوِصَتْ وَقَدَحَتْ وَتَقَنَّتْ عَيْنُهُ
تَقَنَّةٌ كُلُّ ذَلِكَ إِذَا غَارَتْ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ حَجَلَتْ عَيْنُهُ وَهَجَمَتْ كِلَاهُمَا
غَارَتْ . وَجَاءَ حَاجِلَةٌ عَيْنُهُ وَأَنشَدَ

وَأَهْلَكَ مُهَرَّ أَيْسِكَ الدَّوَا ۝ أَيْسَ لَهُ مِنْ طَعَامٍ نَصِيبُ
فَتُصْبِحُ حَاجِلَةٌ عَيْنُهُ ۝ لِحِنَاسَتِهِ وَصَلَاةُ غُيُوبِ

وحاجِلَةٌ مِنْ حَجَلَتْ بِالْتخْفِيفِ وَالْأَكْثَرِ سَجَلَتْ بِالتَّشْدِيدِ فَهِيَ مُحَجِّلَةٌ .
وَنَفَهَتْ أَغْيَتْ وَيُقَالُ لِلْمُعْيِ نَافَهُ وَمُنْفَهُ وَجَمَعَ النَّافِيَهُ نُفَّهُ قَالَ رُوْبَةٌ

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مَيْلَةٍ * بِنَا حَرَاجِيْجُ الْمَهَارِي النُّفْهِ
وَالْمَيْلَةُ الَّتِي يُؤْلَهُ سَالِكُهُ بُحَيْرُهُ *

قال وحدثنا أبو بكر بن الانباري قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد البزاز
قال حدثنا عبيد الله بن عمرو قال حدثنا يحيى بن سفيان قال سمعت عمر وبن
مرة يقول حدثنا عبد الله بن الحرث عن طليق بن قيس عن ابن عباس أن رسول
الله ﷺ كان يقول في دعاء له رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي وَأَجِبْ دَعْوَتِي وَاغْسِلْ حَوْبَتِي
وَتَبَّتْ حُجَّتِي وَاهْدِ قَلْبِي وَسَدِّدْ لِسَانِي وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي قال أبو بكر الحَوْبَةُ
الْفَعْلَةُ مِنَ الْحُوبِ وَهُوَ الْإِثْمُ يُقَالُ حَابَ الرَّجُلُ إِذَا أَثِمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « اِنَّهُ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا » وَقرأ الحسن انه كَانَ حُوبًا كَبِيرًا فَقَالَ الْفَرَاءُ الْحُوبُ الْمَصْدَرُ
وَالْحُوبُ الْأَسْمُ وَقَالَ نَابِغَةُ بَنِي شَيْبَانَ

نَمَاكَ أَرْبَعَةٌ كَانُوا أَثْمَنًا * فَكَانَ مُلْكُكَ حَقًّا لَيْسَ بِالْحُوبِ
وَالسَّخِيمَةُ الْحَقْدُ وَفِيهِ لُغَاتٌ يُقَالُ فِي قَلْبِي عَلَى فُلَانٍ ضِغْنٌ . وَحَقْدٌ .
وَضَبٌ . وَوُثْرٌ وَدِغْثٌ . وَطَائِرَةٌ وَتِرَةٌ . وَذَحَلٌ . وَثُبُلٌ . وَوَغْمٌ . وَوَغْرٌ .
وَعِمْرٌ . وَمِثْرَةٌ . وَإِخْنَةٌ . وَدِمْنَةٌ . وَسَخِيمَةٌ . وَخَسِيكَةٌ . وَحَسِيفَةٌ .
وَكَتِيفَةٌ . وَحِشْنَةٌ . وَخَزَازَةٌ . وَخَزَازٌ وَيُقَالُ خَزَازٌ قَالَ الشَّاعِرُ

فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ * وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وَقَالَ لَبِيدٌ * بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الْإِحْقَادُ وَالَّذِي مَنْ * وَقَالَ الْأَعَشَى

يَقُومُ عَلَى الْوَغْمِ فِي قَوْمِهِ * فَيَعْنُو إِذَا شَاءَ أَوْ يَنْتَقِمُ

وَقَالَ أَيْضًا

وَمَنْ كَاشَخَ ظَاهِرَ غَمْرِهِ * إِذَا مَا انْتَشَبَتْ لَهُ أُنْكَرُنُ

وقال ذو الرمة :

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتلنه * بلا إحنة بين النفوس ولا ذحل

وقال نسيب :

أمن ذكر ليلى قد يُعاودني التبل * على حين شاب الرأس واستوسق العقل

وقال القطامي

أخوك الذي لا تملك الجس نفسه * وترفض عند المحفظات الكتائف^(١)

أى الاحقاد واحدها كتيفة . والكتيفة أيضا الضبة الحديد وأنشد أبو محمد
الأموى فى الجشنة

ألا لا أرى ذا جشنة فى فؤاده * يجمعها إلا سيدو دفينا

وأنشدنا محمد بن القاسم قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى

إذا كان أولاد الرجال خرازة * فانت الحلال الحلو والبارد العذب

وحدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا محمد بن يونس الكديمى قال حدثنا

ابراهيم بن زكريا البزاز قال حدثنا عمرو بن أزهري عن أبان عن أنس قال قال

النبي ﷺ « أكل السفرجل يذهب بطحاء القلب » قال أبو بكر الطخاء الثقلي

والظلمة يقال ليلة طخياء وطاخية قال وأنشدنا أبو العباس ثعلب عن

ابن الاعرابى

ليت زماني عادلى الاول وما يرد ليت أو لعل

وليلة طخياء يرمعل فيها على السارى ندى مخضل

﴿ قال أبو على ﴾ يقال أرمعل وأرمعن إذا سال وقال الطخاء الغيم الكثيف

﴿ قال أبو على ﴾ لم أسمع الطخاء الغيم الكثيف الا منه فاما الذى عليه عامة

(١) قال الأزهري هكذا روى أبو عبيد الحسن بكسر الحاء ومعنى هذا البيت معنى المثل السائر الحفاظ

تحلل الأحقاد يقول إذا رأيت قريبي يضام وأنا عليه واجد أخرجت مافي قلبي من السخيمة ولم

أدع نصرته ومعونته ، والمحفظات الأمور التى تحفظ الرجل أى تغضبه كذا فى اللسان كتبه

مصححه .

اللغويين فالطُّخَاءُ الغيم الذي ليس بكثيف (وقال الأصمعي) الطُّخَاءُ والطُّهَاءُ
والطُّخَافُ والعَمَاءُ الغيم الرقيق كذلك رَوَى عنه أبو حاتم . وقال أبو عبيد عنه
الطُّخَاءُ السحاب المرتفع وفسر أبو عبيد حديث النبي ﷺ قال الطُّخَاءُ العَشِيُّ
والثَّقْلُ وهذا شبيه بالقول الأول ﴿ قال أبو علي ﴾ وحقيقته عندي أنه ما جَلَّلَ
الْقَلْبَ حتى يَسُدَّ الشَّهْوَةَ ولذا قيل للسَّحَابِ طَخَاءٌ لانه يُجَلِّلُ السَّمَاءَ ولذلك
قيل لليلة المظلمة طَخِيَاءٌ لأنها تُجَلِّلُ الْأَرْضَ بِظُلُمَتِهَا .

« إِنَّ أَحَبَّكُمْ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا وَأَبْغَضُكُمْ
إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ قَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَرَفْنَا الثَّرَاوِينَ وَالْمُتَشَدِّقِينَ فَمِنَ الْمُتَفَيِّهُونَ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ »
قال أبو بكر قال اللغويون منهم يعقوب ابن السَّكَيْتِ الثَّرَاوُونَ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ
الْقَوْلَ وَلَا يَكُونُ إِلَّا قَوْلًا بَاطِلًا وَيُقَالُ نَهَرَ ثَرَّارٌ إِذَا كَانَ مَاءُهُ مُصَوِّتًا وَمَطَرٌ
ثَرَّارٌ وَأُنْشِدَ يَعْقُوبُ

لشُحْبِهَا فِي الصَّخْنِ لِلْأَعْشَارِ * بَرَبْرَةٍ كَصَحْبِ الْمُمَارِي * مِنْ قَادِمٍ مُنْهَجِرِ ثَرَّارِ
وكان أبو بكر بن دريد يقول نَهَرَ ثَرَّارٌ إِذَا كَانَ مَاءُهُ كَثِيرًا وَلِذَلِكَ سَمِيَ
النَّهْرُ الْمَعْرُوفُ بِالْثَرَّارِ وَنَاقَةُ ثَرَّةٍ إِذَا كَانَتْ غَزِيرَةَ اللَّبَنِ وَسَحَابَةُ ثَرَّةٍ كَثِيرَةُ الْمَطَرِ
وَعَيْنُ ثَرَّةٍ كَثِيرُ الدَّمْعِ وَأُنْشِدَنِي

يَا مَنْ لَعِينِ ثَرَّةٌ الْمَدَامَعِ * يَحْفَشُهَا الْوَجْدُ بِمَاءِ هَامِعِ
يَحْفَشُهَا يَسْتَخْرِجُ كُلُّ مَا فِيهَا وَمِثْلُ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ قَالَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ
بْنُ يَزِيدَ ﴿ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ ﴾ حَدَّثَنِي بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ النَّحْوِيُّ وَأُنْشِدَنَا
أَبُو الْعَبَّاسِ لِعَتْرَةِ بْنِ شَدَادٍ

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنِ ثَرَّةٍ * فَتَرَكَنْ كُلُّ قَرَارَةٍ كَالدَّرْهَمِ
وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَقَالُ ثَرَزْتُ الشَّيْءَ وَثَرَثَرْتُهُ إِذَا فَرَقْتَهُ وَبَدَدْتَهُ ﴿ قَالَ أَبُو
عَلِيٍّ ﴾ وَمِنْهُ قِيلَ نَاقَةُ ثُرُورٍ وَهِيَ مِثْلُ الْفُتُوحِ وَهِيَ الْوَاسِعَةُ الْأَحَالِيلِ وَقَدْ
فُتِحَتْ وَأُفْتُحَتْ الْوَاسِعَةُ الْأَحَالِيلِ يَخْرُجُ شُحْبُهَا مَتَفَرِّقًا مَتَشْتَرًا (وَقَالَ) غَيْرُ

يعقوب المْتَفَهَّق الذى يَتَّسَع شِدْقُهُ وَفُوهُ بالكلام الباطل وأصله من الفهق وهو
الامتلاء قال الاعشى

تَرُوحُ عَلَى آلِ الْمُخَلَّقِ جَفَنَةً * كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

وكان أبو مُخَرِّزٍ خَلَفَ يَرَوِي كَجَابِيَةِ السَّيِّحِ ويقول الشيخ تصحيف
والسَّيِّحِ الماء الذى يَسِيحُ على وجه الأرض أى يذهب وَيَجْزِي والجابية الحوضُ
الذى يُجْبَى فيه الماء أى يُجْمَعُ وجمعها جواب قال الله عز وجل « وَجِفَانٍ
كَالْجَوَابِ »

(ب) النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير

لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجرزي المعروف بابن
الاثير .

يقول ابن الاثير فى مقدمته :

ص ٧ ... إلى عهد الامام أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي
رحمه الله فصنف كتابه المشهور فى غريب الحديث وسماه الفائق ولقد صادف
هذا الاسم مسمي وكشف عن غريب الحديث كلّ معمى ورتبه على وضع
اختاره مقفي على حروف المعجم ولكن فى العثور على طلب الحديث منه كلفه
مشقة وان كانت دون غيره من متقدم الكتب لانه جمع فى التلفية بين ايراد
الحديث مسروداً جميعه أو أكثره أو أقله ثم شرح مافيه من غريب فيجىء شرح
كل كلمة يشتمل عليها ذلك الحديث فى حرف واحد من حروف المعجم فتزد
الكلمة فى غير حرفها وإذا تطلبها الانسان تعب حتى يجدها .

﴿ أَنَح ﴾ (هـ) فى حديث عمر رضى الله عنه « أنه رأى رجلاً يَأْنَحُ
بيطنه » أى يُقْلَهُ مُثْقَلًا به ، من الأنوح وهو صَوْتُ يُسْمَعُ من الجوف معه

نَفْسٌ وَبُهُزٌّ وَنَهِيْجٌ يَغْتَرِي السَّمِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ . يُقَالُ أُنْحَ يَأْنِحُ أُنُوْحاً فَهُوَ أُنُوْحٌ .

﴿أُنْدَرُ﴾ (س) فِيهِ « كَانَ لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُنْدَرَانِ » الْأُنْدَرُ : الْبَيْدَرُ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُدَاسُ فِيهِ الطَّعَامُ بِلُغَةِ الشَّامِ . وَالْأُنْدَرُ أَيْضاً صُبْرَةٌ مِنَ الطَّعَامِ ، وَهَمْزَةُ الْكَلِمَةِ زَائِدَةٌ .

﴿أُنْدُرُورِدِيَّةُ﴾ (س) فِي حَدِيثٍ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ « أَنَّهُ أَقْبَلَ وَعَلَيْهِ أُنْدُرُورِدِيَّةٌ » قِيلَ هِيَ نَوْعٌ مِنَ السَّرَاوِيلِ مُشْتَمِرٌ فَوْقَ الثُّبَانِ يُعْطَى الرُّكْبَةُ . وَاللَّفْظَةُ أَعْجَمِيَّةٌ .

وَمِنْهُ حَدِيثُ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّهُ جَاءَ مِنَ الْمَدَائِنِ إِلَى الشَّامِ وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ أُنْدُرُورِدِيٌّ كَأَنَّ الْأَوَّلَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ .

﴿أُنْدَرْمُ﴾ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ « وَسُئِلَ كَيْفَ يُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالَ قُلْ أُنْدَرَايِمَ » قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : هَذِهِ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا أَدْخُلْ . وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَخْصُصْهُمْ بِالْإِسْتِثْنَانِ بِالْفَارْسِيَّةِ وَلَكِنْهُمْ كَانُوا مَجُوسًا فَأَمَرَهُ أَنْ يُخَاطَبَهُمْ بِلِسَانِهِمْ . وَالَّذِي يُرَادُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ السَّلَامَ قَبْلَ الْإِسْتِثْنَانِ ، أَلَّا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أُنْدَرَايِمَ .

﴿أُنْسٌ﴾ فِي حَدِيثِ هَاجِرٍ وَإِسْمَاعِيلَ « فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئاً » أَيْ أَبْصَرَ وَرَأَى شَيْئاً لَمْ يَعْهَدْهُ . يُقَالُ آنَسْتُ مِنْهُ كَذَا : أَيْ عَلِمْتُ ، وَاسْتَأْنَسْتُ : أَيْ اسْتَعْلَمْتُ .

(هـ) وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « كَانَ إِذَا دَخَلَ دَارَهُ اسْتَأْنَسَ وَتَكَلَّمَ » أَيْ اسْتَعْلَمَ وَتَبَصَّرَ قَبْلَ الدَّخُولِ .

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ « أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَابِلَاسَهَا وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِيْنَاسَهَا » أَيْ أَنَهَا يَثُتُ مِمَّا كَانَتْ تَعْرِفُهُ وَتُدْرِكُهُ مِنْ اسْتِثْرَاقِ السَّمْعِ بِنِعْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَمِنْهُ حَدِيثُ نَجْدَةَ الْحَرُورِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ « حَتَّى يُؤْنَسَ مِنْهُ الرُّشْدُ » أَيْ بُعِلِمَ مِنْهُ كَأَلِ الْعَقْلِ وَسَدَادُ الْفَعْلِ وَحُسْنُ التَّصَرُّفِ . وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ .

(س) وفيه « أنه نهى عن الحُمز الإنسيّة يوم خيبر » يعنى التى تألف البيوت . والمشهور فيها كسر الهمزة منسوبة إلى الإنس وهم بنو آدم ، الواحد إنسي . وفى كتاب أبى موسى مايدل على أن الهمزة مضمومة ، فإنه قال : هى التى تألف البيوت والأنس ، وهو ضد الوحشة ، والمشهور فى ضد الوحشة الأنس بالضم ، وقد جاء فيه الكسر . قال ورواه بعضهم بفتح الهمزة والنون ، وليس بشيء . قلت : إن أراد أن الفتح غير معروف فى الرواية فيجوز ، وإن أراد أنه ليس بمعروف فى اللغة فلا ، فإنه مصدر أنست به آنس أنسا وأنسة .

وفيه « لو أطاع الله الناس فى الناس لم يكن ناس » قيل معناه أن الناس إنما يحبون أن يولد لهم الذكران دون الإناث ، ولو لم يكن الإناث ذهبت الناس . ومعنى أطاع : استجاب دعاءهم .

وفى حديث ابن صياد « قال النبى ﷺ ذات يوم : انطلقوا بنا إلى أنيسيان قد رابنا شأنه » هو تصغير إنسان جاء شاذًا على غير قياس ، وقياس تصغيره أنيسان .

﴿ أنف ﴾ (هـ) فيه « المؤمنون هيئون ليئون كالجمل الأنف » أى المأنوف ، وهو الذى عقر الخشاش أنفه فهو لا يمتنع على قائده للوجع به . وقيل الأنف الذلول . يقال أنف البعير يأنف أنفاً فهو أنف إذا اشتكى أنفه من الخشاش . وكان الأصل أن يقال مأنوف لأنه مفعول به ، كما يقال مصدور ومبطنون للذى يشتكى صدره وبطنه . وإنما جاء هذا شاذًا ، ويروى كالجمل الأنف بالمد ، وهو بمعناه .

وفى حديث سبق الحدث فى الصلاة « فليأخذ بأنفه ويخرج » إنما أمره بذلك ليؤهم المصلين أن به رعاها ، وهو نوع من الأدب فى ستر العورة وإخفاء القبيح ، والكتابة بالأحسن عن الأقبح ، ولا يدخل فى باب الكذب والرياء ، وإنما هو من باب التجميل والحياء وطلب السلامة من الناس .

(هـ) وفيه « لكل شيء أنفة وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى » أنفة الشيء :

ابتداؤه ، هكذا روى بضم الهمزة . قال الهروي : والصحيح بالفتح .

(هـ) وفي حديث ابن عمر رضى الله عنهما « إنما الأمر أنْف » أى مُسْتَأْنَف استئنافاً من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير ، وإنما هو (مقصور)^(١) على اختيارك ودخولك فيه .

قال الأزهرى : استأنفتُ الشيء إذا ابتدأته ، وفعلتُ الشيء أنفاً ، أى فى أول وقت يقرب منى .

(هـ) ومنه الحديث « أنزلت على سورة أنفاً » أى الآن . وقد تكررت هذه اللفظة فى الحديث .

(هـ) ومنه حديث أبى مسلم الخولانى « وَوَضَعَهَا فى أنْفٍ من الكلا وصفو من الماء » الأَنْف - بضم الهمزة والنون - : الكلا الذى لم يُرْعَ ولم تطأه الماشية .

وفى حديث معقل بن يسار « فَحَمِي من ذلك أنْفاً » يقال أنْف من الشيء يأنف أنفاً إذا كرهه وشرفَتْ نفسه عنه . وأراد به هاهنا أخذته الحمية من الغيرة والغضب . وقيل هو أنفاً بسكون النون للعضو ، أى اشتد غيظه وغضبه ، من طريق الكناية ، كما يقال للمتغيظ ورم أنفه :

(هـ) وفى حديث أبى بكر فى عهده إلى عمر رضى الله عنهما بالخلافة « فكلُّكم ورم أنفه » أى اغتاظ من ذلك ، وهو من أحسن الكنايات ، لأنَّ المغتاظ يرم أنفه ويحمر .

(هـ) ومنه حديثه الآخر « أما إنك لو فعلت ذلك لجعلت أنفك فى قفاك » يريد أغرضت عن الحق وأقبلت على الباطل . وقيل أراد إنك تُقبل بوجهك على من وراءك من أشياحك فتؤثرهم ببرك .

﴿ أنق ﴾ فى حديث قزعة مولى زياد « سمعت أبا سعيد يحدث عن رسول

(١) الزيادة من الهروي .

الله ﷺ بأربع فآتقنى « أى أعجبتنى . والآتق بالفتح الفرح والسرور ،
والشئ الأنيق المعجب . والمحدثون يروونه أينقنى ، وليس بشئ . وقد جاء
فى صحيح مسلم : « لأينق بحديثه » أى لا أعجب^(١) ، وهى كذا تروى .

(هـ) ومنه حديث ابن مسعود رضى الله عنه « إذا وقعت فى آل حم
وقعت فى روضات أتاقت فيهن » أى أعجب بهن ، وأستلذ قراءتهن ، وأتبع
محاسنهن .

(هـ) ومنه حديث عبيد بن عمير « مامن عاشية أطول أنقا ولا أبعد شعباً
من طالب العلم » أى أشد إعجاباً واستحساناً ومحبة ورغبة . والعاشية من
العشاء وهو الأكل فى الليل .

وفى كلام على رضى الله عنه « ترقيت إلى مرقاة يقصر دونها الأتوق » هى
الرخصة لأنها تبيض فى رعوس الجبال والأماكن الصعبة فلا يكاد يظفر بها .

ومنه حديث معاوية « قال له رجل افرض لى قال : نعم ، قال :
ولولدى ، قال : لا ، قال : ولعشيرتى ، قال : لا ، ثم تمثل بقول الشاعر :

طَلَبَ الْأَبْلَقُ الْعُقُوقَ فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأُنُوقِ

العُقُوق : الحامل من النوق ، والأبلاق من صفات الذكور ، والذكر لا
يحمل ، فكأنه قال : طلب الذكر الحامل ويبيض الأنوق ، مثل يضرب للذى
يطلب المحال الممتنع . ومنه المثل « أعز من بيض الأنوق ، والأبلاق العُقُوق »

﴿ إنك ﴾ (س) فيه « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ
فى أذنه الآتك » هو الرصاص الأبيض . وقيل الأسود . وقيل هو الخالص
منه . ولم يَجِىء على أفعل واحداً غير هذا . فأما أشد فمختلف فيه هل واحد
أو جمع . وقيل يحتمل أن يكون الآتك فاعلاً لا أفُعلاً ، وهو أيضاً شاذ .

(١) قال الخروى : ومن أمثاله : ليس المتعلق كالماتق . ومعناه : ليس القانع بالعلقة - وهى البلغة -
كالذى لا يفتح إلا بآتق الأشياء : أى بأعجبها .

ومنه الحديث الآخر « من جلس إلى قينة ليسمع منها صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة » وقد تكرر ذكره في الحديث .

﴿ أنكلس ﴾ في حديث علي رضي الله عنه « أنه بعث إلى السوق فقال : لا تأكلوا الأنكليس » هو بفتح الهمزة وكسرهما : سمك شبيه بالحيات ردىء الغذاء ، وهو الذي يسمى المارمهي . وإنما كرهه لهذا لا لأنه حرام . هكذا يُروى الحديث عن علي رضي الله عنه . ورواه الأزهري عن عمار وقال : « الأنقليس » بالقف لغة فيه .

﴿ أنن ﴾ فيه « قال المهاجرون : يا رسول الله إن الأنصار قد فضلونا ، إنهم آوؤنا وفعلوا بنا وفعلوا ، فقال . تُعرفون ذلك لهم ؟ ، قالوا : نعم ، قال : فإن ذلك » هكذا جاء مقطوع الخبر . ومعناه أن اعترافكم بصنيعهم مكافأة منكم لهم .

ومنه حديثه الآخر « من أزلت إليه نعمة فليُكافئ بها فإن لم يجد فليُظهر ثناء حسناً فإن ذلك » .

ثانيا : إعراب الحديث :^(٥)

نقدم دراسة جامعية لهذا الموضوع بعرض مشكلاته وقضاياها يقول صاحبها :

أما الصحابة والتابعون فقد كانت لغتهم العربية وصفاً غريزياً فيهم ، لأنهم من العرب الخالص ، لذا لم يكونوا في حاجة لقواعد يضبطون بها كلامهم . أما مَنْ جاء بعدهم فلا بد لهم من قواعد تضبط لهم طريق استعمال العرب في لسانها ، ومعرفة أسلوب العرب في كلامها .

ولقد تناولتُ في كتابي « الحديث النبوي في النحو العربي » ظاهرة « الاحتجاج بالحديث النبوي ، والاستشهاد به » ، لأن علم الحديث

(٥) الحديث النبوي في النحو العربي - للدكتور محمود فجال ط نادى أبها بالسعودية من ص ٦-١٣

الشریف ، رفیعُ القدر ، عظیمُ الفخر ، شریفُ الذکر ، لا یعتنی به إلا کُلُّ حَبِیرٍ ، ولا یُحرّمُهُ إلا کُلُّ غُمر^(١) ، ولا تَفنی محاسنُهُ علی ممرِ الدهر^(٢) .

فالحديث النبوي كما أنه المصدر الثاني للتشريع واللغة بلا منازع . فکذلك هو المصدر النَحْوِيُّ في قولین من ثلاثة .

وسيبقى الحديثُ إلى جانب القرآن في الاستدلال والاحتجاج ، حتی يرث الله الأرض ومن عليها ، فالتمسك بهما سر نجاح الأمة الإسلامية وتقدمها ، مصداقاً لقوله - ﷺ : ﴿ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابُ اللَّهِ ، وَسُنَّتِي ﴾^(٣) .

وقد قسّمتُ الخلاف في الاحتجاج بالحديث النبوي ، إلى ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : صحة الاحتجاج بالحديث النبوي في الحو العربي .

ذهب إلى ذلك طائفة من النحاة ، منهم : « ابنُ خروف » - ٢٠٩ هـ ، و« ابنُ مالك » - ٦٧٢ هـ ، و« ابنُ هشام » - ٧٦١ هـ .

وهذا الاتجاه عليه المعول ، وإليه المصير .

وقد أفسح لنا « ابنُ مالك » دائرة الاستشهاد باعتبار الحديث مصدراً من مصادرها .

وليت شعري ، مَنْ أُولَى مِنْ « ابنِ مالك » في عصره ، بتمييز صحيح الحديث من زائفه !! وهو الذي ذُكر بين طبقات الشافعية ، وروى له « السيوطي » بعض الأحاديث بسنده ، وتلمذ له الإمام « اليونيني » و« ابنُ جماعة » ، وغيرهما من كبار الأئمة ، وكتائبُ « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » خير دليل على أن الرجل لم يَجُر في غير ميدانه ، ولم يتعلق بما ليس من شأنه ، بل إنه الإمام الذي يُطمأن إليه فيما يأخذ وما يدع

(١) الغمر - بضم الغين - : غير المجرب .

(٢) انظر مقدمة « تدريب الراوي » .

(٣) رَمَزَ « السيوطي » في « الجامع الصغير » بأنه أحرجه « الحاكم » في « المستدرک » عن أبي

هريرة أهـ . قال النسي - ﷺ - في حجة الوداع . وانظر « مبين القدير » ٣ : ٢٤١ .

من أحاديث الرسول - ﷺ - حين يرى الاستشهاد بشيء من هذه الأحاديث^(١).

وقال « ابن حزم » : « ... والذي لاشك فيه فهو أنه - عليه السلام - أفصح من امرئ القيس ، ومن الشماخ ، ومن الحسن البصري ، وأعلم بلغة قومه من الأصمعي ، وأبي عبيدة ، وأبي عبيد .

فما في الضلال أبعد من أن يحتج في اللغة بألفاظ هؤلاء ، ولا يحتج بلفظه فيها - عليه السلام - فكيف وقد أضاف ربه - تعالى - فيه إلى ذلك العصمة من الخطأ فيها ، والتأييد الإلهي ، والنبوة والصدق ... »^(٢).

الاتجاه الثاني : رفض الاستشهاد بالحديث والاحتجاج به صراحة ذهب إلى ذلك طائفة من النحاة ، منهم « أبو حيان » - ٧٤٥ هـ ، و« أبو الحسن ابن الضائع » - ٦٨٠ هـ . وأولع « السيوطي » ٩١١ هـ بنقل كلامهما ، وألهم به في كتبه ، ظاناً أنه من الفوائد الغريبة ، متلقياً له بالقبول تقليداً غافلاً عن أنه في هذا الباب لا يسمن ولا يغني .

وقد تعلق مَنْ قال بهذا الاتجاه بعلمتين :

● جواز الرواية بالمعنى .

● ووقوع اللحن كثيراً في الأحاديث لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب ، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو .

ونحن نحمل مسؤولية هذا الرفض « أبا حيان » و« ابن الضائع » ، النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأول ، قبل تدوينه في الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ ، يصح الاحتجاج به ، فلا فرق . وادعاء وقوع اللحن في الحديث النبوي باطل ، لأن ذلك يمكن أن يتخرج على وجه من الوجوه النحوية الصحيحة أو يتخرج على لغة عربية غير مشهورة .

(١) انظر تمهيد « ابن مالك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » ٤٧-٤٨ .

(٢) « الإحكام في أصول الأحكام » ٥٣٩-٥٤١ .

والقول بأن في رواية الحديث أعاجم قول لا يُعْتَدُّ به ، لأن ذلك يقال في رواية الشعر والنثر ، اللذين يُحتج بهما ، فإن فيهم الكثير من الأعاجم ، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثاً ممن يعتد به أن يوضع في صف « حماد الراوية » الذي كان يكذب ، ويلحن ، ويكسر الشعر^(١). وروى « الكوفيون » أن حماداً الراوية كان حفظ القرآن من المصحف ، فكان يُصحف نيفاً وثلاثين حرفاً^(٢). ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بمروياته . ولكنهم تخرجوا في الاحتجاج بالحديث النبوي .

ولم ترفع النحويون عما ارتضاه اللغويون من الانتفاع بهذا الشأن ، والاستقاء من ينبوعه الفياض ، العذب ، الزلال ، فأصبح ربيع اللغة به خصيباً بقدر ماصار ربيع النحو جديداً ؟!

● ومن اطلع على منهج المحدثين في النقد ، وطريقتهم في التعديل ، ومبالغتهم في حقيقة الراوي ، والأخذ بالظنة والتهمة في رد مروياته ، يكاد يجزم بأن تجويز الكذب على الراوي المستجمع للشروط أمر لا يصدق عقل ، ولا يتفق عليه اثنان .

● ونحن لانعذر القدامى في عدم احتجاجهم بالحديث ، ولكن عدّم ممارستهم لهذا الفن الجليل صرّفهم عن الاحتجاج به ، لأن فاقده الشيء لا يعطيه .

الاتجاه الثالث : التوسط بين المنع والجواز

ومن أبرز من نهج هذا النهج « أبو اسحاق الشاطبي » - ٧٩٠ هـ فقد قسم الحديث إلى قسمين :

القسم الأول : ما يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه ، وهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان .

القسم الثاني : عُرِفَ اعتناء ناقله بلفظه ، لمقصود خاص ، كالأحاديث

(١) « مراتب النحويين » : ١١٨ .

(٢) « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » : ١٢ ، و« حماد » هذا هو حماد بن سabor بن المبارك ، أبو القاسم (٩٥-١٥٥ هـ) وانظر ترجمته في « الأعلام » ٢ : ٢٧١ .

التي قصد بها فصاحته - ﷺ - والأمثال النبوية . وهذا يصح الاستشهاد به في النحو .

ثم أضاف « محمد الخضير حسين » - ١٣٧٧ هـ - قسماً ثالثاً ، هو في الواقع تفصيل لما أُجْمَلَ « الشاطبي » ، وقد عَالَجَ هذا الموضوع في « مجلة مجمع اللغة العربية » على خير ما يعالجه عالمٌ ثَبَّتْ^(١) ، وانتهى من بحثه إلى النتيجة الآتية :

من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج به في اللغة و(القواعد) وهي ستة أنواع :

أولها : ما يُرَوَى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ، ومحاسن بيانه .

ثانيها : ما يُرَوَى من الأقوال التي يُتَعَبَّدُ بها .

ثالثها : ما يُرَوَى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم . ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه .

رابعها : الأحاديث التي وردت من طرق متعددة ، واتحدت ألفاظها . سواء أكان ذلك من لفظ النبي - ﷺ - أم الصحابة ، أم التابعين ، الذين ينطقون الكلام العربي فصيحاً .

خامسها : الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة ، كـ « مالك بن أنس » ، و« عبد الملك بن جريج » ، و« الشافعي » .

سادسها : ما عرف من حال رواه أنهم لا يميزون رواية الحديث بالمعنى . مثل : « ابن سيرين » و« علي بن المديني » و« رجاء بن حيوة » ...

إلى غير ذلك من النتائج ، وقد ذكرت في مكانها من هذا المؤلف وأخيراً فلقد تعرضتُ لكثير من الشبهات والآراء ، وناقشتُها ، ورددت على الساقط منها ، ويُنْتِج وجه الحق مدعوماً بالأدلة والبراهين .

(١) يقال : رجل ثَبَّتَ - سكون الباء - مُثَبِّتٌ - بفتحين - إذا كان عدلاً ضابطاً ، والجمع : أَثْبَاتٌ ، مثل سَبِّ . مصباح (ثب) ..

واشتمل هذا التأليف بعد هذه « المقدمة » على « تمهيد » ذكرت فيه « فصاحة النبي - ﷺ - وبلاغة قوله » ، وإنما ذكرت هذا التمهيد بساطاً وتوطئة لما سأسطه من الاحتجاج بالحديث النبوي . لا لأبين فصاحته ، وبلاغة قوله ، فهو افصح من نطق بالضاد . لا ينازع في ذلك أحد .

وقد قسّمتُ هذا التأليف إلى قسمين :

القسم الأول : (دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث النبوي في

النحو العربي)

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول : مدخل إلى علم النحو العربي .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : معرفة اللغة والإعراب أصل لمعرفة الحديث النبوي .

الفصل الثاني : فائدة تعلم النحو .

الفصل الثالث : آراء علماء الشريعة في تعلم النحو .

الباب الثاني : مدخل إلى علم الحديث النبوي .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : تعريف الحديث ، والفرق بينه وبين الخبر والأثر .

الفصل الثاني : تدوين الحديث النبوي .

● تصحيح خطأ .

الباب الثالث : المحدثون يتمتعون بدقة منقطعة النظر .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : صفة رواية الحديث ، وشرط أدائه .

● آراء العلماء في رواية المعنى .

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : بيان ما يقوله مَنْ يروي حديثاً بالمعنى .

المسألة الثانية : حكم اختصار الحديث الواحد .

ورواية بعضه دون بعض والزيادة فيه .

المسألة الثالثة : حكم تقطيع متن الحديث الواحد ، وتفريقه في الأبواب .

المسألة الرابعة : طريق السلامة من اللحن والتصحيح في الحديث .

المسألة الخامسة : اللحن والتصحيح .

المسألة السادسة : تقويم اللحن بصلاح الخطأ .

المسألة السابعة : اتباع المحدث على لفظه وإن خالف اللغة الفصيحة .

الفصل الثاني : الاحتجاج بالحديث والاستشهاد به .

● مطلب : معنى الاستشهاد ، والاحتجاج ، والتمثيل .

وهذه الفصول والمسائل التي درستها شديدة المساس بظاهرة « الاحتجاج

والاستشهاد بالحديث النبوي » .

وحين أبحث ذلك فإنني لم أخرج عن إطار البحث النحوي الجاد الذي فيه

أوفي الموضوع حقه من البحث والتنقيب ، معتصماً بالصبر ، ومستعيناً بالله .

ونخلصنا من دراستنا هذه إلى أنه من المسلمات الأولية أن الخطأ واللعن لم

يقُلْهُ النبي - ﷺ - ولا أصحابه ، ولا التابعون .

القسم الثاني :

دراسة نحوية للأحاديث النبوية الواردة في أكثر شروح ألفية

« ابن مالك »

وفيه ثمانية وثلاثون باباً .

وهذه الأبواب مشتملة على مسائل .

وعدها : عشر ومائة مسألة

وقد تضمنت هذه المسائل شواهد حديثية نبوية ، مبيناً فيها

وجه الاستشهاد .

وقد اقتصرْتُ على الأحاديث الواردة في شروح الألفية التالية :

(١) « شرح ألفية ابن مالك »

ومؤلفه : « محمد بن محمد بن مالك ، بدر الدين ، ابن جمال الدين » - ٦٨٠ هـ .

(٢) « توضيح المقاصد والمسالك ، بشرح ألفية ابن مالك » ومؤلفه : « الحسن ابن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي ، المعروف بابن أم قاسم » - ٧٤٩ هـ .

(٣) « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » ومؤلفه : « عبد الله ، جمال الدين ، أبو محمد ، ابن هشام الأنصاري » - ٧٦١ هـ .

(٤) « شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك » ومؤلفه : « عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الهاشمي » - ٧٦٩ هـ .

(٥) « المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية » ومؤلفه : « ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، أبو إسحاق الشاطبي » - ٧٩٠ هـ .

(٦) « شرح الأشموني على ألفية ابن مالك » ومؤلفه : « نور الدين ، علي بن محمد ، أبو الحسن الأشموني » - نحو ٩٠٠ هـ وقيل في وفاته غير ذلك .

وبنهاية المطاف عقدت « خاتمة » بينت فيها النتائج التي وصلت إليها من بحثي .

ثم يجيء دور الفهارس العامة .

● وبهذا أكون قد استوعبت في هذا الكتاب : دراسة ظاهرة الاستشهاد بالحديث عند النحاة ، وما يتصل بهذه الظاهرة ، مع المناقشات السديدة ، والآراء المفيدة ، كما درست طائفة كبيرة من الأحاديث التي استشهد بها شراح الألفية ، وعُنيْتُ بتخريجها عناية تامة من المصنفات الحديثة .

وفي الختام : أستغفر الله العظيم مما طغى به القلم ، أو زلَّ به الفكر ، على أنه قد قيل : ليس من الدَّخِلِ^(١) أن يطغى قلم الإنسان ، فإنه لا يكادُ يسلم منه أحدٌ .

قال « ابن الأثير » في « المثل السائر » :

« ليس الفاضل من لا يغلط ، بل الفاضل من يُعَدُّ غَلَطُهُ »

ومن مصادر التراث التي بقيت لنا في هذا الجانب مصدران :

(أ) اعراب الحديث النبوي للعكبري^(٢)

(ب) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك^(٣)

(أ) إعراب الحديث النبوي للعكبري

يشرح منهجه وتطبيقه بقوله :

الحمد لله على إفضاله ، وصلى الله على محمد أشرف المرسلين وآله ، والمذعنين بتصديق إرساله . أما بعدُ : فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أن أُملي مختصراً في إعراب ما يُشكِّل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث ، وأن بعض الرواة قد يخطئ فيها ، والنبِيُّ ﷺ : وأصحابه بريئون من اللحن ؛ فأجبتهم إلى ذلك ، واعتمدت على أتم المسانيد وأقربها إلى الاستيعاب وهو : جامع المسانيد^(٤) للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله ،

(١) انعيب .

(٢) تحقيق عبد الاله بهان ط دمشق ١٩٧٦ م من ص ١-٣ ومن ٩٣-٩٧

(٣) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط بيروت عالم الكتب من ص ١١٦-١٣٣

(٤) قال صاحب الرسالة المستطرفة ١٧٦ ، ولأبي الفرج ابن الجوزي أيضاً كتاب جامع المسانيد بالخص الأسانيد ، جمع فيه الصحيحين والترمذي ومسنده أحمد ، ورتبه أيضاً على المسانيد في سبع مجلدات ، ورتبه الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الله الطبري ثم المكِّي وهو المعروف ناخب . وذكر الرزكلي في الأعلام ٩٠/٤ أن الكتاب (جامع المسانيد والألقاب) مخطوط في خمس

فذكرت ذلك منه ، وهذا الكتاب موضوع على أسماء الصحابة مرتبةً على
حروف المعجم ، والله الموفق للصواب^(١).

=مجلدات . وقد ورد هذا الاسم في فهرس دار الكتب المصرية مخطوط ١٩١ ، وانحود هناك
الجزء الأول منه .

(١) تختلف مقدمة النسخة (د) عن النسخ أ-ب-ج- بزيادة بعد عبارة (على حروف المعجم) :
« ولعمري ماذهب إليه ، ثم إنه يرتب ذلك ترتيباً آخر ، فيبدأ بما في الصحيحين ثم بما انفرد به كل
واحد منهما ، ثم بما في مسند أحمد ثم بما في الترمذي ثم بما في سنن أبي داود والموطأ لمالك وغير
ذلك من السنن المؤلفة في الحديث وما عساه أن يمر في الأجزاء مما هو خارج عن هذه الكتب من
إعراب ما في الأحاديث الواهية والموضوعة ، لأن رفضها في الاحتجاج بها يغني عن تصويب
إعرابها ، ونحن نذكرها عن هذا الوصف ، والله الموفق للصواب » . وكان بدء الحمدة في
النسخة (د) كما يلي : « الحمد لله على ما أولى » وصلواته على محمد المقدم في الآخرة والأولى ،
وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، أما بعد فإن بعض المتشاكسين يعلم الحديث وفقهم الله تعالى ذكر أنه
يمر في الحديث ألفاظ يشكل إعرابها وأنه ائتمس مني أن يخرج لي ذلك أتكلم عليه فأجبت إليه
رغبة في الثواب ورجاء النفع به وذكر أن الأسهل أن يرتب ذلك على مسانيد الصحابة مرتباً على
حروف المعجم » .

كتاب الهمزة

مسند أبي بن كعب الأنصاري^(١)

ذكر ما في الصحيحين منه : الحديث الأول^(٢):

١ - روى أبي عن النبي ﷺ^(٣): ﴿يَغْسِلُ مَامِسُ الْمَرْأَةِ مِنْهُ﴾^(٤).

قال الشيخ^(٥): (ما) بمعنى الذي ، وفاعل (مس) مضمَر فيه^(٦) يعود على الذي ، ، و (الذي)^(٧) وصلتْها مفعول (يغسل) ؛ و (المرأة) مفعول (مس) ولا يجوز أن ترفع (المرأة بـ (مس) على معنى مامست المرأة ، لوجهين : أحدها : أن تأنيث (المرأة) حقيقي ، ولم يفصل بينها وبين الفعل فلا وجه لحذف التاء . والثاني : أن إضافة اللمس^(٨) إلى الرجل وإلى أعضائه حقيقة . [قال]^(٩) ولذلك قال تعالى : « أَوْ لِمَسْتُمُ النِّسَاءَ »^(١٠) وإضافة اللمس إليها في الجماع تجوز . لدلالة الفعل الثاني عليه كقوله تعالى : (والقمر قدرناه منازل)^(١١) على قراءة من نصب^(١٢) وكذا قوله : (وكلُّ إنسانٍ

الحديث ١ - اسند ١١٣/٥ . صحيح البخاري ٤١/١ كتاب الغسل .

(١) انفردت النسخة (أ) بهذا العنوان (٢) انفردت النسخة (أ) بهذه العبارة .

(٣) في النسخ بحد : في حديث أبي بن كعب الأنصاري عن النبي ﷺ .

(٤) كلمة (منه) ساقطة من (د) .

(٥) النسخة (د) تسقط عبارة (قال الشيخ) دائماً . وكذلك النسخة (ج) تستقطبها اعتباراً من اللوحة (٣٦) .

(٦) كلمة (فيه) ساقطة من د، ج . (٧) كلمة (الذي) ساقطة من أ .

(٨) في ب، ج، د : لمس . واللمس والمس من أصل واحد .

(٩) يبدو أن كلمة (قال) مقحمة على النسخة (أ) فقط . والضمير المستكن فيها يعود على الشيخ .

(١٠) النساء : ٤٣ . في الأصول لمسم بغير ألف وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف : انشر ٢٤١/٢ ،

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر : (أَوْ لِمَسْتُمُ) بالألف : كتاب السبعة .

٢٣٤

(١١) الآية ٣٩ سورة يس .

(١٢) قال في الانحاف ٤٤٥ (والقمر) فنافع وابن كثير وأبو عمرو وروح : بالرفع على الانتداء ،

وافقه الحسن واليزيدي . والباقون بالنصب على إضمار فعل الاشتغال . وانظر : الكشف

١٢/٤ ، وإملاء ما من به الرحمن ١٠٩/٢ .

أَلْزَمْنَاهُ (١) وَلَوْ رَفَعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ جَازَ عَلَى ضَعْفٍ لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ وَلَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَا يَصِحُّ أَنْ يُقَدَّرَ مُبْتَدَأً لِيَكُونَ (أَرْبَعُ) خَبَرًا عَنْهُ .

وَقَوْلُهُ فِيهِ (٢) : ﴿ فَمَنْ جَاءَ بِثَلَاثٍ لَمْ يُغْنَيْنِ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَ بِهِنَّ جَمِيعًا : الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَحُجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

الْجِيدُ : (الصَّلَاةُ) وَمَابَعْدَهَا بِالرَّفْعِ أَيُ : هُنَّ الصَّلَاةُ . وَلَوْ نَصَبَ عَلَى إِضْمَارٍ أَعْنِي جَازٌ ، وَلَوْ جَرَّ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي بَهْنٍ جَازٌ .

بَابُ السَّيْنِ

[حَدِيثُ السَّائِبِ بْنِ خَلَادٍ]

١٧٠٠ - وَفِي حَدِيثِ السَّائِبِ بْنِ خَلَادٍ : ﴿ مَا مِنْ شَيْءٍ يَصِيبُ الْمُؤْمِنَ ، حَتَّى الشُّوْكَةُ إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ ﴾ .

قَالَ الشَّيْخُ : يَجُوزُ (الشُّوْكَةُ) بِالْجَرِّ بِمَعْنَى إِلَى ، أَيُ : وَلَوْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الشُّوْكَةِ . وَبِالنَّصْبِ عَلَى تَقْدِيرِ يَجِدُ الشُّوْكَةَ ، أَوْ مَعَ الشُّوْكَةِ . وَبِالرَّفْعِ عَلَى جَوَازٍ فِيهِ (٣) ، وَفِيهِ وَجْهَانُ : أَحَدُهُمَا : هُوَ مُعْطُوفٌ عَلَى الضَّمِيرِ فِي يَصِيبُ . وَالثَّانِي : هُوَ مُبْتَدَأٌ أَيُ : حَتَّى الشُّوْكَةُ تَشُوْكُهُ .

(١) الْآيَةُ ١٣ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ . (٢) فِي أ : (ثُمَّ فَمَنْ حَاءَ) وَلَا وَحْدَهُ لَهَا .

الْحَدِيثُ ١٧٠ - الْمُسْنَدُ ٥٦/٤ ، وَفِيهِ : مَا مِنْ شَيْءٍ يَصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشُّوْكَةُ تَصِيبُهُ إِلَّا كُتِبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ أَوْ حُطَّ عَنْهُ بِهَا حَفِيفَةٌ . وَانْظُرْ صَحِيحَ مُسْلِمٍ ١٥/٨ ، كِتَابُ الْبِرِّ ، بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يَصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حَزَنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشُّوْكَةُ يَشَاكُهَا .

(٣) عِبَارَةٌ (عَلَى جَوَازٍ فِيهِ) انْفَرَدَتْ بِهَا .

[حديث سبرة بن معبد]

١٧١ - وفي حديث سبرة بن معبد أبي الربيع الجُهني : ﴿ عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعٍ ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشَرَ ﴾^(١). قال الشيخ : (ابن) بالنصب فيهما ، وفيه وجهان : أحدهما : هو حال من (الصبي) والمعنى إذا كان ابن سبع ، وإذا كان ابن عشر ، أو علّموه صغيراً/ واضربوه مراهقاً . والثاني : (٣٤ ج) أن يكون بدلاً من الصبي ومن الهاء في (اضربوه)^(٢).

[حديث سعد بن أبي وقاص]

١٧٢ - وفي حديث سعد بن أبي وقاص : ﴿ إِنَّكَ يَاسَعِدُ أَنْ تَدَعَ ﴾ . قال الشيخ : الهمزة مفتوحة ، وهي (أن) الناصبة للفعل ، وموضع المصدر (٣٨) على وجهين : أحدهما : هو بدل الاشتغال أي : إن تركك^(٣). والثاني/ : أن يكون في موضع رفع بالابتداء و ﴿ خَيْرٌ ﴾ خبره . وفيه : ﴿ حَتَّى اللَّقْمَةِ ﴾ الوجه النصب عطفاً على ﴿ نَفَقَةٍ ﴾ ولو رفع جاز على أنه مبتدأ و ﴿ تَجْعَلُهَا ﴾^(٤) الخبر .

١٧٣ - وفي حديثه : ﴿ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرَبٍ ﴾ .

الحديث ١٧١ - الترمذي ١٢٦/٢ ، برقم ٤٠٧ ، وفيه : علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر . وانظر المسند ٤٠٤/٣ ، ولم يرد فيه الحديث بلفظه هذا . وانظر تيسير الوصول ١٨٨/٢ .

(٢) في ب : فاضربوه .

(١) في د : تسع .

الحديث ١٧٢ - المسند ١٧٦/١ ، ونصه : إِنَّكَ يَاسَعِدُ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَنَّفُونَ النَّاسَ ، إِنَّكَ يَاسَعِدُ لَنْ تَنْفَقَ نَفَقَةً تَنْفِي بِهَا وَحَهُ اللَّهُ إِلَّا أَحْرَتْ عَلَيْهَا حَتَّى اللَّقْمَةِ تَجْعَلُهَا فِي امْرَأَتِكَ ... الخ .

(٣) في ب، د : إِنَّكَ . (٤) في أ : تَجْعَلُهُ وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمُسْنَدِ وَبَقِيَةِ النُّسخ .

الحديث ١٧٣ - المسند ١٦٩-١٧٤ ، والنص : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُنَادِيَ أَيَّامَ مَنْى : إِنَّهَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشَرَبٍ فَلَا صُومَ فِيهَا - يعني أيام التشويق - انظر تعليقات محقق الترمذي على الحديث ١١٦/٣ ، برقم ٧٣٣

الأفصح الأقيس فتح الشين ، وهو مصدر مثل الأكل ، وأما ضم الشين ، وكسرها فقيه لغتان في المصدر أيضاً ؛ والمحققون على أن الضم والكسر أسماء للمصدر ، وقد قرئ في قوله تعالى : (فشاربون شرب الهيم)^(١) بالأوجه الثلاثة ، وتوجيهها مذكرونا .

[حديث أبي سعيد الخدري سعد بن مالك]

١٧٤ - وفي حديث أبي سعيد الخدري سعد بن مالك عن النبي ﷺ : ﴿ ما من رجل يخرج من بيته متطهراً فيصلي مع المسلمين الصلاة ثم يجلس في المجلس ينتظر الصلاة الأخرى ، ألا^(٢) إن الملائكة تقول : اللهم اغفر له . ﴾ قال الشيخ : وقع في هذه الرواية (ألا إن الملائكة) وعلى هذا لا يكون الكلام قبله تاماً ، لأن^(٣) (ما) لا بد لها من خبر وليس في الكلام لها خبر ، ولكن يجوز أن يكون الخبر محذوفاً لدلالة ما بعده عليه وتقديره : إلا غفر الله^(٤) له ، ثم فسر ذلك بقوله : ألا إن الملائكة . وإن جاء في رواية أخرى (إلا أن الملائكة) على الاستثناء كان الخبر تاماً .

١٧٥ - وفي حديثه قوله : ﴿ أيُّ أب كنتُ لكم ؟ قالوا : خير أب ﴾ .

قال الشيخ : الصواب نصب (أي) على أنه خبر (كنت) وجب تقديمه لكونه^(٥) استفهاماً ؛ وأما قولهم : (خير أب) فالجيد نصب (خير)^(٦) على

(١) الآية ٥٥ سورة الواقعة . قال في الإتحاف ٥٠٢ ، واختلف في (شرب الهيم) فنافع وعاصم وحزمة وأبو جعفر بضم الشين ، وافقهم الحسن والأعمش . والباقون بفتحها وهما مصدر (شرب) كالأكل ، وقيل بالفتح المصدر والضم الاسم . وانظر النشر ٣٦٦/٢ ، وقال ابن الأنباري : قرئ (شرب) بفتح الشين وضمها ، فمن قرأ بالفتح جعله مصدراً ومن قرأ بالضم جعله اسماً . انظر البيان ٤١٧/٢ ، وكتاب السعة ٦٢٣ الحديث ١٧٤ - المسند ٣/٣

(٣) في أ : وما . وفي د : وإن ما .

(٢) (إلا) ليست في المسند .

(٤) (الله) انفردت بها أ .

الحديث ١٧٥ - المسند ٧٧/٣

(٦) في ب، جـ : فالجيد النصب في خير .

(٥) في ب، جـ : يكونه .

تقدير : كنت خير أب ، ليكون موافقاً لما هو جواب عنه ؛ والرفع جائز على معنى أنت خير أب .

١٧٦ - وفي حديثه : ﴿ فَأُولَئِهِمَا هَذَانِ الْكَذَابَانِ ﴾ .

إنما وقع : (هذان الكذابان) لأنه أراد ففسرت ما رأيت ثم استأنف فقال : هما هذان فحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه ، أو يكون التقدير : تأويلهما هذان .

١٧٧ - وفي حديثه : ﴿ يُرَى مِنْهُ سَاقُهَا مِنْ وَرَاءِ لِحْوَمِهِمْ أَوْ دُمَائِهِمْ ^(١) أَوْ حُلْلِهِمْ ﴾ .

هكذا وقع / في هذا الطريق ، وهو مشكل من ثلاثة أوجه : أحدها : تذكير ضمير الجمع وهو المؤنث ، والثاني قوله : (أَوْ دُمَائِهِمْ أَوْ حُلْلِهِمْ) وهذا الموضع يليق به الواو لأن كل واحدة منهن تسترها ^(٢) هذه الأشياء الثلاثة ، والثالث : أنه أفرد الضمير في ساقها وجمع فيما بعد ذلك . والوجه فيه ^(٣) : أنه نُزل المؤنث منزلة المذكر على ما جرت به العادة في صيانة المؤنث ،

الحديث ١٧٦ - المسند ٨٦/٣ ، وفيه عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره وهو يقول : أيها الناس إنك قد أريت ليلة القدر ثم أنسيتها ، ورأيت أن في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفضتهما فطارا ، فَأُتِيَتْهُمَا هَذَيْنِ الْكَذَابَيْنِ صَاحِبِ إِيْمَانٍ وَصَاحِبِ إِيْمَانَةٍ . وانظر الترمذي : حديث ٢٢٩٣ .

الحديث ١٧٧ - المسند ١٦/٣ ، وفيه : إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على مثل صورة القمر ليلة البدر . والزمرة الثانية على لون أحسن من كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها وراء لحومها ودمها وحللها . وانظر الترمذي حديث ٣٥٣٥

(١) (أَوْ دُمَائِهِمْ) ساقطة من أ .

(٢) يعود المؤلف لتفصيل القول في الوجوه الثلاثة مبتدئاً بالوجه الأول . وفي أ : والوجه الثالث . وقد

ذكر في النسخة د ، مايلي : وجمع بعد ذلك ، ووجه تصحيحه أنه أفرد الضمير في ساقها إما لأن المذكور قبل ذلك مفرد أو لأنه أراد الجنس ، وأما الجمع في الضميرين الأخيرين وتذكيرهما فإن الحور وإن كن إناثاً فحكمهن حكم الإنسان أو المخلوق وقد جاء في الشعر : (من السريع) .

قامت بُكْيُهُ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لَيْ [مَنْ] بِعَدِكَ يَا عَامُرُ
تركتني في الحي ذا غربة قَدْ ذُلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
أي ذات غربة . وذكر على معنى الإنسان أو المذكور . وقد يذكر مثل ذلك في المؤنث لستر =

وأما (أو) فيجوز أن تكون بمعنى الواو ، ويجوز أن يراد بها : أن بعضهن كذا وبعضهن كذا وتشير إلى التفصيل ، وأما أفراد الضمير فيرجع إلى الواحدة أو إلى الجماعة ، وأوقع المفرد موقع الجمع .

١٧٨ - وفي حديثه : ﴿ إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي ، كتاب الله حبلاً ممدوداً من ^(١) السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ﴾ .

أما (كتاب الله وعترتي) الأولين فبدلان من (الثقلين) . وأما (كتاباً) الثاني فهو بدل من (كتاب) الأول ، وجوز ذلك وحسنه ما اتصل به من زيادة المعنى وهو قوله : (حبلاً ممدوداً) وكذلك (عترتي أهل بيتي) ، ونصب (حبلاً ممدوداً) على أنه حال أو مفعول ثانٍ لـ (تارك) ، ولو روي (كتاب الله حبلاً ممدود) جاز على أنه مستأنف .

١٧٩ - وفي حديثه : ﴿ قال رجل : يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا مالنا بها ؟ قال : كفارات ﴾ .

قال الشيخ : فيه وجهان أحدهما : هو مبتدأ والخبر محذوف أي : لكم بها كفارات . والثاني : خبر مبتدأ أي : هي كفارات . وفيه قوله : ﴿ وإن شوكة ﴾ تقديره : وإن كان شوكة كقولهم : إن خيراً فخير .

١٨٠ - وفي حديثه : ﴿ قال : لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفان عورتهما ﴾ .

قال الشيخ : هكذا وقع في هذه الرواية بالرفع ، ووجه أن يكون التقدير : وهما كاشفان وإن روي (كاشفين) كان حالاً .

الحال . وأما « أو » فظاهره أنه شك من الراوي .

الحديث ١٧٨ - المسند ١٤/٣ - ١٧ - ٢٦ - ٥٩ ، وفي هذه الروايات كلها (حبلاً ممدوداً) بالرفع ، ولم أعر في المسند على رواية (حبلاً ممدوداً) .

(١) في أ : إلى .

الحديث ١٧٩ - المسند ٢٣/٣

الحديث ١٨٠ - المسند ٣٦/٣ ، وتام الحديث : فإن الله يمقت على ذلك . ويضربان الغائط

أي : يقضيان الحاجة .

(ب) شواهد التوضيح
ومن نماذج تطبيقات ابن مالك في كتابيه :

(البحث الحادى والأربعون)

في إعادة ضمير مؤنث إلى مذكر

ومنها قول رسول الله ﷺ « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه الأيام » .
قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل
خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » ^(١) .

قلت : في هذا الحديث إشكال من جهتين : إحداهما : عود ضمير مؤنث
في « منها » إلى العمل ، وهو مذكر .

والثانية : استثناء رجل من الجهاد ، وإبداله منه ، مع تباين جنسيهما .

فأما الأول فوجه أن الألف واللام في العمل لاستغراق الجنس ، فصار بهما
فيه عموم مصحح لتأوله بجمع . كغيره من أسماء الأجناس المقرونة بالألف
واللام الجنسية . ولذلك يستثنى منه نحو : إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا ^(٢) ، ويوصف به الجمع . كقوله تعالى : أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ
يَظْهَرُوا ^(٣) وكقول بعض العرب : أهلك الناس الدرهم البيض والدينار
الحمير .

فكما جاز أن يوصف بما يوصف به الجمع ، لما حدث فيه من العموم -
كذلك يجوز أن يعاد إليه ضمير كضمير الجمع ، فيقال : الدينار بها هلك كثير

(١) أخرجه البخارى في : ١٣ - كتاب العيدين ، ١٩ - باب فضل العمل في أيام
التشريق . هذا النص بالهامش .

(٢) ١٠٣/العصر/٣٢ ونصها : إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .

(٣) ٢٤/النور/٣١ ونصها : وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ، إِلَّا لِيُعْلَمَنَّهُنَّ ... أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ
يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَازِ النِّسَاءِ ... الخ .

من الناس . لأنه في تأويل الدنانير . وما العمل في أيام أفضل منها في هذه الأيام . لأنه في تأويل الأعمال . ويجوز أن يكون أثث ضمير العمل لتأويله بحسنة - كما أول الكتاب بصحيفة ، مَنْ قال : أثته كتابي .

وأما الثاني فالوجه فيه أنه على تقدير : ولا الجهاد إلا جهاد رجل . ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

والأصل في - ولا الجهاد - أولاً الجهاد ؟ لأن قائل ذلك مستفهم لا مخبر - فظهور المعنى سَوَّغ حذف الهمزة كما سوغه في قول النبي ﷺ « وإن زنى وإن سرق » فإن الأصل فيه : أو إن زنى وإن سرق ؟

(البحث الثاني والأربعون)

في اتصال نون الوقاية بالاسم الفاعل

ومنها قول النبي ﷺ لليهود « فهل أنتم صادقون » كذا في ثلاثة مواضع في أكثر النسخ (١).

قلت : مقتضى الدليل أن تصحب نون الوقاية الأسماء المعربة المضافة إلى ياء المتكلم لنفيها خفاء الإعراب . فلما منعوها ذلك كان كأصل متروك ، فنبهوا عليه في بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل . كقول الشاعر :

وليس بمعيني وفي الناس مُمتِعٌ صديقٌ إذا أعْيَا عَلَيَّ صَدِيقٌ (٢)

(١) أخرجه البخاري في : ٧٦ - كتاب الطب ، ٥٥ - باب ما ذكر في بسم النبي ﷺ . هذا النص بالهامش .

(٢) من شواهد الأشموني . وقائه مجهول معيني ، اسم فاعل من قولهم أعياك الأمر إذا أعجزك .

ممتع ، قال في اللسان : ومتعه الله بكذا ، أبقاه ليستمع به . يقال : أمتع الله فلانا بفلان إمتاعاً أي أبقاه ليستمع به فيما يحب من الانتفاع به والسرور بمكانه . وأمتعته الله بكذا ومتعه بمعنى .. يقول : إذا شق عليّ بعض الأصدقاء وعاملني معاملة الهجران والصدود ، فليس يعجزني أن أجد صديقاً غيره حسن العشرة طيب الصحبة ، مادام بين الناس الكاملون في صفات الخير .

وكقول الآخر :

وليس المُوافيَنِي يُرْفَدُ خائباً فإن لهُ أضعاف ما كان أملاً^(١)

ومنه قول النبي ﷺ لليهود « فهل أنتم صادقوني »

ولما كان لأفعل التفضيل شبه بفعل التعجب ، اتصلت به النون المذكورة أيضاً في قول النبي ﷺ « غير الدجال أخوفني عليكم »^(٢)

والأصل فيه : أخوف مخوفاتي عليكم . فحذف المضاف إلى الياء وأقيمت هي مقامه ، فاتصل « أخوف » بها مقرونة بالنون ، كما اتصل مغنى والموافق بها في البيتين المذكورين .

(البحث الثالث والأربعون)

وكذا الرابع والأربعون

في تنازع الفعلين وإعمال الثاني وإسناد الأول إلى ضمير

ومنها قول ابن عمر ، في إحدى الروايتين « لما فُتِحَ هذين المصرين ، أتوا عمر^(٣) فقيه تنازع فتح وأتوا . وهو على إعمال الثاني وإسناد الأول إلى ضمير عمر .

(١) البيت من شواهد الأشموني : وقائله مجهول .

يقال وابت فلانا إذا أتته . والمعنى : وليس الذي يوافيني أى يأتيني ليرفد أى يُعطى ، من الرفد وهو العطاء . والموصول مع صلته اسم ليس . وخائبا خبره . واللام للتعليل وكذا الفاء في (فإن) وأضعاف اسم إن . وله خبره مقدما وما موصولة . وكان أملاً صلتها . والعائد محذوف . أى عامله . والألف فيه للاطلاق .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في : ٥٢ - كتاب الفتن وأشراف الساعة ، حديث رقم ١١٠ (طبعنا) .

(٣) أخرجه البخاري في : ٢٥ - كتاب الحج ، ١٣ - باب ذات عرق لأهل العراق .
النص بالهامش

وفيه حجة على الفراء ، فإنه لا يميز : وأكرمني وأكرمت زيدا . لا على حذف الفاعل ولا على إضماره . ويميزه الكسائي على الحذف ، لا على الإضمار . فيجب على مذهبه أن يكون فاعل فُتِحَ محذوفا لدلالة المذكور آخرا عليه .

ويجب على مذهب البصريين ، في مثل هذا ، الإضمار ويمتنع الحذف . ويظهر الفرق بين الحذف والإضمار بالتثنية والجمع . فيقال على الإضمار : ضرباني وضربت الزيدَين . وضربوني وضربت الزيدَين . ويقال على الحذف : ضربني في الأفراد وغيره .

ومنها قول أبي شريح الخزاعي « سمعت أذنأي وأبصرت عيناى رسول الله ﷺ حين تكلم » (١) .

قلت : في هذا الحديث تنازع الفعلين مفعولا واحداً ، وإيثار الثاني بالعمل . أعني أبصرت . لأنه لو كان العمل لسمعت لكان التقدير : سمعت أذنأي النبي ﷺ ، وكان يلزم ، على مراعاة الفصاحة ، أن يقال : وأبصرت . فإذا أُنْخِرَ المنصوب وهو مقدم في النية ، بقيت الهاء . متصلة بأبصرت ، ولم يجر حذفها . لأن حذفها يوهم غير المقصود . فإن الحذف مع العلم بأن العمل للأول ، حكم بفتحه وعُدَّ من الضرورات .

ومن تنازع الفعلين وجَّعَلَ العمل للثاني في قوله تعالى : ءَأَثُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٢) وفي الحديث المذكور شاهد على أنه قد يتنازع منصوبا واحدا فعلا فاعلين متباينين . فيستفاد من « سمعت أذنأي وأبصرت عيناى النبي ﷺ » جواز : أطعم زيد وسقى محمد جعفرًا .

وأكثر النحويين لا يعرفون هذا النوع من التنازع .

(١) أخرجه البخاري في : ٧٨ - كتاب الأدب ، ٣١ - باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره .

...

(٢) ١٨/الكهف/٩٦ ونصها : ءَأَثُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ، حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا ، حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَثُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا .

ونظيره قول الشاعر :

أَضُنْتُ سَعَادُ وَأَضُنْتُ زَيْنَبَ عُمَرَا وَلَمْ يَنْلُ مِنْهُمَا عَيْنًا وَلَا أَثَرًا^(١)

وفي الحديث المذكور أيضاً اكتفاء سماع بالمفعول الأول مقدراً ، مع أنه اسم لا يدرك بالسمع . الأصل خلاف ذلك .

وحسن الحذف دلالة (حين تكلم) على المحذوف ، كما حسنه في قوله تعالى : هل يسمعونكم دلالة (إذ تدعون) على المحذوف .

قلنا أن نجعل التقدير : هل يسمعون دعاءكم . فحذف المضاف وهو من مدركات السمع ، وأقيم المضاف إليه مقامه .

ولنا أن نجعل التقدير : هل يسمعونكم داعين . واستغنى عن داعين ، لقيام (إذ تدعون) مقامه .

وكذا الحديث . لنا أن نقدر : سمعت أذنأي كلام النبي ﷺ . ولنا أن نقدر : سمعت أذنأي النبي متكلماً .

(البحث الخامس والأربعون)

في أن (عَدَّ) قد توافقت (ظَنَّ) في المعنى والعمل

ومنها قول بعض الصحابة رضى الله عنهم « جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ماتعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين »^(٢) .

قلت : في هذا الحديث شاهد على أن (عَدَّ) قد توافقت (ظَنَّ) في المعنى والعمل . ف (ما) من قوله : ماتعدون أهل بدر ؛ استفهامية في موضع نصب ، مفعول ثان . وأهل بدر مفعول أول . وقدم المفعول الثاني لأنه مستفهم به ، والاستفهام له صدر الكلام .

(١) لم أقف على هذا البيت فيما بين يدي من الكتب . ومعناه واضح جلي .

(٢) أخرجه البخاري في : ٦٤ - كتاب المغازي ، ١١ - باب شهود الملائكة بدرأ

ولاجراء (عد) مجرى (ظن) معنى وعملا ، مما أغفله أكثر النحويين .
وهو كثير في كلام العرب .

ومن شواهد قول الشاعر :

فلا تُعَدِّدِ المولى شريكك في الغنى ولكننا المولى شريكك في العُدم^(١)
ومثله :

لا تُعَدِّدِ المرءَ خِلاًّ قبل تجربةٍ فربُّ ذى مَلَقٍ في قلبه إْحَنُ^(٢)
ومثله :

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدَمًا وَلَكِنْ فَقَدْ مَنْ قَدْ فَقَدْتُهُ الإِعْدَامُ^(٣)

(١) من شواهد الأشموني . وقائله النعمان بن بشير الصحابي .
لا تعدد : لا تظن . المولى هو الحليف والناصر والصاحب . العُدم هو الفقر . وأصله فقدان الشيء
وذهابه .

المعنى : لا تظن أن صديقك هو الذي يشارك في أوقات غناك ومسررتك . فإن صديقك على
الحقيقة هو المشارك في الشدائد والنحن وأوقات الفقر .

(٢) لم أقف عليه فيما بين يدي من الكتب .
في اللسان المَلَقُ الودَّ واللفظ الشديد . وأصله التلبين . وقيل : الملق شدة لطف الود . وقيل
الترقق والمدارة . والمعنيات متقاربان .

أحن الرجل يأحن ، من باب تعب ، حقد وأضمر العداوة . والإحنة اسم منه ، والجمع
إحنٌ مثل سيذرة وميذر .

(٣) قال العيني : قائله هو أبو دؤاد واسمه جارية بن الحجاج .
الإقتار إما من أقر في النفقة على عياله إذا ضيق عليهم فيها ، أو من أقر الرجل إذا افتقر
والإعدام من قولك : أعدمه الله إذا جعله معدوما . ويقال أعدم الرجل إذا افتقر .
والمعنى : لا أظن التضييق والافتقر عدما ، ولكن العدم فقدان من فقدته من الأحباب
والأصحاب .

(البحث السادس والأربعون)

في مجيء (اختص) بمعنى (خص) وحذف العائد على الموصول

ومنها قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه « ولم يختص قريباً دون من أحوج إليه » ^(١) . (في المتن : يخص)

قلت : المشهور في (اختص) أن يكون موافقاً لـ (خص) في التعدى إلى مفعول . وبذلك جاء قوله تعالى : يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ^(٢) . وقول عمر بن عبد العزيز « ولم يختص قريباً » .

وقد يكون اختص مطاوع خص ، فلا يتعدى . كقولك : خصصتك بالشئ فاختصصت به .

وقوله « دون من أحوج إليه » أصله : دون من هو أحوج إليه . فحذف العائد على الموصول ، وهو مبتدأ ، مع كون الصلة غير مستطالة ، وفيه ضعف . وهو مع ذلك مستعمل .

(١) أخرجه البخارى في : ٥٧ - كتاب فرض الخمس ، ١٧ - باب ومن الدليل على أن الخمس للامام وأنه يعطى بعض قرابته دون بعض .

(٢) البقرة/١٠٥ ونصها : مَا يَوْذُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، زَالِهُ دُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .
و ٣/آل عمران/٧٤ ونصها : يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ دُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

الفصل الرابع

تصنيف الحديث

وقبل أن تظهر الفهرسة وعلم التصنيف في مجال النشاط المكتبي كان لعلمائنا محاولات في تصنيف الحديث لسهولة الكشف عن نص الحديث وموضوعه في مجاميع الحديث المختلفة .

ومنها محاولة الشيخ عبد الغنى النابلسي^(١) وفي أوساط المستشرقين ظهرت محاولة جادة للمستشرق فنسك .

وسنقوم هنا بعرض نموذج لمحاولة عالمنا في التراث الشيخ النابلسي ، نتبعها بمقدمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي^(٢) الذي عرّب مفتاح كنوز السنة لفنسك ويحاول أن يعطينا المفتاح للاهتمام بهذا الدليل إلى نصوص الحديث في دواوينه ومجاميعه .

(أ) ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث

الحمد لله الكبير المتعال . المفيض ذخائر المواريث . بأنواع الأحاديث . من أنوار الأحوال . على أهل الكمال . والموصل سند الأخلاف بالأسلاف . مع تحقيق الأطراف . في المبدأ والمآل .

والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا (محمد) الذي رفع الله تعالى قدره بالبعث والارسال ، لهداية الأمة بسنته الغراء الثابتة بأسانيد الرجال . تأكيداً للهداية بحكم كتابه المجيد في الماضي والاستقبال . فتهذبت ملته الحنيفة بالصحيحين من المعقول والمنقول على كل حال .

(١) ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث من ص ٢-٦ وصفحات متفرقة من الكتاب ط دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

(٢) مفتاح كنوز السنة ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي المقدمة و ص ٣٤٢ ط لاهور بالهند .

ورضوان المالك تعالى الموطأ بفائض إحسانه عن جميع الآل . وبقية كتب كالاته الاربعة الذين هم الخلفاء بعده في شريف المآثر والخصال . وسائر أصحابه السادة الائمة الجهابذة الابطال .

﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير إلى مولاه الخبير (عبد الغنى اسماعيل بن عبد الغنى بن اسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة النابلسي الدمشقي الحنفي) عاملهم الله تعالى في الدنيا والآخرة بلطفه الخفي - : لما كانت كتب الحديث الشريف النبوي جامعة لأنواع الروايات . ولامعة في آفاق قلوب الافاضل بأسرار العلوم والدرايات . وحاوية للأسانيد المختلفة . والتخارج والتحاويل المؤلفة . عن الأساتذة الثقات . وكانت الكتب الستة من بين كتب الحديث مشهورة عند علماء الاسلام . وقد اعتنت بروايتها ودرايتها الأكابر الأماجد من الحفاظ الاعلام . وهي (كتاب الصحيح من السنن) للشيخ الامام محمد بن إسماعيل البخاري و (كتاب الصحيح) للامام مسلم بن الحجاج النيسابوري . و (كتاب السنن) للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني و (كتاب السنن) للحافظ أبي عيسى محمد بن الترمذي و (كتاب السنن الصغرى) المسماة بـ (المجتبى من السنن) للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي . وقد اختلف في السادس : فعند المشاركة هو (كتاب السنن) لأبي عبد الله محمد بن ماجه القزويني . وعند المغاربة (كتاب الموطأ) للامام مالك بن أنس الأصبحي . رحمهم الله تعالى . وكانت الحاجة داعية لعمل أطراف هذه الكتب السبعة المذكورة . على طريقة الفهرست ، لمعرفة موضع كل حديث منها ، ومكان كل رواية مأثورة . وأن يكون ذلك على وجه الاختصار . من غير إخلال ولا إملال ولا إكثار . شرعت في كتابي هذا على الوصف المشروح . فجاء بحمد الله تعالى مما تقرّبه العين ويفرح به القلب ، وتنشط له الروح . وقد سبقني إلى التصنيف في ذلك أجلاء الائمة من العلماء الأخيار . فتشبت بأذيالهم في اقتفاء هذا الأثر ولحق هذا الغبار . إذ كان أول من صنف في ذلك الامامان الحافظان أبو محمد خلف بن محمد بن علي الوسطي وأبو مسعود إبراهيم بن محمد عبيد الدمشقي فجمعما

أطراف الصحيحين فقط . فكان كتاب خلف أحسنهما جمعاً وأقلهما خطأً ووهما ، ثم صنف في ذلك الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فجمع أطراف الكتب الستة المذكورة غير الموطأ ، لكن حصل في كتابه من الخلل ما شهد به بعض أقرانه من أئمة القول والعمل . ثم صنف بعده الحافظ الامام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي أطراف الكتب الأربعة ، وهي : ماعدا الصحيحين والموطأ ، فانه اكتفى بأطراف خلف وأبي مسعود المذكورين . فلما رأى ذلك العلامة عمدة الحفاظ أبو الحجاج يوسف المزني مشى على طريقته الأنيقة . وسار على سيرته متمسكا بعراه الوثيقة . وجمع أطراف الكتب الستة أكمل جمع . فشرح صدر الطالبين وأطرب السمع . ولكنه أطال إلى الغاية وأسهب . وركب في تكرار الروايات كل أدهم وأشهب ، وأكثر من ذكر الوسائط فيما بعد الصحابي من الرواة . بحيث من أراد استخراج حديث منه فلا بد من معرفة صحابه وتابعيه وتابع تابعيه وما بعد ذلك بلا اشتباه ، وسرد أسانيد الكتب الستة على التمام مما يحصل به الغنية بمراجعة المتن الموجودة بأيدي أهل السلام . مع إخلاله في بعض المواضع بروايات لم يحد فيها على حذره في إتمام الاسانيد الموجودة عند الثقات . حتى جاء الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى فاستدرك عليه أشياء عديدة . ومواضع محتاجة إلى البيان مما كانت إعادته لها مفيدة . في مجلد كبير وافر بعلم كثير^(١) . سماه (النكات الظراف على الأطراف)

وقد ظفرنا للشيخ الامام العمدة الرحلة الشريف ابن الشريف أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن أبي المحاسن الحسيني تلميذ الحافظ المزني ببعض أجزاء من أطراف للكتب الستة أحاديثها مرتبة على حروف المعجم ، وأسماء الصحابة فيها مذكورة في أثناء ذلك ، وقد تبع فيه شيخه المزني في سرد الأسانيد كلها من الكتب الستة ولكنه حذف الوسائط والتكرار . وسلك فيه مسلكا لطيفاً تنشرح به الخواطر والافكار .

(١) أقول : وللحافظ ابن حجر رحمه الله كتاب سماه (إتحاف المهرة بأطراف العشرة يعني الكتب الستة والمسانيد الأربعة في ثمان مجلدات ، وأفرد منه تأليفه المسمى بأطراف المسند المعتل بأطراف المسند الخليل في مجلدين ، وله أيضاً أطراف المختارة . ع

فدونك يا أيها الطالب الراغب في حصول أسنى المواهب . كتابي هذا المفيد للمراد . بأدني ارتياد . وقد سلكت فيه مسلك من تقدمني من الترتيب ، وبنيته على مثال تلك الأبنية مع التبويب ، ولكنني اقتصرت على بيان الرواية المصرح بها دون المرموزة . ولم أذكر من الأسانيد غير مشايخ أصحاب الكتب على طريقة وجيزة .

واقصرت على ذكر الصحابة الأولين . وتركت ذكر الوسائط كلها من التابعين وتابعي التابعين .

ولم أكرر رواية . بل وضعت كل شيء في موضعه بداية ونهاية .

وزدت أطراف روايات الموطأ للإمام مالك . من رواية يحيى بن الليثي الأندلسي فانها المشهورة بين الممالك

وجعلت مكان سنن الامام النسائي الكبرى - حيث قل وجودها في هذه الاعصار - : سننه الصغرى المسماة بـ (المجتبى من سنن النبي المختار) .

وقد اعتبرت المعنى أو بعضه دون اللفظ في جميع الروايات . بحيث تذكر الرواية من الحديث ويشار برموز الحروف إلى ما يوافقها في المعنى دون الكلمات . فعلى الطالب أن يعتبر في مطلوبه المعاني ، وهذا أمر واضح عند من يتداول كتب الاطراف ولها يعاني .

وإن روى الحديث الواحد عن جملة من الصحابة ذكرت أسماءهم في محل واحد - : أذكر ذلك في مسند واحد منهم ، اكتفاءً بحصول المقصود والاصابة .

وإذا أردت الاستخراج منه فتأمل في معنى الحديث الذي تريده في أي شيء هو ، ولا تعتبر خصوص ألفاظه ثم تأمل الصحابي الذي عنه رواية ذلك الحديث فقد يكون في السند عن عمر أو أنس مثلاً والرواية عن صحابي آخر مذكور في ذلك الحديث ، فصحح الصحابي المروي عنه ، ثم اكشف عنه في محله تجده إن شاء الله تعالى .

ورمزت للكتب السبعة بالحروف هكذا (خ) لصحيح البخاري (م)
لصحيح مسلم (د) لسنن أبي داود السجستاني (ت) لسنن الترمذي (س)
لسنن النسائي (هـ) لسنن ابن ماجه (ط) لموطأ الامام مالك .

ورتبته على سبعة أبواب ، كل باب منها مرتب مافيه على ترتيب حروف
المعجم ، تسهيلا للاستخراج منه على أولي الالباب .

(الباب الأول) في مسانيد الرجال من الصحابة أهل الكمال

(الباب الثاني) في مسانيد من اشتهر منهم بالكنية أبو هريرة .

(الباب الثالث) في مسانيد المبهمين من الرجال على حسب ماذكر فيهم من
الأقوال

(الباب الرابع) في مسانيد النساء من الصحابيات .

(الباب الخامس) في مسانيد من اشتهر منهن بالكنية .

(الباب السادس) في مسانيد المبهمات من النساء الصحابيات .

(الباب السابع) في ذكر المراسيل في الأحاديث ، وفي آخره ثلاثة فصول
في الكنى وفي المبهمين وفي مراسيل النساء عن سعيد بن المسيب أن التي قال
وسميت كتابي هذا ﴿ ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الاحاديث ﴾
وأسأل من الله تعالى أن يوفقني إلى اكماله واتمامه . ويرزقني حسن الخاتمة بحسن
اختتامه . وأن يعصمني من الزلل . ويحفظني من الخطأ فيه والخطل . وينفع به
من استعمله من علماء هذا الشأن . ويسهل عليهم به كل إيضاح وتبيان . إنه
على مايشاء قدير وبالاجابة جدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل .

الباب الأول من الجزء الأول
في مسانيد الرجال من الصحابة « أهل الكمال »

حرف الهمزة

أيض بن جمال الحميري المأري عن النبي ﷺ

١ - ﴿ حديث ﴾ : « أنه وفد إلى النبي ﷺ فاستقطعه الملح الذي بمأرب » وفيه « لاحمى إلا في الأراك » (د) في الخراج عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن المتوكل وعن محمد بن أحمد القرشي (ت) في الأحكام عن قتيبة (هـ) فيه عن محمد بن يحيى بن أبي عمر

٢ - ﴿ حديث ﴾ : « أنه كلم رسول الله ﷺ في الصدقة فقال : يا أخا سبأ ، لا بد من صدقة » (د) في الخراج عن محمد بن أحمد القرشي وهارون بن عبد الله الحمال ﴿ أبي اللحم الغفاري ﴾ واسمه الحويرث بن عبد الله ، عن النبي ﷺ ، لقب بذلك لانه كان يأبى أكل ماذبح للأصنام

٣ - ﴿ حديث ﴾ : « أنه رأى النبي ﷺ عند أحجار الزيت يستسقي وهو مقنع بكفيه يدعو » (ت س) في الصلاة عن قتيبة بن سعيد

أبي بن عمارة الانصاري عن النبي ﷺ

٤ - ﴿ حديث ﴾ : « يارسول الله أمسح على الخفين » وفيه ترك التوقيت في المسح (د) في الطهارة عن يحيى بن معين (هـ) فيه عن حرملة بن يحيى وعمرو بن سواد ﴿ أبي بن كعب الانصاري ﴾ سيد القراء عن النبي ﷺ

٥ - ﴿ حديث ﴾ : « كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت » أهاكم التكاثر « يعنى : لو كان لابن آدم واد من ذهب » (خ) في الرقاق وقال لنا أبو الوليد

٦ - ﴿حديث﴾ : « كنا مع النبي ﷺ وإنما وجهنا واحد ، فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا (٥) في الجنائز عن اسحاق بن منصور

٧ - ﴿حديث﴾ : « أنه قال : يا رسول الله : إذا جامع الرجل ولم ينزل » (خ) في الطهارة عن مسدد (م) فيه عن أبي الربيع الزهراني وعن أبي كريب وعن ابن مثنى (د) فيه عن محمد بن مهران الرازي وعن أحمد بن صالح المصري (ت) فيه عن أحمد بن منيع (٥) فيه عن محمد بن بشار

٨ - ﴿حديث﴾ : « لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون رجلا » (ت) في التفسير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي

٦٥٧٨ ﴿حديث﴾ : « كان إذا ذهب إلى الغائط ابعده » (٥) في الطهارة عن يعقوب بن حميد

« يوسف بن عبد الله بن سلام » عن النبي ﷺ

٦٥٧٩ ﴿حديث﴾ : « وضع ثمرة على كسرة وقل هذه إدام » (د) في الايمان والنذور عن محمد بن غيسي

« الباب الثاني »

الجزء الثالث

« في ذكر من اشتهر بالكنية من الصحابة ومن لم يعرف اسمه أو اختلف في اسمه منهم »

حرف الألف

أبو إبراهيم محمد بن حاطب

« أبو أي ابن أم حرام خالة أنس اسمه عبد الله » عن النبي ﷺ
٦٥٨٠ ﴿ حديث ﴾ : « عليكم السناء والسنون » (٥) في الطب عن
ابراهيم ابن محمد بن يوسف الفريابي

« أبو الازهر الانماري ويقال أبو زهير » عن النبي ﷺ
٦٥٨١ ﴿ حديث ﴾ : « كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال بسم الله
وضعت جنبى » في الادب عن جعفر بن مسافر

« ابو اسحاق سعد بن أبي وقاص
« ابو اسحاق كعب بن عجرة »
« أبو الاسقع واثلة أبو الاسود السلمي هو أبو اليسر كعب ابن عمرو
بن عباد »

« أبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة »
« أبو أسيد الانصارى » عن النبي ﷺ
٦٥٨٢ ﴿ حديث ﴾ : « كلوا من الزيت وادهنوا به » (ت) في الاطعمة
عن محمود بن غيلان

« أبو امامة الانصارى اسهد بن سهل بن حنيف »
« أبو امامة الانصارى اياس بن ثعلبة »
« أبو امامة الباهلى صدي بن عجلان » عن النبي ﷺ

« حرف الياء »

« أبو يحيى » صهيب
« أبو يحيى » سهل بن أبى حمة
« أبو يحيى » اسيد بن حضير
« أبو يزيد » معقل بن سنان
« أبو يسار » معقل بن يسار
« أبو أليس » كعب بن عمرو الانصارى
« أبو يعلى » شداد بن أوس
« أبو اليقظان » عمار بن ياسر
« أبو يوسف » عبد الله بن سلام

الباب الثالث

الجزء الرابع

في المهملين من اسماء الرجال من الصحابة أهل الكمال مرتبة على ترتيب
اسماء الرواة عنهم

« أسعد بن سهل » بن حنيف الانصارى عن بعض أصحاب النبي ﷺ
من الانصار

١٠٤٦٦ ﴿ حديث ﴾ : « اشتكى رجل منهم حتى اضني فعاد جلده على
عظمه » (د) في الحدود عن أحمد بن سعيد

١٠٤٦٧ ﴿ الحديث ﴾ : « بينما أنا نائم إذ رأيت الناس يعرضون على »
(ت) في الرؤيا عن الحسين بن محمد الجريري

« اسماعيل بن ابراهيم » عن رجل من بني سليم

١٠٤٦٨ ﴿ حديث ﴾ : « خطبت إلى النبي ﷺ امامة بنت
عبد المطلب » (د) في النكاح عن محمد بن بشار

« الاسود بن هلال » عن رجل من بني ثعلبة بن يربوع

١٠٤٦٩ ﴿ حديث ﴾ : « كان يخطب في أناس من الانصار فقالوا هؤلاء
بني ثعلبة قتلوا فلانا » (س) في القود عن أبي داود

« أنس بن مالك » عن أصحاب رسول الله ﷺ

١٠٤٧٠ ﴿ حديث ﴾ : « في الصوم في السفر » (م) في الصوم عن
أبي بكر

« أنس بن مالك » عن بعض أصحاب النبي ﷺ

١٠٥٩٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان جارية لكعب بن مالك » (خ) في الذبائح
عن موسى بن اسماعيل وعن اسماعيل بن عبد الله

١٠٥٩٦ ﴿ حدیث ﴾ : « النهی عن استقبال القبلة بغائط أو بول » (ط) في الصلاة عن نافع

« النعمان بن سالم » عن رجل حدثه

١٠٥٩٧ ﴿ حدیث ﴾ : « أمرت ان أقاتل الناس حتی يشهدوا ان لا إله الا الله » (س) في المحاربة عن أحمد بن سليمان

« يحيى بن سعيد » الانصاري عن رجل من الانصار

١٠٥٩٨ ﴿ حدیث ﴾ : « ان امرأة سألته الطلاق فقال إذا حضت فأذنيني » (ط) في الطلاق عن يحيى بن سعيد

« يزيد بن عبد الله » بن الشخير العامري عن رجل من اصحاب النبي ﷺ يقال انه الثمر بن توبل الشاعر

٢٠٥٩٩ ﴿ حدیث ﴾ : « كنا بالمرید فجاء رجل اشعث الرأس » (د) في الخراج عن مسلم بن ابراهيم (س) في قسم الفیء عن عمرو يحيى بن الحارث « يزيد بن ثمران » عن رجلا مقعد بتبوك

١٠٦٠٠ ﴿ حدیث ﴾ : « رأيت رجلا مقعدا بتبوك » (د) في الصلاة عن محمد بن سليمان

« يسار المكي » عن رجلين من بني بكر

١٠٦٠١ ﴿ حدیث ﴾ : « خطب بين أوسط أيام التشريق » (د) في الحج عن محمد بن العلاء

« يعقوب بن أوس » ويقال عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي ﷺ

١٠٦٠٢ ﴿ حدیث ﴾ : « خطب يوم فتح مكة فكبر ثلاثا » (س) في القود عن اسماعيل بن مسعود وعن محمد بن عبد الله بن يزيق

« فصل في الكنى من مبهمين الرجال »

الجزء الرابع

« أبو ابراهيم » الاشهل عن أبيه عن النبي ﷺ

١٠٦٠٣ ﴿ حديث ﴾ : « اللهم اغفر لحينا وميتنا » (ت) في الجنائز عن
على ابن حجر » (س) فيه عن اسماعيل بن مسعود

١٦٠٩ ﴿ حديث ﴾ : « اعطى كل انسان منا سهما (د) في الجهاد عن
أحمد ابن حنبل

« أبو عمير » عبد الله ابن أنس

« أبو العلاء » يزيد بن عبد الله

« أبو قلابة » عبد الله بن يزيد

« أبو مالك » غزوان

« أبو المليح » عامر بن أسامة

« أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل »

« أبو نجيح » المكى يسار

« أبو هاشم » عبد الله بن محمد بن الحنفية

« أبو وائل » شقيق بن سلمة

« فصل فيمن اشتهر بالنسبة إلى أبيه أو جده »

أو نحو ذلك من مبهمين الرجال

« ابن ابزي » عبد الرحمن بن ابزي

« ابن الاسقع » واسلة بن الاسقع

« ابن بجيد الانصارى الحارثي » واسمه محمد بن بجيدة

١٠٦١٠ ﴿ حديث ﴾ : « ردوا المسكين ولو بظلف محرق » (ط) في

الجامع عن زيد بن اسلم

« ابن بجينة » عبد الله بن مالك بن القشب
« ابن جزء » عبد الله بن الحارث بن جزء
« ابن جودان » ويقال انه جودان
« ابن حزن » البصري نصر بن حزن
« ابن الحضرمي » العلاء بن الحضرمي
« ابن الحنظلية » سهل بن الحنظلية
« ابن حوالة » عبد الله بن حوالة
« ابن خلاد » السائب بن خلاد
« ابن سرجس » عبد الله بن سرجس

« والد مطرف » عبد الله بن الشخير جد بهز بن حكيم معاوية بن حيدة
« والد أبي الاحوص » مالك بن نضلة الجشمي

« فصل » فيما روته النساء عن من انهم من الرجال عن النبي ﷺ .

« بهيسة » الفزارية عن أبيها

١٠٦١٧ ﴿ حديث ﴾ : « استأذن النبي ﷺ فدخل بينه وبين قميصه
فجعل يقبل ويلتزم » (د) الزكاة وفي البيوع عن عبيد الله بن معاذ

« حسناء » ويقال خنساء بنت معاوية بن سليم الصريمية عن عمها

١٠٦١٨ ﴿ حديث ﴾ : « النبي في الجنة والشهيد في الجنة » (د) في
الجهاد عن مسدد

« فصل » فيما رواه من لم يسم عن من لم يسم عن النبي ﷺ .

« ثوير » بن أبي فاخنة عن رجل من أهل قباء عن أبيه

١٠٦١٩ ﴿ حديث ﴾ : « أمر النبي ﷺ ان تشهد الجمعة من قباء »
(ت) في الصلاة عن عبد حميد ومحمد بن أحمد

« حرب » بن عبيد الله عن جده أبي أمه عن أبيه

١٠٦٢٠ ﴿ حديث ﴾ : « إنما العشور على اليهود والنصارى » (د) في
الخراج عن مسدد

« زيد بن أسلم » عن رجل من بنى ضمرة عن أبيه أو عمه
١٠٦٢١ ﴿ حديث ﴾ : « رأيت النبي ﷺ وهو على المنبر بعرفة » (د) في
الحج عن هناد

١٠٦٢٢ ﴿ حديث ﴾ : « سئل عن العقيقة » (ط) في العقيقة عن زيد
بن أسلم

« زيد بن أسلم » عن رجل من أصحابه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ
١٠٦٢٣ ﴿ حديث ﴾ : « لا يفطر من قاء ولا من احتلم ولا من
احتجم » (د) في الصوم عن محمد بن كثير

« سعيد » بن اياس الجريري عن السعدى عن أبيه أو عمه
﴿ حديث ﴾ : « كان يتمكن في ركوعه وسجوده » (د) في الصلاة عن
مسدد

« سماك بن حرب » البكري عن رجل من قومه عن آخر منهم
١٠٦٣٤ ﴿ حديث ﴾ : « سئل متى يصلي الصبي فقال إذا عرف يمينه
من شماله (د) في الصلاة عن سيمان بن داود

« هلال بن يسار » الاشجعي عن رجل من ثقيف عن رجل من جهينة
١٠٦٣٥ ﴿ حديث ﴾ : « لعلمكم تقاتلون قوما فتظهرون عليهم » (د)
في الخراج عن مسدد وسعيد بن منصور

« يوسف بن ماهك » المكي عن فلان عن أبيه
١٠٦٣٦ ﴿ حديث ﴾ : « أد الأمانة إلى من ائتمنك » (د) في البيوع عن
أبي كامل

الباب الرابع

في مسانيد النساء من الصحابة أولات الهداية
والنجابة ، مرتبة على ترتيب حروف المعجم

(حرف الالف)

« أسماء بنت أبي بكر الصديق » عن النبي ﷺ

١٥٦٣٧ ﴿ حديث ﴾ : « ما لي شيء الا ما أدخل على الزبير وفيه انفقى ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا توعي » (خ) في الزكاة عن صدقة بن الفضل وفيه وفي الهبة عن أبي عاصم (م) في الزكاة عن محمد بن حاتم وهارون بن عبد الله وعن أبي بكر بن أبي شيبة وعن عمرو الناقد وزهير بن حرب واسحاق بن ابراهيم (د) فيه عن مسدد (ت) في البر عن أبي الخطاب زياد بن يحيى (س) في الزكاة عن الحسن بن محمد وعن محمد بن آدم

١٠٣٨ ﴿ حديث ﴾ : « خرجنا مع النبي ﷺ ونزلنا » (د) في الحج عن أحمد بن حنبل ومحمد بن العزيز (هـ) فيه عن أبي بكر أبي شيبة

١٠٦٣٩ ﴿ حديث ﴾ : « في سدره المنتهى » (ت) في صفة الجنة عن أبي كريب

١٠٦٤٠ ﴿ حديث ﴾ : « في الكسوف ، وفيه ذكر الجنة والنار ، وفيه أوحى إلى أنكم تفتنون في قبوركم ، وفيه الامر بالعنقة » (خ) في الصلاة وفي الشرب عن سعيد بن أبي مريم وفي الطهارة عن اسماعيل وفي الكسوف عن عبد الله بن يوسف وعن الربيع بن يحيى وفي الاعتصام عن القعنبي وفي الجمعة وقال محمود وفي العلم عن موسى بن اسماعيل وفي السهو عن يحيى بن سليمان وفي العتق عن محمد بن أبي بكر وعن موسى بن مسعود (م) في الصلاة عن يحيى بن حبيب وعن أحمد بن سعيد وعن بن حرب وعن أبي كريب (س) فيه عن ابراهيم بن يعقوب (هـ) فيه عن محرز بن سلمة (ط) فيه عن هشام بن عروة

١١٨٦١ ﴿ حديث ﴾ : « أنهلك وفينا الصالحون » (ط) في الجامع

مالك بلغه

(حرف الياء)

« يسيرة عن النبي ﷺ وهى من المهاجرات وقيل من الانصار »
١١٨٦٢ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبي ﷺ امرهن ان يراعين بالتكبير
والتهليل » (د) في الصلاة عن مسدد (ت) في الدعوات عن موسى بن حزام
وعبد بن حميد وغير واحد

الباب الخامس

فيمن اشتهر بالكني من النساء الصحابيات

« ام ايمن حاضنة رسول الله ﷺ ويقال اسمها بركة » عن النبي ﷺ
١٠٨٦٣ ﴿ حديث ﴾ : « قال ابو بكر لعمر انطلق بنا إلى ام ايمن
نزورها » (٥) في الجنائز عن الحسن بن الخلال
١١٨٦٤ ﴿ حديث ﴾ : « انها غربلت دقيقا فصنعت للنبي ﷺ » (٥)
في الاطعمة عن يعقوب بن حميد

« ام ايوب زوج الى ايوب » عن النبي ﷺ
١١٨٦٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبي ﷺ نزل عليهم فتكلفوا له طعاما فيه
من بعض هذه البقول » (ت) في الاطعمة عن الحسن بن الصباح (٥) فيه عن
ابي بكر بن أبي شيبة

« ام نجيد الانصارية ويقال اسمها حواء » عن النبي ﷺ
١١٨٦٦ ﴿ حديث ﴾ : « انها قالت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على
بابي فما اجد له شيئا اعطيه اياه وفيه ردوا السائل ولو بظلف محرق » (د) في
الزكاة عن قتيبة (ت) فيه عن قتيبة (س) فيه عن قتيبة وعن هارون بن عبد الله
(ط) في الجامع عن زيد بن اسلم

« ام جندب الازدية والدة سليمان بن عمرو بن الاحوص » عن النبي ﷺ
١١٨٦٧ ﴿ حديث ﴾ : « رأيت النبي ﷺ يرمى الجمرة من بطن
الوادي وهو راكب » (د) في الحج عن ابراهيم بن مهدي وعن ابي ثور ابراهيم
بن خالد الكلبي ووهب بن بيان

« ام حبيبة بنت ابي سفيان ام المؤمنين رملة »

« ام حبيبة بنت جحش حمنة »

« أم معقل » زوج أبي معقل الاسدي عن النبي ﷺ

١١٩٠٦ ﴿ حدیث ﴾ : « قالت أم معقل قد علمت أن علي حجة وفيه
عمرة في رمضان تعدل حجة » (د) في الحج عن أبي كامل (ت) فيه عن
نصر بن علي (هـ) فيه عن جبارة بن مغلس

١١٩٠٨ ﴿ حدیث ﴾ : « لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان لنا
جمل فجعله أبو معقل في سبيل الله » (د) في الحج عن محمد بن عوف الطائي
« أم المنذر » بنت قيس الانصارية ويقال اسمها سلمى عن النبي ﷺ

١١٩٠٩ ﴿ حدیث ﴾ : « دخل علي رسول الله ﷺ ومعه علي علي ناقة
ولنا دوال معلقة » (د) في الطب عن هارون بن عبد الله (ت) فيه عن
عباس بن محمد الدوري (هـ) فيه عن محمد بن بشار وعن أبي بكر

« أم هاني » بنت أبي غالب فاختة

« أم هشام بنت حارثة بن النعمان الانصارية » عن النبي ﷺ

١١٩١٠ ﴿ حدیث ﴾ : « قالت ما أخذت (ق) والقرآن المجيد (إلا من
في رسول الله ﷺ يقرأ بها على المنبر في كل جمعة » (م) في الصلاة عن عبد الله
بن عبد الرحمن وعن محمد بن بشار وعن عمرو الناقد (د) فيه عن محمد
بن بشار وعن محمود بن خالد (س) فيه عن عمر بن يزيد وعن محمد بن
المثنى (هـ) في الصلاة عن محمد بن مثنى

١١٩١١ ﴿ حدیث ﴾ : « أن النبي ﷺ لما غزا بدرًا قالت له يا رسول
الله ائذن لي في الغزو معك » (د) في الصلاة عن عثمان

« أم ياسر » يسيره

الباب السادس

في المنهم من أسماء النساء الصحابيات مرتبة على ترتيب أسماء الرواة عنهم
عن النبي ﷺ

- « اسيد » بن أبي اسيد البراد عن امرأة من المبايعات عن النبي ﷺ
- ١١٩١٢ ﴿ حديث ﴾ : « كان فيما اخذ علينا رسول الله ﷺ في
المعروف الذي اخذ علينا ان لاتعصيه فيه » (د) في الجنائز عن مسدد
- « تمامة » بن حزن القشيري عن حبشية كانت تخدم النبي ﷺ ولعلها
بريرة عن النبي ﷺ
- ١١٩١٣ ﴿ حديث ﴾ لقيت عائشة فسألته عن النبيذ فدعت جارية
حبشية فقالت .
- « عروة » بن الزبير عن أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ
- ١١٩٢٢ ﴿ حديث ﴾ : « ألى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهن
أحد بتلك الرضاة » (د) في النكاح عن أحمد بن صالح
- « عروة » بن الزبير عن امرأة من بني النجار عن النبي ﷺ
- ١١٩٢٣ ﴿ حديث ﴾ : « كان بيتي من اطول بيت حول المسجد فكان
بلالا يؤذن عليه الفجر » (د) في الصلاة عن أحمد بن محمد بن أيوب
- « عكرمة » مولى ابن عباس عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ
- ١١٩٢٤ ﴿ حديث ﴾ : « انه كان إذا أراد من الحائض شيئا ألقى على
فرجها ثوبا » (د) في الطهارة عن موسى بن اسماعيل
- « عمرو » بن سعد بن معاذ ويقال عمرو بن معاذ عن جدته
- ١١٩٢٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان رسول الله ﷺ قال يا نساء المؤمنات
لاتحقرن احداكن لجارتها » (ط) في الجامع عن زيد بن اسلم وعنه أيضا
- « قريع الضبي » الكوفي عن امرأة ابى موسى الاشعري عن النبي ﷺ

١١٩٢٦ ﴿ حديث ﴾ : « دخلت على ابي موسى وهو ثقيل فذهبت امرأته لتبكي وفيه ليس منا من حلق وسلق وحرق » (د) في الجنايز عن عثمان بن أبي شيبة

« موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي عن امرأة من بني عبد الاشهل » عن النبي ﷺ

١١٩٢٧ ﴿ حديث ﴾ : « انها قالت يا رسول الله ان لنا طريقا إلى المسجد وإنها منتنة » (د) في الطهارة عن عبد الله بن محمد التفيلى واحمد بن يونس (هـ) فيه عن ابي بكر ابن ابي شيبة

« هنيذة بن خالد الخزاعي عن ام المؤمنين » عن النبي ﷺ

١١٩٢٨ ﴿ حديث ﴾ : « كان النبي ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام » (س) في الصوم عن علي بن محمد بن علي
« يحيى بن حصين عن جدته ام الحصين »

(فصل في النساء الراويات عنهن من النساء) عن النبي ﷺ

« امية بنت ابي الصلت عن امرأة من بني غفار » عن النبي ﷺ

١١٩٢٩ ﴿ حديث ﴾ : « اردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله بطوله في غسل الحيض » (د) في الطهارة عن محمد بن عمرو الرازى

« زينب بنت ابي سلمة ربيعة النبي ﷺ » عن ام سلمة واخرى من ازواج النبي ﷺ

١١٩٣٠ ﴿ حديث ﴾ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال » (م) في الطلاق عن عبيد الله بن معاذ وعنه ايضا
« صفية بنت شيبة العبدرية عن امرأة وقيل عن ام ولد لشيبة » عن النبي ﷺ

١١٩٣١ ﴿ حديث ﴾ : « رأيت النبي ﷺ يسعى في بطن المسيل

ويقول لا يقطع الوادى الا شدا « (س) فى الحج عن قتبية (ه) فيه عن ابى بكر
وعلى بن محمد

« صفية بنت ابى عبيد » امرأة ابن عمر عن بعض أزواج النبى ﷺ
١١٩٣٢ ﴿ حديث ﴾ : « من اتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة
اربعين ليلة » (ه) فى الطب عن محمد بن المثنى

« عمرة بنت عبد الرحمن عن اختها هى ام هشام بنت حارثة بن النعمان »

(فصل فيما رواه مجهول عن مجهول من النساء) عن النبى ﷺ
« ابراهيم بن ميسرة » عن خالته عن امرأة قال هى مصدقة امرأة صدق
١١٩٣٣ ﴿ حديث ﴾ : « خرجت مع أبى فى حجة النبى ﷺ » (د)
فى النكاح عن احمد بن صالح

« ربعى بن حراش عن امرأته عن اخت حذيفة » عن النبى ﷺ
١١٩٣٤ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبى ﷺ قال يامعشر النساء اما لكن فى
الفضة ماتحلين به » (د) فى الخاتم عن مسدد (س) فى الزينة عن على بن حجر
وعن محمد بن عبد الاعلى

« عبد الحميد موسى بن هاشم عن امه عن بعض بنات النبى ﷺ » عن
النبى ﷺ

١١٩٣٥ ﴿ حديث ﴾ : « ان النبى ﷺ كان يعلمها فيقول قولى حين
تصبحين سبحان الله » (د) فى الادب عن أحمد بن صالح

« هنيدة بن خالد الخزاعى عن امرأته وقيل عن أمه » عن بعض أزواج
النبى ﷺ

١١٩٣٦ ﴿ حديث ﴾ : « كان النبى ﷺ يصوم تسع ذى الحجة وفيه
صيام ثلاثة أيام من كل شهر » (د) فى الصوم عن مسدد (س) فيه عن
زكريا بن يحيى وعن أحمد بن يحيى وعن محمد بن عثمان بن أبى صفوان

« عبد الله بن محمد بن معين عن ابنة حارثة ابن النعمان » هي أم هشام
عبيد الله بن عني عن جدته هي سلمى
« عبد الله » بن يسر عن اخته هي الصماء بنت يسر

الباب السابع

في المراسيل من الأحاديث واسماء رجالها مرتبة على حروف المعجم وفي آخر ذلك ثلاثة فصول في الكني وفي المهمين وفي النساء

حرف الهمزة

« ابراهيم » بن يزيد النخعي

١١٩٣٧ ﴿ حديث ﴾ : قال النبي ﷺ لعبد الله بن مسعود اقرأ على « (م) في الصلاة عن أبي بكر وأبي كريب

١١٩٣٨ ﴿ حديث ﴾ : « كان إذا جلس في الصلاة افترش رجله اليسرى » (د) في الصلاة عن هناد بن السرى

١١٩٣٩ ﴿ حديث ﴾ : « ضربت امرأة ضربتها بعمود فسطاط وهي حبلى فقتلتها » (س) في القود عن محمد بن رافع

« اسحاق بن ابراهيم الحنيني »

١١٩٤٠ ﴿ حديث ﴾ : « اقطاع النبي ﷺ لبلال بن الحارث » (د) في الخراج عن محمد بن النضر

« اسحاق » بن عبد الله بن الحارث بن نوفل القرشي

١١٩٤١ ﴿ حديث ﴾ : « اشترى حلة بيضعة وعشرين قلوفا فأهداها إلى ذي يزن » (د) في اللباس عن موسى بن اسماعيل

« إسحاق » بن عبد الله بن أبي طلحة الانصارى

١١٩٤٢ ﴿ حديث ﴾ : « كان يؤتى بالتمر فيه دود » (د) في الاطعمة عن محمد بن كثير

« أسلم » مولى عمر بن الخطاب

١١٩٤٣ ﴿ حديث ﴾ : « كلوا الزيت وادهنوا به » (ت) في الاطعمة
عن أبي داود سليمان بن معبد

« يزيد بن طلحة » بن ركانة

١٢٢٧٠ ﴿ حديث ﴾ : « لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء » (ط)
في الجامع عن سلمة بن صفوان

« يزيد بن عبد الله » بن الشخير

١٢٢٧١ ﴿ الحديث ﴾ : « كان ينسخ حديثه بعضه بعضا كما ينسخ
القرآن بعضه بعضا » (م) في الطهارة عن عبيد الله بن معاذ

« يزيد مولي المنبعث » المدني

١٢٢٧٢ ﴿ حديث ﴾ : « سئل عن ضالة الغنم » (١) في الطلاق عن
علي بن عبد الله

« فصل في الكنى »

« أبو ادريس » عائذ بن عبيد الله

« أبو الاسود » محمد بن عبد الرحمن بن نوفل

« أبو بزدة » ابن أبي موسى الاشعري

١٢٢٧٣ ﴿ حديث ﴾ : « بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن » (خ) في
المغازي عن موسى

١٢٢٧٤ ﴿ حديث ﴾ : « كل مسكر حرام » (خ) في المغازي عن
مسلم بن ابراهيم

١٢٢٧٥ ﴿ حديث ﴾ : « لانكاح الا بولي » (ت) في النكاح عن
محمود بن غيلان

« أبو بكر » بن حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص

(١) لم نعلم في الكتب السبعة على هذا الحديث ولم يرمز له في النسخة . ع

١٢٢٧٦ ﴿حديث﴾ : « أن رجلا أتى فقال إني أصبت ذنبا » (ت) في
البر عن ابن أبي عمر

« أبو بكر » بن سليمان بن أبي خثعمة العدوي

١٢٢٧٧ ﴿حديث﴾ : « السهو في الصلاة » (ط) في الصلاة عن
ابن شهاب

« أبو بكر » بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

١٢٢٧٨ ﴿حديث﴾ : « من أدرك ماله بعينه عند رجل قد أفلس »
(د) في البيوع عن عبد الله بن مسلمة (ط) فيه عن ابن شهاب

١٢٢٧٩ ﴿حديث﴾ : « لما تزوج أم سلمة أقام عندهما ثلاثا » (م) في
النكاح عن يحيى بن يحيى

١٢٢٨٠ ﴿حديث﴾ : « جاءت امرأة فقالت إني قد كنت تجهزت إلى
الحج فاعترض لي » في الحج عن سمي

« أبو العالية » رفيع بن مهران

« أبو عبد الله » مكحول

« أبو عبد الرحمن » القاسم بن عبد الرحمن

« أبو عبيدة » بن عبد الله بن مسعود

١٢٢٩٠ ﴿حديث﴾ : « أول ما دخل النقص على بني إسرائيل » (ت) في
التفسير (٥) في الفتن عن محمد بن بشار

« أو عثمان » عبد الرحمن بن مل

« أبو عثمان » يزيد بن مرثد

« أبو عمرو » سعد بن إياس

« أبو العلاء » يزيد بن عبد الله بن الشخير

« أبو القاسم » مقسم مولي بني هاشم

« أبو قلابة » عبد الله بن زيد
« أبو مالك » غزوان الغفاري
« أبو مجلز » لاحق بن حميد
« أبو معشر » زياد بن كليب
« أبو المليح » بن أسامة الهذلي البصري
١٢٢٩١ ﴿ حديث ﴾ : « النهي عن جلود السباع » (ت) في اللباس
عن محمد بن بشار

« أبو ميسرة » عمرو بن شرحبيل
« أبو نجيح » يسار والد عبد الله
« أبو النضر » سالم بن أبي أمية
« أبو نعيم » وهب بن كيسان
« أبو يحيى » مالك بن دينار البصري
« أبو يعفور » العبدى واسمه وقدان
١٢٢٩٢ ﴿ حديث ﴾ : « في صلاة الليل » (م) في الصلاة عن يحيى
بن يحيى

« فصل في المبهمين »

« ابن الخليل » أو أبو الخليل
١٢٢٩٣ ﴿ حديث ﴾ : « أتى على امرأة ولدت من ثلاثة » (د) في
الطلاق عن عبيد الله بن معاذ
« ابن السباق » مر في عبيد بن السباق
« ابن صفوان » تقدم في صفوان
« ربيعة » بن أبي عبد الرحمن عن غير واحد

١٢٢٩٤ ﴿ حديث ﴾ : « اقطع بلال بن الحارث المزني » (د) في الخراج
عن التعنبي

« مالك » عمن يثق به من أهل العلم

١٢٢٩٥ ﴿ حديث ﴾ : « أرى أعمار الناس قبله » (ط) في الصوم
مالك انه سمع

« فصل في النساء »

« سائبة » مولاة لعائشة

١٢٢٩٦ ﴿ حديث ﴾ : « نهى عن قتل الحيات التي في البيوت » (ط)
في الجامع عن نافع

« عمرة » بنت عبد الرحمن الانصارية

١٢٢٨٧ ﴿ حديث ﴾ : « اراد ان يعتكف » (ط) في الصوم عن
ابن شهاب

١٢٢٩٨ ﴿ حديث ﴾ : « لعن المختفي والمختفية » (ط) في الجنائز عن أبي
الرجال محمد بن عبد الرحمن

١٢٢٩٩ (وبه) في البيوع «نهى عن بيع الثمار حتى ترهي»

١٢٣٠٠ (وبه) فيه : « ابتاع رجل ثمر حائط »

١٢٣٠١ (وبه) في الاقضية : « لا يمنع نفع بئر »

« ليلي » مولاة ام عمارة الانصارية

١٢٣٠٢ ﴿ حديث ﴾ : « دخل عليها فقدمت إليه طعاما فقال كلى فقلت
اني صائمة » (ت) في الصوم عن علي بن حجر اهـ بحمد الله تعالى وحسن
توفيقه وفي نهاية النسخة المخطوطة ما يأتي :

« قال » مؤلفه قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه ، وقد تمت هذه
الجمعية التي أردنا ترتيبها علي وجه الاختصار وضبطها وتهذيبها وكان الابتداء
في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الثاني سنة اثنين ومائة والف وحصل

التمام والفراغ فى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب المبارك من السنة
المذكورة صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مفتاح كنوز السنة ﴿ التعريف بالكتاب ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

في يوم السبت ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٤٧ (٦ أكتوبر سنة ١٩٢٨) - حينما كنت في الزقازيق - جاءني بالبريد من أحد أصحاب المكاتب بالقاهرة كتاب باللغة الانجليزية كنت رجوتُ منه أن يطلبه لي من أوربا ، وهو فهرس لبعض كتب الحديث ، ألفه أحد كبار المستعربين - الأستاذ ونسنتُ أستاذ اللغات السامية في جامعة ليدن - وأنا لا أعرف من هذه اللغة شيئاً يعينني على القراءة فيه ، ولكنني فرحت به كأشد ما أفرح بكتاب نفيس يقع إلى .

فحاولت بمعونة بعض إخواني تفهم مقاصده واصطلاحاته للدلالة على مواضع الأحاديث في الكتب التي جعل كتابه فهرساً لها ، ثم أيقنت أني لم أخطيء الظن في فائدة الكتاب ، وأنه كنز من الكنوز التي خفيت على كثير من القارئين .

وكان أخي السيد محمود محمد شاكر إذ ذاك في الحجاز فأرسلت له خطاباً أبشره فيه بهذا الكنز الطريف ، ووصفته له وصفاً تاماً ونصحت له بطلبه من أوروبا ، فاقتناه أيضاً ، وكان رأيه موافقاً لما رأيته .

وقد اقتنعت كل الاقتناع بأن هذا الكتاب يجب إبرازه في اللغة العربية الشريفة ، حتى يستعين به أبناءها على الاستفادة من كتب السنة ، وهي من الأصول العظمى في الشريعة الإسلامية ، لاشتغالها على أحاديث الرسول الكريم ﷺ ، وحاولت أن أقوم بهذا الواجب العظيم . وكانت محاولة جريئة من شخص لا يعرف اللغة الانجليزية التي كتب بها . وبارك الله في الإخوان المخلصين العاملين ، فقد كان كثير منهم يتطوع بإعانتني حتى نفهم مراد المؤلف . ثم أكتبه على النحو الذي أراه موافقاً لما أعرف من الأحاديث .

وجه الحاجة إلى مفتاح كنوز السنة

أما بعد :

فان خبر ما أعرف به هذا الكتاب لقراء العربية ، أن أئين لهم وجه الحاجة إليه ، وطريق الانتفاع به ، وعدم استغناء أعلم علماء الحديث عنه ، بل هم أشد حاجة إليه من غيرهم ، ويتلوهم من دونهم من العلماء ، فمن دونهم من دهماء القراء الذين يقتنون شيئاً من كتب الحديث المشهورة وغيرها مما يراه القراء في طرته ، وإننى أستمد هذا البيان من تجربتي واختياري في السنين الطوال . لا أقوله بادی الرأي ولا أصطاده من سوانح الاستحسان .

اننى وُفِّقْتُ لطلب العلم من طريق الدليل ، ثم وُفِّقْتُ لنشره بالدليل ، وُفِّقْتُ للمناظرين وللإفتاء بالدليل ، واشتغلت بعلم الحديث من أول العهد بالطلب . وارتقيت فيه بالتدريج ، وتمرَّنت على مراجعة كتبه وكتب الجرح والتعديل ، لتخرج الأحاديث ونقدها ، وسرعة الوصول إليها من أقرب طرقها . واشتهرت عند من يعرفني من أهل العلم والذكاء . كان الأستاذ اللوذعي الشيخ محمد توفيق البكري يظن أن عندي فهارس لأوائل الأحاديث كلها ، ومعجماً لمفرداتها كهذا الكتاب يبين عند كل كلمة مواضع كل حديث وردت فيه من كتبها ، ثم علم أنه ماثم إلا مفتاح الصحيحين المطبوع المشهور ، وهو بخاص بأوائل أحاديث الصحيحين القولية والمسندة وبيان مواضعها من المتن وشروح الحافظ العسقلاني والقسطلاني والعيني لصحيح البخاري (في طبعتها الأولى) وشرح النووي لصحيح مسلم المطبوع على هامش شرح القسطلاني للبخاري

ولو وجد بين يدي مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لو فر على أكثر من نصف عمري الذي أنفقته في المراجعة ، ولكنه لم يكن ليغنيني عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فان ذاك انما يهديك إلى مواضع الأحاديث القولية التي تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما في معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازي وغيرها .

﴿ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَام ﴾

* اٰخْتِجَاجُ آدَمَ وَمُوسَى - بځ - ك ٦٠ ب ٣١ ؛ ك ٦٥ سورة ٢٠ ب ٣ او ٣ ؛ ك ٨٢ ب ١١ ؛ ك ٩٧ ب ٣٧ مس - ك ٤٦ ح ١٣ - ١٥ بد - ك ٣٩ ب ١٦ تر - ك ٣٠ ب ٢ مج - المقدمة ب ١٠ ما - ك ٤٦ ح ١ حم - ثان ص ٢٦٤، ٢٤٨، ٢٦٨ قا ٢٨٧ و ٣١٤ و ٣٩٢ و ٣٩٨ و ٤٤٨ قا ٤٦٤

* آدَمُ فِي السَّمَاءِ الْأُولَى - بځ - ك ٨ ب ١ مس - ك ١ ح ٢٥٩ نس - ك ٥ ب ١ هـش - ص ٢٦٩
* مَا كَانَ مِنْ عَذَابِ الْأَرْضِ فِي خَلْقِهِ وَمَا كَانَ مِنْ مَّالِحِهَا - عد - ج ١ ق ١ ص ٦

* كَيْفَ صَنَعَ اللَّهُ بِطِيبَتِهِ - عد - ج ١ ق ١ ص ٦ قا حم - ثالث ص ١٥٢ و ٢٢٩ و ٢٤٠ و ٢٥٤ ط - ح ٢٠٢١

* فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ خُلِقَ آدَمُ وَاسْكَنَ الْجَنَّةَ وَأَهْبِطَ مِنْهَا - مس - ك ٧ ح ١٧ و ١٨ ؛ ك ٥٠ ح ٢٧ بد - ك ٢ ب ٢٠٠ تر - ك ٤ ب ٢ او ٢ نس - - ك ١٤ ب ٤ و ٥ و ٤٥ مج - ك ٥ ب ٧٦ ؛ ك ٦ ب ٦٤ مي - ك ٣ ب ٢٠٦ ما - ك ٣ ح ٨٩ عد - ج ١ ق ١ ص ٨ قا حم - ثان ص ٣١١ و ٣٢٧ و ٥٤٠
* طَوَّلَ قَامَتِهِ -

بځ - ك ٦٠ ب ١ ؛ ك ٧٩ ب ١ مس - ك ٥١ ح ٢٨ عد - ج ١ ق ١ ص ٩ و ١٠ و ١٣ حم - ثان ص ٢٣٢ و ٣١٥ و ٣٢٣ و ٥٣٥

* لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلماً أَلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا - بځ - ك ٦٠ ب ١ ؛ ك ٨٧ ب ٢ ؛ ك ٩٦ ب ١٥ مس - ك ٢٨ ح ٢٧ مج - ك ٢١ ب ١ حم - أول ص ٣٨٣ و ٤٣٠ و ٤٣٣

* خَلَقَهُ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا اللَّهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ -

بد - ك ٣٩ ب ١٦ تر - ك ٤٤ سورة ٢ ح ١ قا عد - ج ١ ق ١ ص
٦٥٥ حم - رابع ص ٤٠٠ و ٤٠٦

* وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ -

تر - ك ٤٤ سورة ٧ ح ٢ و ٣ ما - ك ٤٦ ح ٢ عد - ج ١ ق ١ ص
٧ و ٩ حم - أول ص ٢٧٢ ؛ ثالث ص ١٢٧ و ١٢٩ ؛ خامس ص ١٣٥ ؛
سادس ص ٤٤١

* هَبَّةُ آدَمَ لِدَاوُدَ أَرْبَعِينَ عَامًا مِنْ عُمرِهِ -

تر - ك ٤٤ سورة ٧ ح ٣ عد - ج ١ ق ١ ص ٧ حم - أول ص
٢٥١ و ٢٩٨ و ٣٧١ ط - ح ٢٦٩٢

* تَسْلِيمُ آدَمَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَتَسْلِيمُهُمْ عَلَيْهِ -

بخ - ك ٧٥ ب ١ عد - ج ١ ق ١ ص ٩ حم - ثان ص ٣١٥

* هَبوطه مِنَ الْجَنَّةِ وَاجْتِمَاعُهُ بِخَوَاءٍ وَحُجُّهُ إِلَى مَكَّةَ وَتُسْكُنُهُ -

عد - ج ١ ق ١ ص ١٢

* الشَّجَرَةُ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا هِيَ الْكَرْمُ عد - ج ١ ق ١ ص ١١

* آدَمُ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ -

عد - ج ١ ق ١ ص ٢٦ حم - خامس ص ١٧٨ و ١٧٩ و ٢٦٥ ط - ح
٤٧٩

* بِنَاؤُهُ الْمِحْرَابَ بِمَكَّةَ

عد - ج ١ ق ١ ص ١٥

* خَبَرُ أَوْلَادِهِ -

عد - ج ١ ق ١ ص ١٠ و ١٣ و ١٦

* وَفَاتُهُ وَدَفْنُهُ -

عد - ج ١ ق ١ ص ١١ و ١٨ حم - خامس ص ١٣٦ ط - ح ٥٤٩

﴿ آدَمِي ﴾

انظر : الانسان

﴿ آل مُحَمَّد ص ﴾

* إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِن أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي -

تر - ك ٤٦ ب ٣١

* أَصْحَابُ الْكِسَاءِ -

تر - ك ٤٤ سورة ٣٣ ح ٧ ؛ ك ٤٦ ب ٣١ و ٦٠ حم - أول ص ٣٣٠ ؛
رابع ص ١٠٧ ؛ سادس ص ٢٩٢ و ٣٩٦ و ٢٩٨ و ٣٠٤ و ٣٢٢ -

* إِنِّي وَإِيَّاكَ وَهَذِينَ وَهَذَا الرَّاقِدُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -

حم - أول ص ١٠١ ط - ح ١٩٠

* وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ -

تر - ك ٤٦ ب ٢٨ مج - المقدمة ب ١١ (العباس)

* النَّبِيُّ حَرْبٌ لِمَنْ حَارِبَهُمْ وَسَلَامٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ -

تر - ك ٤٦ ب ٦٠ قا حم - ثان ص ٤٤٢

* مَنْ هُمْ آلُهُ ص -

تر - ك ٤٤ سورة ٣ ح ٧ حم - أول ص ١٨٥

* أَجْرُ حُبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -

حم - أول ص ٧٧

﴿ آمِنَةُ ﴾

انظر أيضاً : محمد ص

عد - ج ١ ق ١ ص ٥٨ - ٦٤ و ٧٣

* وفائها -

هش - ص ١٠٧

﴿ آمين ﴾

* كيف يقول آمين في الصلاة -

بخ - ك ١٠ ب ١١١ بد - ك ٢ ب ١٦٧ تر - ك ٢ ب ٧٠ مج - ك ٥ ب
١٤ مى - ك ٢ ب ٣٩ حم - رابع ص ٣١٦ و ٣١٨

* فضل التأمين في الصلاة -

بخ - ك ١٠ ب ١١١ - ١١٣ قاك ٥٩ ب ٧ ؛ ك ٦٥ سورة ١ ب ٢ ؛ ك
٨٠ ب ٧٣ مس - ك ٤ ح ٧٢-٧٦ بد - ك ٢ ب ١٦٧ تر - ك ٢ ب
٧١ نس - ك ١١ ب ٣٣-٣٥ مج - ك ٥ ب ١٤ مى - ك ٢ ب ٣٨ ما -
ك ٣ ح ٤٦٥٤٤ حم - ثان ص ٢٣٣ و ٢٣٨ و ٢٧٠
٣١٢ و ٤٤٠ و ٤٤٩ و ٤٥٩ قاسادس ص ١٢ و ١٥ ط - ح ١٠٢٤ و ٢٥٧٧

﴿ الآية ﴾

* ما حُظِر استعماله منها في الأثرية

بخ - ك ٢ ب ٤ ؛ ك ٣ ب ٢٥ : ك ٩ ب ٢ : ك ٢٤ ب ١ ؛ ك ٥٧ ب ٢
قا ؛ ك ٦١ ب ١٥ ؛ ك ٦٤ ب ٦٩ ؛ ك ٧٤ ب ٨٤
مس - ك ١ ح ٢٧٥١٣ ؛ ك ٣٦ ح ٦٠٥٣٠ بد - ك ٢٥ ب ٧ و ٩ و ١٢
تر - ك ٢٤ ب ٤٥ ؛ ك ٣٨ ب ٥ نس - ك ٤٣ ب ٣٦ ؛ ك ٥١ ب
٥٩ و ٢٣ و ٢٨ - ٣٨ و ٤٨
مج - ك ٣٠ ب ١٣ و ١٥ مى - ك ٩ ب ١٤

الفصل الخامس
السيرة والأنواع الأدبية

عن الحديث والأنواع الأدبية : عن السيرة النبوية ، يمكن أن تتفرع دراسة لتاريخ الأدب العربي في فترة البعثة النبوية والخلفاء الراشدين ، ثم ماتبع بالضرورة . تلك الدراسة التاريخية للأدب من نقد يتصل بهذه الفترة من تاريخ العرب والإسلام . ثم إن هذه السيرة النبوية تلهم إبداع أدب الرحلة بما تثيره الأماكن المقدسة ، أو أحداث التاريخ من ذكريات تثير العاطفة ، وتلهب الوجدان ، وتدفع إلى التعبير عن أشواق النفوس وأتواقها ، وتصوير مايتدافع فيها من فرح أو ترح . وخوف أو رجاء ، وتوبة أو ندم .

ومن مثيرات السيرة النبوية الإبداعية المدحة النبوية ، وفيها فيض زاخر من عواطف الحب للرسول ، وبيان أياديه على البشرية منذ بعثته ، ثم توظيف تلك المدائح للنهوض بالمجتمعات الإسلامية من كبواتها ، لأنها عامل مثير للنهضة واليقظة .

ولقد هدت جهود الباحثين إلى تصنيف الحديث النبوية باعتباره نصاً أدبياً إلى : أدب الدعاء - الرسالة - الخطبة - المثل - القصة .

فالسيرة أنشأت أدباً ، والحديث النبوي نفسه كان أنواعاً من الأدب ، وهذا مايميز شخصية الرسول فعلاً وقولاً عن غيره من سائر الرسل والأنبياء .

ومن السيرة لابن هشام* يمكن ان نستخلص النص الأدبي الذي يؤرخ لتاريخ الاسلام بخاصة وللأدب العربي بعامة وفيما يلي من نصوص نجد ان ابن هشام يضيء النص الادبي بما حوله من احداث التاريخ الاسلامي

(٥) حققها مصطفى السقا و ابراهيم الايلرى وعبد الحفيظ شلي ط دار أحياء التراث العربي بيروت
من ص ٣١-٣٨

أولا : السيرة النبوية والأدب العربي

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

الحرب بين خزاعة وبكر :

قال ابن إسحاق :

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثته إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ثم أن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوئير ، وكان الذى هاج ماين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمي ، واسمه مالك بن عبّاد - وحلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود ابن رزن^(١) خرج تاجرا ، توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزن الدليلي - وهم منخرو^(٢) بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم^(٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من بنى الدليل قال :

كان بنو الأسود بن رزن يؤدون في الجاهلية ديتين ، وتودى دية دية ، لفضلهم فينا .

(١) رزن : يروى بكسراء الراء وفتحها ، وإسكان الزاي وفتحها ، وقيد الدارقطني بفتح الراء

وإسكان الزاي لاغير . (راجع شرح السيرة)

(٢) كذا في ١ . ويريد بالمنخر : المتقدمين ، لأن الأنف هو المقدم من الوجه . وفي سائر الأصول :

« مفخر » بالفاء .

(٣) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامات بين اخل والحرم .

قال ابن إسحاق :

فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَرَ بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، كان فيما شرطوا الرسول ﷺ وشرط لهم ، كما حدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيرهم من علمائنا :

أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده^(١).

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو الدليل من بني بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بيني الأسود ابن رزن . فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الدليل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بني بكر تابعه^(٢) حتى بيّت خزاعة وهم على اثوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بني بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا^(٣) خُزَاعَةَ إلى الحَرَمِ ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يائوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون^(٤) في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ، وقد أصابوا منهم ليلة بيّتهم بالوتير رجلاً يقال له مُنْبَهٌ ، وكان منبه رجلاً مفئوداً^(٥) خرج هو ورجل من قومه ، يقال له تميم ابن أسد ، فقال له مُنْبَهٌ : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لميت ، قتلوني أو تركوني ، لقد انبت^(٦) فؤادي ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا مُنْبَهًا فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة لجئوا إلى

(١) هذه الكلمة سلقطة في (١) .

(٢) كذا في ١ . وفي سائر الأصول : « بآيمته » .

(٣) كذا في ١ . وحازوهم : ساقوهم . وفي سائر الأصول : « حاوزوهم » .

(٤) كذا في ١ . وفي سائر الأصول : « لتسرفون » .

(٥) مفئودا : ضعيف الفؤاد .

(٦) انبت : انقطع .

دار بُدَيْل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع ، فقال تميم بن أسد يعتذر من
فراره عن مُنْبَه :

| | |
|--|--|
| لَمَّا رَأَيْتُ بَنِي نَفَاثَةَ أَقْبَلُوا | يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ ^(١) وَحِجَابٍ ^(٢) |
| صَحْرًا وَرَزْنًا لَاعَرِيبَ سِوَاهُمْ | يُزْجُونَ كُلَّ مُقْلَصٍ خَنَابٍ ^(٣) |
| وَذَكَرْتُ دَخْلًا ^(٤) عِنْدَنَا مُتْقَادِمًا | فِي مَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْقَابِ ^(٥) |
| وَنَشِيتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ | وَرِهْبْتُ وَقَعَ مُهْنِدِ قَضَابٍ ^(٦) |
| وَعَرَفْتُ أَنَّ مَنْ يَتَقَفَّوْهُ يَتْرَكُوا | لَحْمًا لِمَجْرِيَةٍ وَشِلْوُ غُرَابٍ ^(٧) |
| قَوْمُ رَجُلًا لَا أَخَافُ عِثَارَهَا | وَطَرَحْتُ بِالْمَتْنِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي ^(٨) |
| وَتَجَوْتُ لَا يَنْجُو نَجَائِي أَحَقَبُ | عِلْجٍ أَقْبُ مَشْمَرِ الْأَقْرَابِ ^(٩) |
| تَلَحَّى وَلَوْ شَهِدْتُ لَكَانَ نَكِيرُهَا | بَوْلًا يُؤَلِّ مَشَافِرَ الْقَبْقَابِ ^(١٠) |
| الْقَوْمُ أَعْلَمَ مَا تَرَكْتُ مُنْبَهَا | عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ فَاسَأَلِي أَصْحَابِي |

- (١) كذا في الأصول . وفي شرح السيرة : « وثيرة » بالياء المثلثة . قال أبو ذر : « من رواء بالياء المثلثة فهي الأرض المليئة الرطبة . ومنه يقال : فراش وثير : إذا كان رطباً . ومن رواء بالياء باثنتين ، يعني الأرض الممتدة » .
- (٢) الحجاب : ما اطمأن من الأرض وخفى .
- (٣) لاعريب : أى لا أحد ، يقال : ما بالدار عريب ولاكنيع ولاذيع ، في أسماء غيرها ، وكلها بمعنى : ما بها أحد . ويروجون : يسرقون . والمقلص : الفرس المشمر . والخناب : الفرس الواسع المنخزين . ويروى : خباب ، أى مسرع ، من الخبب ، وهو السرعة في السير .
- (٤) كذا في أكثر الأصول . والدخل : طلب الثأر . وفي ١ : « دخلا » .
- (٥) الأحقاب : السنون .
- (٦) نشى : شم والمهند القضاب : السيف القاطع .
- (٧) المجرية : اللبوة التي لها جراء ، أى أولاد . والشلو : بقية الجسد .
- (٨) المتن : ماظهر من الأرض وارتفع . والعراء : الخالي لا يخفى فيه شيء .
- (٩) نخوت : أسرع . وأحقب : أى حمار وحش أبيض المؤخر ، وهو موضع الحقيبة ، وعلج : غليظ . وأقب : ضامر البطن . ومشمر الأقرباب : متقبض الخواصر ومايلها . ويروى : « مقلص الأقرباب » ، وهو بمعناه .
- (١٠) تلحى : تلوم . والمشافر : النواحي والجوانب . والقبقاب : من أسماء الفرج .

قال ابن هشام :

وتروى لحبيب بن عبد الله [الأعلام]^(١) الهذلي . وبيته : « ذكرت ذحلا
عندنا متقادما » عن أبي عبيدة ، وقوله « خناب » و« عالج أقب مشمر
الأقرب » عنه أيضا .

قال ابن إسحاق :

وقال الأخزر بن لُعط الدلي ، فيما كان بين كِنانة وخزاعة في تلك
الحرب :

| | |
|---|--|
| أَلْأَهْلُ أَتَى قُصْوَى الْأَحَابِيشِ أَتْنَا | رَدَدْنَا بَنِي كَعْبٍ بِأَفْسُوقٍ نَاصِلٍ ^(٢) |
| حَبَسْنَاهُمْ فِي دَارَةِ الْعَبْدِ رَافِعٍ | وَعِنْدَ بُدَيْلٍ مَخِيسًا غَيْرَ طَائِلٍ ^(٣) |
| بِدَارِ الدَّلِيلِ الْآخِذِ الضِّيمِ بَعْدَنَا | شَفَيْنَا النُّفُوسَ مِنْهُمْ بِالْمَنَاصِلِ ^(٤) |
| حَبَسْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا طَالَ يَوْمُهُمْ | نَفَحْنَا لَهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْبٍ بِوَابِلٍ ^(٥) |
| نُدَبَّحَهُمْ ذُبَحَ الثُّيُوسِ كَأَنَّا | أَسْوَدُ ثَبَارَى فِيهِمْ بِالْفَوَاصِلِ ^(٦) |
| هُمْ ظَلَمُونَا وَاعْتَدَوْا فِي مَسِيرِهِمْ | وَكَانُوا لَدَى الْأَنْصَابِ أَوَّلَ قَاتِلٍ |
| كَأَنَّهُمْ بِالْجِزْعِ ^(٧) إِذْ يَطْرُدُونَهُمْ | بِفَانُورٍ ^(٨) حَفَانُ النِّعَامِ الْجَوَافِلِ ^(٩) |

(١) زيادة عن ا .

(٢) قصوى : أبعد . والأحابيش : كل من حالف قرشا ، ودخل في عهدها من القبائل . ويريد بقوله
« بأفوق ناصل » : أنها ردت خائبة ، والأفوق (في الأصل) : السهم الذي انكسر فوقه ، وهو
طرفه الذي يلي الوتر . والناصل : الذي زال نصله ، أي حديدته التي تكون فيه .

(٣) الدارة : الدار .

(٤) الضميم : الذل . والمناصل : جمع منصل ، وهو السيف .

(٥) نفحنا : وسعنا . والشعب . المصطن بين جبلين . والوايل : المطر الشديد ، وأراد به هنا دفعة
الخيال .

(٦) يريد « بالفواصل » : الأنياب .

(٧) الجزع : ما انعطف من الوادي .

(٨) كذا في أكثر الأصول . وفانور : موضع بنجد ، قال أبو ذر : « ظاهره أنه اسم موضع . ومن
وراه : قفانور ، فنور : اسم جبل بمكة ، ومنعه هذا الشاعر الصرف ، لأنه قصد به قصد
البقعة . وقفاه : وراؤه » . وفي ا : « فعانور » .
(٩) حفان النعام : صفارها . والجوافل : المولية المسرعة .

فأجابه بُذيل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب^(١) ، وكان يقال له : بُذيل بن أم أصرم ، فقال :

تفارق قوم يفخسون ولم تدع لهم سيّدا يتنذوهم غير نافل^(٢)
 أمين جيفة القوم الألى تزدريهم تُجيز الوتير خائفاً غير آئل^(٣)
 وفي كل يوم نحن نحبو جباءنا لعقل ولا يُحبي لنا في المعازل^(٤)
 ونحن صبحنا بالثلاعة داركم بأسافنا يسبقن لوم العواذل^(٥)
 ونحن متغنا بين يئض وعثود إلى تخيف رضوى^(٦) من مجر القنابل^(٧)
 ويوم الغميم قد تكفت ساعياً عبس فجعناه بجلد حلاجيل^(٨)
 أن أجمرت في بيتها أم بعضكم بجفوسها تزون أن لم ثقائل^(٩)
 كذبتم وبيت الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم في بلابل^(١٠)

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » وقوله « إلى تخيف رضوى » عن غير ابن إسحاق .

- (١) في ١ : « الأجب ، بالحاء المهملة » . وفي الاستيعاب لابن عبد البر : « الأجنس » . وقد ساق ابن عبد البر نسبه فقال : « هو أحد المنسوين إلى أمهاتهم ، وهو بذيل بن سلمة ابن خلف بن عمرو بن الأجنس بن مقياس بن حنتر بن عدى بن سلول بن كعب الخزاعي .
- (٢) يتنذوهم : يجمعهم في الندى ، وهو المجلس .
- (٣) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة ، وغير آئل : غير راجع .
- (٤) نحبو : نعطى . والعقل : الندية .
- (٥) الثلاعة (بالفتح والتخفيف) : ماء لبنى كنانة بالحجاز . ويسبقن لوم العواذل : يشير إلى المثل المعروف : « سبق السيف العذل » .
- (٦) يئض (بالفتح) : من منازل بنى كنانة بالحجاز : وعتود (بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الواو . وروى بفتح أوله) : ماء لكنانة أيضاً . والتخيف : ما انحدر من الجبل . ورضوى : جبل بالمدينة .
- (٧) كذا في ١ . والقنابل : جمه قنبلة ، وهى القطعة من الخيل .
- (٨) الغميم : موضع بين مكة والمدينة . وتكفت : حاد عن طريقه . وعيس : رجل . والجلد : القوي . والحلاجيل : السيد .
- (٩) الحمومس : العذرة . و« أحمرت ... الخ » أى رمت به بسرعة ، وهو كتابة عن ضرب من الحدث يسمج وصفه ، يريد الفرع وعدم الاطمئنان .
- (١٠) البلابل : اختلاط الهم ووساوسه .

قال ابن هشام :

وقال حسان بن ثابت في ذلك :

لَحَا اللهُ قوماً لم تدغ من سراهم لهم أخداً يندوهم غير ناقي^(١)
أخضيت جمار مات بالامس نوفلاً متى كنت مفلاً حاً عدو الحقايب^(٢)

قال ابن إسحاق :

فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ،
وتفضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ، بما استحلوا من
خزاعة ، وكان في عهده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم أحد
بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح
مكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراى الناس ، فقال :

يارب إني ناشد محمداً جلف أيننا وأيه الأثلدا^(٣)
قد كنتم ولداً وكنا والداً ثمت أسلمنا فلم نزرغ يدا^(٤)
فانصر هداك الله نصراً أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا^(٥)
فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم نخسفا وجهه تربدا^(٦)

(١) سراة القوم : أشراهم وخيارهم . ويندرهم : يجمعهم في الندى ، وناقب : رجل . (عن أبي ذر
واللسان) .

(٢) المفلح : من الفلاح ، وهو بقاء الخير ، والحقايب : جمع حقية ، وهو ما يجمله الراكب وراءه إذا
ركب (عن أبي ذر) .

(٣) ناشد : طالب ومذكر . والأثلد : القديم .

(٤) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والولد
(بالضم) : بمعنى الولد (بالتحريك) . وأسلمنا : من السلم . قال السهيلي : « لأنهم لم
يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : « ركما وسجدا » فدل على أنه كان فيهم من صلى الله فقتل :
(راجع الروض) .

(٥) أعتد : حاضر ، من الشيء العتيد ، والمدد : العون .

(٦) تجرد : من رواه بالخاء المهملة ، فمعناه ، غضب : ومن رواه بالجيم ، فمعناه : شمر وشمياً .
للحرب . وسيم : طلب منه وكلف . والنخسف : الذل ، وتريد : تغير إلى السواد .

في فيلق كالبخر يجري مُزبداً إن قريشاً أخلفوك المؤعِداً^(١)
ونقضوا ميثاقك المؤكداً رجعلوا لي في كداء رصداً^(٢)
وزعموا أن لست أدعو أحداً وهم أذل وأقل عداً
هم يبتونا بالوتير هجداً وقتلونا ركمما وسجداً^(٣)

[يقول : قتلنا وقد أسلمنا]^(٤)

قال ابن هشام : ويروى [أيضاً]

فانصر هداك الله نصراً أيّداً^(٥)

قال ابن هشام : ويروى أيضاً :

[نحن ولدناك فكنت ولداً]

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله ﷺ : نُصِرْتُ ياعمرو بن سالم^(٦). ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان^(٧) من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب .
ثم خرج بُذَيْل بن ورقاء في نفر من خُزاعة حتى قَدَموا على رسول الله ﷺ المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمُظَاهرة^(٨) قُريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم بأبي

(١) الفيلق: العكر الكثير .

(٢) كداء بوزن سحاب : موضع بأعلى مكة ، ورصد كركع جمع راصد ، وهو الطالب للشيء الذي يرقبه ، ويجوز أن يكون رصداً كسبب ، وهو بمعنى الأول .

(٣) الوتير : اسم ثناء بأسفل مكة لخزاعة . والمجد : النيام ، وقد يكون « المجد » أيضاً : المتيقظين ، وهو من الأضداد . ورواية هذا الشعر في الاستيعاب يخالف روايته هنا تقديمها وتأخيرها وزيادة وحذفها .

(٤) مابين القوسين ساقط في ١

(٥) أيّدا : قويا ، وهو من الأيد ، وهو القوة .

(٦) في الاستيعاب : « فقال رسول الله ﷺ : « لانصرني الله إن لم أنصر بني كعب » .

(٧) عنان : سحاب .

(٨) المظاهرة : المعاونة .

سفيان قد جاءكم ليشُدَّ العَقْد ، وَيَزِيد في المُدَّة ومضى بُدَيْل ابن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سُفْيَان بن حرب بِعُسْفَان^(١)، قد بعثته قُرَيْش إلى رسول الله ﷺ ، ليشُدَّ العقد وَيَزِيد في المُدَّة . وقد رَهَبُوا الذي صنعوا . فلما لقي أبو سُفْيَان بُدَيْل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يَا بُدَيْل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ ؛ قال : تَسِيرت في خِزَاعَة في هذا الساحل ، وفي بطن هذا الوادي ؛ قال : أو ماجئت محمدا ؟ قال : لا ؛ فلما راح بُدَيْل إلى مكة ، قال أبو سُفْيَان : لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد عَلف بها النوى ، فأتي مَبْرُك راحلته ، فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمدا .

ثانيا : المدحة النبوية :

زخرت دواوين الشعراء بالمديح النبوى ، وهذا ما نُعُدُّه نصوصاً إبداعية نجتزئ منها هنا مما جاء عند شاعرين هما البحتري والشريف الرضى نتبعها بمبحث أدبى عن المدحة النبوية للزميل الأستاذ الدكتور أحمد النجار ، ونحب أن نشير هنا إلى جهد سابق في هذا البحث لأدب المدحة النبوية عند الدكتور زكى مبارك .

(أ) من ديوان البحتري :

تحقيق حسن كامل الصيرفي م ٢٠٢ ص ٨٦١ .

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| لله ماحبت الحداة وما سمت | تخدي به قلص المهاري الضر |
| متقلقات بالسماحة والندي | يطلبن خيف «مني» وحنو الشعر |
| حتى رمين إلى الجمار ضحية | والركب بين محلق ومقصر |
| وثنين نحو قصور يثرب آخذا | منهن سير مغلس ومهجر |
| يجشمن من بعد أداء تعية | للقيب ثم ومسحة للمنبر |
| حج تقبله الاله وأوبه | كانت شفاء جوي لنا وتذكر |

(١) عسفان : على مرحلتين من مكة ، على طريق المدينة . (راجع معجم البلدان) .

وقال :

فأقسمت بالركب الذين تدرعوا من الليل اقطاع السري وهم سفر
على أينق ، مثل القسي سواهم ضوامر لاحتها الهواجر والقفسر
بكل معرة السباريت سملق ومجهولة تيه مخارمها غبر
إلى أن أطافوا بالخطيم وضمهم غداة الطواف البيت والركن والحجر

(ب) من ديوان الشريف الرضي

ما امرك وما احلاك

قال قدس الله سره في المحرم سنة
٣٩٥ وهي من لواحق الحجازيات أيضاً :

ياظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك
الماء عندك مبدول لشاربه ، وليس يرويك إلا مدمعي الباكي
هبت لنا من رياح الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها برياك
ثم انشينا ، إذا ما هزنا طرب على الرحال ، نعلنا بذكراك
سهم أصاب ورامي بذي سلم من العراق ، لقد أبعدت مرماك
وعذ لعينيك عندي ماوفيت به ، يا قرب ما كذبت عيني عيناك
حكث لحاظك ما في الريم من ملح يوم اللقاء فكان الفضل للحاكي
كان طرفك يوم الجزع يُخبرنا بما طوى عنك من أسماء قتلاك
أنت التميم لقلبي والعذاب له ، فما أمرك في قلبي وأحلاك
عندي رسائل شوق لست أذكرها لولا الرقيب لقد بلغتها فاك
سقى مني وليالي الخيف ماشربت من العمام وحياها وحياك
إذ يلتقي كل ذي دين ومطله ، منا ، ويجمع المشكوك والشاكي
لما غدا السرب يعطو بين أرحلنا ، ما كان فيه غريم القلب إلاك
هانت بك العين لم تتبع سيواك هوى من علم البين أن القلب يهواك

حَتَّى دَنَا السَّرْبُ مَا أَحْيَيْتَ مِنْ كَمَدٍ قَتَلَى هَوَاكَ ، وَلَا فَادَيْتَ أَسْرَاكَ
يَا حَبْدًا، تَفْحَةً مَرَّتْ بِفِيكَ لَنَا ، وَتُطْفِئَةً غُمِسَتْ فِيهَا ثَنَائِيَاكَ
وَحَبْدًا وَقَفَةً ، وَالرَّكْبُ مُغْتَفَلٌ إِلَى ثَرَى وَخَدَتْ فِيهِ مَطَايَاكَ
لَوْ كَانَتْ اللَّعْمَةُ السُّودَاءُ مِنْ عُدْدَى يَوْمَ الْعَمِيمِ ، لَمَّا أَفْلَتْكَ أَشْرَاكِى

يا قلب

قال قدس الله سره :

يَا قَلْبُ لَيْتَكَ حِينَ لَمْ تَدْعِ الْهَوَى عَلَقْتَ مِنْ يَهْوَاكَ مِثْلَ هَوَاكَ
لَوْ كَانَ حَرُّ الْوَجْدِ يُعْقِبُ بَعْدَهُ بَرْدَ الْوِصَالِ غَفِرْتَ ذَاكَ لَذَاكَ
لَا بَلَّ شُجِيئٌ بِمَنْ يَبِيْتُ مُسْلِمًا خَالِي الضَّلُوعِ ، وَلَا يُحَسِّنُ شُجَاكَ
إِنْ يُصْبِحُوا صَاحِبِينَ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى ، فَلَقَدْ سَقَوْكَ مِنَ الْغَرَامِ دِرَاكَ
يَا لَيْتَ شُغْلَكَ بَايَسَى أَعْدَاهُمْ ، أَوْ لَا ، فَلَيْتَ فَرَاغَهُمْ أَعْدَاكَ
أَهْوَى وَذُلًّا فِي الْهَوَى وَطَمَاعَةً ، أَبَدًا ، تَعَالَى اللَّهُ مَا أَشْفَاكَ

وفي الدرس الأدبي كان مضمون المدحة النبوية مبحثا للدكتور أحمد النجار - عالج فيه ما اتسمت به المدحة النبوية من لون إسلامي يميزها عن المدحة في الأدب الجاهلي وإن كان بينها ثمت خصائص مشتركة باعتبار المدحة النبوية والمدحة الجاهلية من مكونات الأدب العربي . وكما أخضع الباحث المدحة النبوية لدراسة الأدبي عرض أيضا لرأى النقد في تحليلهم الأدبي لمضمون المديح في الأدب العربي .

ثالثا : أدب الدعاء :

أفرد من الحديث النبوي ومن السيرة : محيي الدين النووي ما كان يدعو به الرسول ربه ويناجيه في كل الأحوال بالليل أو بالنهار وسماه (الاذكار) .. ويمكن بلا ريب أن نُعدَّ هذا فنا من فنون الآداب النبوية وهو فن الدعاء .

كتاب أذكار النوى
المنتخبة من كلام سيد الأبرار
تأليف

الإمام العالم الرباني شيخ الإسلام والمسلمين
محى الدين النوى الشافعى مذهباً دمشقى
محتداً رحمه الله تعالى رحمة واسعة ونفعنا
به والمسلمين جميعاً أمين .

أما بعد فقد قال الله العظيم العزيز الحكيم فاذكرونى أذكركم وقال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فعلم بهذا أن من أفضل حال العبد حال ذكره رب العالمين واشتغاله بالأفكار الواردة من رسول الله ﷺ سيد المرسلين وقد صنف العلماء رضى الله عنهم فى عمل اليوم والليلة والدعوات والأذكار كتباً كثيرة معلومة عند العارفين ولكنها مطولة بالأسانيد والتكرير فضعت عنها هم الطالبين فقصدت تسهيل ذلك على الراغبين فشرعت فى جمع هذا الكتاب مختصراً مقاصد ما ذكرته تقريباً للمعتنين وأحذف الأسانيد فى معظمه لما ذكرته من إشار الاختصار ولكونه موضوعاً للمتعبدين وليسوا إلى معرفة الأسانيد متطلعين بل يكرهونه وإن قصر إلا الأقلين ولأن المقصود به معرفة الأذكار والعمل بها وإيضاح مظانها للمسترشدين وأذكر إن شاء الله تعالى بدلاً من الأسانيد ما هو أهم منها مما يخل به غالباً وهو بيان صحيح الأحاديث وحسنها وضعيفها ومنكرها فإنه مما يفتقر إلى معرفته جميع الناس إلا النادر من المحدثين وهذا أهم ما يجب الاعتناء به وما تحققة الطالب من جهة الحفاظ المتقن والأئمة الحذاق المعتمدين وأضم إليه إن شاء الله الكريم جملاً من النفائس من علم الحديث ودقائق الفقه ومهمات القواعد ورياضات النفوس والآداب التى تتأكد معرفتها على السالكين . وأذكر جميع ما أذكره موضعاً بحيث يسهل فهمه على العوام والمتفقهين وقد رويناه فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً . فأردت مساعدة أهل الخير بتسهيل طريقه

والإشارة إليه وإيضاح سلوكه والدلالة عليه فأذكر في أول الكتاب فصولا مهمة يحتاج إليها صاحب هذا الكتاب وغيره من المعتنين . وإذا كان في الصحابة من ليس مشهورا عند من لا يعتنى بالعلم نهت عليه فقلت . رويانا عن فلان الصحابي يشك في صحبته وأقتصر في هذا الكتاب على الأحاديث التي في الكتب المشهورة التي هي أصول الإسلام وهي خمسة صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي ، وقد أروى يسيرا من الكتب المشهورة غيرها .

وأما الأجزاء والمسانيد فلست أنقل منها شيئا إلا في نادر من المواطن ولا أذكر من الأصول المشهورة أيضا من الضعيف إلا النادر مع بيان ضعفه وإنما أذكر فيه الصحيح غالبا . فلهذا أرجو أن يكون هذا الكتاب أصلا معتمدا ثم لا أذكر في الباب من الأحاديث إلا ما كانت دلالة ظاهرة في المسألة . والله الكريم أسأل التوفيق والإجابة والإعانة والهداية والصيانة وتيسير ما أقصده من الخيرات والدوام على أنواع المكرمات والجمع بيني وبين أحبائي في دار كرامته وسائر وجوه المسرات وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ماشاء الله لا قوة إلا بالله توكلت على الله اعتصمت بالله استعنت بالله وفوضت أمري إلى الله واستودعت الله ديني ونفسي ووالدي وأخواني وأحبائي وسائر من أحسن إلى وجميع المسلمين وجميع ما أنعم به علي وعليهم من أمور الآخرة والدنيا فإنه سبحانه إذا استودع شيئا حفظه ونعم الحفيظ

باب ما يقول إذا استيقظ من منامه

رويانا في صحيح إمامي المحدثين أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري رضي الله عنهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان هذا لفظ رواية البخاري ورواية مسلم بمعناه وقافية

الرأس آخره . وروينا في صحيح البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وعن أبى ذر رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال باسمك اللهم أحيأ وأموت وإذا إستيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور وروينا في كتاب ابن السنن بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إذا إستيقظ أحدكم فليقل الحمد لله الذى رد علىّ روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره . وروينا فيه عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال مامن عبد يقول عند رد الله تعالى روحه لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير إلا غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . وروينا فيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ مامن رجل ينتبه من نومه فيقول الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة الحمد لله الذى بعثنى سالما سويا أشهد أن الله يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير إلا قال الله تعالى صدق عبدى . وروينا فى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها . قالت كان رسول الله ﷺ إذا هبّ من الليل كبر عشرا وحمد عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان القدوس عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتح الصلاة . وقولها هبّ أى إستيقظ وروينا فى سنن أبى داود أيضا عن عائشة أيضا أن رسول الله ﷺ كان إذا إستيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبى وأسالك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد إن هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

رابعا : أدب الخطابة :

بمجيء الإسلام ، وعلى يدى الرسول الكريم ازدهرت الخطبة وكانت السيادة قبله للشعر ، ومن ثمّ نقدم هنا نصاً من خطبه التى جمعها الأستاذ أحمد زكى صفوت^(١) نتبعها يبحث جامعى عن الخطابة فى الإسلام^(٢)

(١) جمهرة خطب العرب فى عصور العرية الزاهرة - جمع أحمد زكى صفوت ط الحلبي من ١٤٧-١٥٩

(٢) الخطابة فى صدر الإسلام للدكتور محمد طاهر درويش ط دار المعارف ١٩٦٥ م
عن ١٣٨، ١٣٩ ، ومن ١٧٦-٢٠٢

١ - أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه

حَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« إِنَّ الرَّائِدَ^(١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسَ جَمِيعاً مَا كَذَبْتُكُمْ ، وَلَوْ غَرَزْتُ النَّاسَ جَمِيعاً مَا غَرَزْتُكُمْ ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاضِعٌ ، وَإِلَى النَّاسِ كَافٌّ ، وَاللَّهُ لَيَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ ، وَلَتَحَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلَتَجْزَوُنَّ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً ، وَبِالسُّوءِ سُوءاً ، وَإِنَّمَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا » .

(السيرة الحلبية ١ : ٢٧٢ ، والكمال لابن الأثير ٢ : ٢٧)

٢ - أول خطبة خطبها بالمدينة

حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

« أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ ، تَعْلَمُنَّ وَاللَّهُ لَيُصَنِّعَنَّ أَحَدُكُمْ ، ثُمَّ لِيَذَعَنَّ غَنِمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٌ ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ لَهُ تَرْجَمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَعْجِبُهُ دُونَهُ : أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ ، وَآتَيْتَكَ مَالاً ، وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ ، فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ ؟ فَلْيَنْظُرَنَّ يَمِيناً وَشِمَالاً ، فَلَا يَرَى شَيْئاً ، ثُمَّ لِيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقَى وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ ، وَلَوْ بِشِقِّ مِنْ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ، فَإِنْ بَهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى

(١) المرسل في طلب الكلا .

سبعمائة ضِعْف^(١)، والسلام عليكم وعلى رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته .
(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠)

٣ - خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة

« الحمد لله أحمدهُ وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفرهُ
وأعادي من يكفرهُ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً
عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترَةٍ من الرسل ، وقلة من
العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب
من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشيد^(٢)، ومن يعصيهما فقد غوي
وفرط ، وضلّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به
المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله
من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً ، وإن
تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه ، عونٌ صديق على ماتبعون من
أمر الآخرة ، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي
بذلك إلا وجة الله ، يكن له ذكراً في عاجل أمره ، وذخراً فيما بعد الموت حين
يفتقر المرء إلى ما قدّم ، وما كان من سوى ذلك يودّ لو أن بينه وبينه أمداً
بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رءوف بالعباد ، والذي صدق قوله ، وأنجز
وعده لا تخلف لذلك ، فإنه يقول عز وجل : « مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا
بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السر والعلانية ، فإنه من
يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجراً ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً
عظيماً ، وإن تقوى الله يوقى مقتته ، ويوقى عقوبته ، ويوقى سُخطه ، وإن
تقوى الله يبيض الوجه ، ويرضى الرب ، ويرفع الدرجة ، خذوا بحفظكم ولا
تفريطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ، ونهَج لكم سبيله ، ليعلم الذين

(١) ضعف الشيء مثله ، وضعفاء مثلاه ، أو الضعف المثل إلى ما زاد ، ويقال لك ضعفه يريدون مثليه
وثلاثة أمثاله لأنه زيادة غير محصورة .

(٢) كنصر وفرح .

صدقوا وَيَعْلَمُ الكاذبين ، فَأَحْسِنُوا كما أحسن الله إليكم ، وَعَادُوا أعداءه ،
وَجَاهِدُوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، لِيَهْلِكَ من هَلَكَ عن
بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيَا من حَيَّ عن بَيِّنَةٍ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله ، فَأَكْثَرُوا ذكر الله ، وَأَعْمَلُوا
لما بعد اليوم ، فإنه من يُصْلِحْ ما بينه وبين الله يَكْفِهِ الله ما بينه وبين الناس ،
ذلك بأن الله يقضى على الناس ، ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس
ولا يملكون منه ، والله أكبر ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله العظيم .

(تاريخ الطبري ٢ : ٢٥٥)

٤ - خطبة له يوم أحد

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال :

« أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه ، من العمل بطاعته ،
والتناهي عن محارمه ، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخيرة لمن ذكر الذي عليه ، ثم
وطن نفسه على الصبر واليقين ، والجد والنشاط ، فإن جهاد العدو شديد
كربه ، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده ، إن الله مع من أطاعه ،
وإن الشيطان مع من عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، واتمسوا
بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي أمركم به ، فإني حريص على رشدكم . إن
الاختلاف والتنازع والتشيط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لا ينجيه الله ،
ولا يعطى عليه النصر .

أيها الناس إنه قُذِفَ في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند
الله غَفَرَ له ذنبه ، ومن صلى على محمد وملائكته عشرا ، ومن أحسنَ وقع أجره
على الله في عاجل دنياه ، أوفى آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر ، فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ،
ومن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غني حميد .

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به . ولا أعلم من عمل
يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، وإنه قد نُفِثَ الرُّوحُ الأمين في روعي أنه

لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم ، وأجملوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فإنه لا يُقدَّر على ما عنده إلا بطاعته ، قد بين لكم الحلال والحرام ، غير أن بينها شُبُهًا من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عُصِم ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه ، وليس ملك إلا وله حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم .

(شرح ابن ألى الحديد م ٣ : ٣٦٥)

٥ - خطبته بالخيـف

وخطب بالخيـف من منى فقال :

« نَضْرُ^(١) الله عبداً سمعَ مقالتي فوعاها ، ثم أذاها إلى من لم يسمعها ، فرب حاملٍ فقهٍ لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يَخْلُ^(٢) عَلَيْهِنَّ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لله ، والنصيحة لأولى الأمر ، ولزوم الجماعة ، إن دعوتهم تكون من ورائه ، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غنائه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كان همه الدنيا فُرق الله أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له . »

(إعجاز القرآن ص ١١٢)

(١) من النضرة والنضارة : وهي الحسن .

(٢) غل صدره يغل كضرب غلا : وهو الحقد والضغن .

٦ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ومن خطبه أيضاً أنه خطب بعد العصر فقال :

« ألا إن الدنيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لا يمنعن رجلاً مخافة الناس أن يقول الحق إذا عَلِمَهُ . ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السَّعَف فقال : إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى » .

(إعجاز القرآن ص ١١٣)

٧ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهّد الله فلا مضيل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتابُ الله ، قد أفلح من زينّه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ماسواه من أحاديث النَّاس ، إنه أصدق الحديث وأبلغه ، أحبُّوا من أحب الله ، وأحبُّوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملّوا كلام الله وذكره ، ولا تُقسُوا عليه قلوبكم ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، اتقوا الله حق تقاته^(١) ، وصدّقوا صالح ماتعملون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروج الله بينكم ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

(إعجاز القرآن ص ١٠٠)

(١) التقاة : التقوى .

٨ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس إن لكم مَعَالِمَ^(١) فانتهوا إلى مَعَالِمِكُمْ ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين ، أَجَلٍ قد مضى لا يدري ما الله فاعلٌ فيه ، وَأَجَلٍ بَاقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده : ما بعد الموت من مُسْتَعْتَب^(٢) ، ولا بعد الدنيا من دارٍ إلا الْجَنَّةُ أو النار .

(تهذيب الكامل ١ : ٥ ، إعجاز القرآن ١١٠ ، البيان والتبين ١ : ١٦٥ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢١٣ ، وغرر الخصاصر الواضحة ١٥٠)

٩ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

« أيها الناس كأنَّ الموت فيها على غيرنا قد كُتِبَ ، وَكَانَ الحق فيها على غيرنا قد وَجَبَ ، وَكَانَ الذي تُشَيِّعُ من الأموات سَقَرٌ ، عَمَّا قليل إلينا راجعون ، نبوتهم أجدائهم ، ونأكل من ثرائهم ، كأثنا مُخَلَّدُونَ بعدهم ، ونسينا كل واعظة ، وأَمِنَّا كُلَّ جائحة^(٣) ، طُوبَى^(٤) لِمَنْ شغله عَيْبُهُ عن عيوب الناس ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالاً اكْتَسَبَهُ من غير معصية ، وجالس أهلَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ ، وخالط أهلَ الذلِّ وَالْمَسْكِنَةِ ، طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَعَزَلْ عن الناس شرُّه ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الفضل من ماله ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ من قوله ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ، ولم تُسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ » .

(صبح الأعشى ١ : ٢١٣)

-
- (١) جمع معلم كـمذهب ، وهو الأثر يستدل به على الطريق ، والمراد حدود الشريعة المطهرة .
(٢) استعته : أعطاه العتبي (وهى الرضا والصفح) وطلب إليه العتبي .
(٣) الجروح : الإهلاك والاستئصال كـالاجتياح ، (٤) مؤنث أطيب ، والحسنى والخير ، وشجرة فى الجنة أو الجنة .

١٠ - خطبة له عليه الصلاة والسلام

ألا أيها الناس ، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وبَادِرُوا الأعمال الصالحة قبل أن تُشغَلُوا ، وَصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، ، وكثرة الصدقة في السرِّ والعَلَانِيَةِ ، تُرْزَقُوا وَتَوْجَرُوا وَتُنْصَرُوا . واعلموا أن الله - عزَّ وجلَّ - قد افترض عليكم الجمعة ، في مقامى هذا ، في عامى هذا ، في شهرى هذا ، إلى يوم القيامة ، حياتى ومن بعد موتى ، فمن تركها وله إمامٌ ، فلا جَمَعَ الله له شَمْلَهُ ، ولا بَارَكَ له في أمره ، أَلَا ولا حُجَّ له ، أَلَا ولا صوم له ، أَلَا ولا صدقة له ، أَلَا ولا بِرَّ له ، أَلَا ولا يُؤْمُّ أُعْرَابِي مهاجراً ، أَلَا ولا يَوْمٌ فَاجِرٌ مؤمناً ، إِلَّا أنْ يَقْهَرَهُ سُلْطَانٌ يخاف سيفه أو سَوْطَهُ .

(إعجاز القرآن ص ١١٠)

١١ - خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال : « لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك له ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، ونصر عبْدَهُ ، وهزم الأحزاب وَحْدَهُ ، أَلَا كُلُّ مَأْثُورَةٍ ^(١) أو دم أو مال يُدْعَى ، فهو تحت قَدَمِي هاتين ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ ^(٢) ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ ، أَلَا وَقَتْلُ الْخَطَا مِثْلُ الْعَمْدِ بالسوط والعصا ، فيهما الدية مُعْلَظَةٌ ، منها أربعون خَلِيفَةً ^(٣) في بطونها أولادها ، يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نُحُورَ الْجَاهِلِيَةِ ، وَتَعَظَّمَهَا ^(٤) بِالْآبَاءِ ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ خَلِقَ مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ تَلَا : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) الآية يامعشر قريش (أو يأهل مكة) ماترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا . خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطُّلَقَاءُ . »

(تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٠ ، وإعجاز القرآن ص ١١٢ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٢١ وسيرة ابن

هشام ٢ : ٢٧٣) .

- | | | |
|-------------------------|-------------------|---------------------------------|
| (١) المأثرة : المكرمة . | (٢) خدمة الكعبة . | (٣) الخلفة : الحامل من النياق . |
| (٤) تعظم : تكبر . | | |

١٢ - خطبته في الاستسقاء

روى أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ وآله في عام جَدْب ، فقال :
 أتيناك يا رسول الله ، ولم يَبْقَ لنا صَبِي يَرْتَضِع ، ولا شَارِفٌ ^(١) تَجْتَرُّ ثم أنشده :
 أتيناك وَالْعَذْرَاءُ يَدْمِي لَبَائِهَا ^(٢) وقد شَغِلْتُ أُمَّ الرَضِيعِ عَنِ الطِفْلِ
 وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى لَا سِتْكَانَةَ مِنْ الْجُوعِ حَتَّى مَائِمَرٌ وَلَا يَخْلِي ^(٣)
 وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسِيلِ ^(٤)
 وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرَّسُلِ ؟
 فقام النبي صلى الله عليه وسلم يحجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه
 وقال :

اللهم اسْقِنَا غَيْثًا مَغِيثًا ، مَرِيئًا مَرِيئًا ^(٥) ، سَحًّا سِجَالًا ^(٦) ، غَدَقًا ^(٧) طَبَقًا ^(٨) ،
 دِيمًا دِرْرًا ^(٩) ، تُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ ، وَتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ ، وَاجْعَلْهُ
 سُقْيَا نَافِعَةً ، عاجلا غير رَائِبٍ ^(١٠)

فوالله ماردٌ رسول الله ﷺ وآله يده إلى نُحْرِهِ ، حتى أَلْقَتْ السَّمَاءُ
 أَرْوَاقَهَا ^(١١) ؛ وجاء الناس يَضِجُّونَ : الغرقُ الغرقُ يا رسول الله ، فقال : اللهم
 حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ! فأنجاب ^(١٢) السحاب عن المدينة ، حتى استدار حولها

- (١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة كالشارفة . (٢) أى يدمى صدرها لامتئانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ماتعطيها من يخدمها من الجذب وشدة الزمان . (٣) أى ما يضر وما ينفع ، أو ما يأتي بكلمة ولا فعلة مرة ولا حلوة .
- (٤) العامى : الذى أتى عليه عام ، قال الشاعر : « من أن شجاك طلل عامى » والعلهز : طعام من الدم والوبر كان يتخذ في الجماعة ، والفسل : الرىء الرذل من كل شيء .
- (٥) المربع الخطيب ، أى تخصب به الأرض التى ينزل عليها .
- (٦) أى متداولاً بين البلاد ، ينال كل منها نصيبه منه ، والسجل بالفتح : النصيب والدلو المملوءة العظيمة ، ويقال الحرب سجال : أى نصرتها بين القوم متداولة سجل منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء .
- (٧) الغدق : الماء الكثير .
- (٨) أى مالكا للأرض مغطيا لها ، يقال غيث طبق : أى عام واسع يطبق الأرض .
- (٩) هو جمع درة بالكسر ، يقال للسحاب درة : أى صب واندفاق ، وقيل الدرر : الدار ، كقوله تعالى : « دِنًا قِيَمًا » أى قالما .
- (١٠) أى غير بطيء .
- (١١) أَلْقَتْ السحابة أرواقها : أى مطرها ووبلها .
- (١٢) انكشف .

كالإكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه^(١) .

(شرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣١٦)

١٣ - خطبته في حجة الوداع

« الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحذّكم على طاعته ، وأستفتح^(٢) بالذي هو خير ، أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني أيين لكم ، فإنني لا أدرى لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس : إن دماءكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول رباً أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم نبداً به دم عامر بن ربيعة الحرث بن عبد المطلب^(٣) ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسّقاية ، والعمد قود^(٤) ، وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن زاد ، فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه^(٥) قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُجفّرون من أعمالكم ، أيها الناس : إنما النّسيء^(٦) زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ، ويحرمونه عاماً

(١) النواخذ : أقصى الأضرار .

(٢) الاستفتاح : الافتتاح والاستنصار . (٣) وكان مسترضعاً في بئر لبث فقتله بنو هذيل .

(٤) القود : القصاص ، أي من قتل عمداً يقتل . (٥) في رواية الكامل لابن الأثير : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك ، وقد رضى بما تحقرون من أعمالكم » .

(٦) أي تأخير حرمة شهر إلى آخر ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أدخلوه ، وحرموا مكانه شهراً آخر فيحلّون المحرم ، ويحرمون صفراً ، فإن احتاجوا أدخلوه .

ليواطئوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ الله ، وَإِنْ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حُرُمٌ ، ثلاثة متواليات ، وَوَاحِدٌ فرد : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْحَرَمُ ، وَرَجَبٌ^(١) الذي بين جُمَادَى وشعبان ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ لِنَسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ ، لَكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا يُوطِئَنَّ فَرْشَكُمْ غَيْرَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلَنَّ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بَيْوتَكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَغْضُلُوهُنَّ^(٢) وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِجٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ^(٣) لَا يَمْلِكُنَّ أَنْفُسَهُنَّ شَيْئًا ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَأَسْتَحِلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ !

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ مَالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ! فَلَا تُرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَمْ تُضِلُّوا بَعْدَهُ ، كِتَابَ اللَّهِ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ !

==وَحَرَمُوا رِيْعَا الْأَوَّلِ ، وَهَكَذَا حَتَّى اسْتَدَارَ التَّحْرِيمُ عَلَى الشُّهُورِ السَّنَةَ كُلَّهَا ، وَكَانُوا يَعْتَبِرُونَ فِي التَّحْرِيمِ مَجْرَدَ الْعِدَدِ لِاخْتِصَاصِ الْأَشْهُرِ الْمَعْلُومَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ ذَلِكَ جَنَادَةُ بْنُ عَوْفٍ الْكِنَانِيُّ ، كَانَ يَقُومُ عَلَى جَمَلٍ فِي الْمَوْسَمِ فَيُنَادِي : إِنْ آهَنْتُكُمْ قَدْ أَحَلَّتْ لَكُمْ الْحَرَمَ فَأَحْلُوهُ ، ثُمَّ يَنَادِي فِي الْقِبَائِلِ : إِنْ آهَنْتُكُمْ قَدْ حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ الْحَرَمَ . فَحَرَمُوهُ - زِيَادَةُ فِي الْكُفْرِ ، أَيْ كَفَرُوا آخَرُ ضَمُّهُ إِلَى كُفْرِهِمْ . لِيُوطِئُوا : أَيْ يُوَافِقُوا عِدَّةَ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الْحَرَمَةِ ، وَكَانُوا رُبَّمَا زَادُوا فِي عِدَدِ الشُّهُورِ بِأَنْ يَجْعَلُوهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَوْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ لِيَتَسَّعَ لَهُمُ الْوَقْتُ وَيَجْعَلُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ حَرَامًا أَيْضًا ، وَلِذَا نَصَّ عَلَى الْعِدَدِ الْمَيِّينَ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، وَكَانَ وَقْتُ حَجِّهِمْ يَخْتَلِفُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْتَاسِعَةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَفِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَمِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلِذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « إِنْ الزَّمانُ قَدْ اسْتَدَارَ ... الخ » - رَاجِعَ تَفْسِيرَ الْأَلُوسِيِّ ج ٣ ص ٣٠٥

(١) قالوا في تثنية رجب وشعبان رجبان للتغليب .

(٢) العضل : الحبس والتضييق . (٣) جمع عانية من عنا ، أي خضع وذل ، والعاني : الأسير

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كُلُّكُمْ لآدَمَ ، وآدَمُ من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! قالوا نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

أيها الناس : إن الله قد قَسَمَ لكل وَاِثٍ نصيبُهُ من الميراث ، وَلَا يجوز لِوَاِثٍ وَصِيَّةٌ ، وَلَا يجوز وَصِيَّةٌ في أكثر من الثلث ، وَالولد لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ^(١) ، من أَدْعَى إلى غير أبيه ، أو تَوَلَّى غيرَ مَوَالِيهِ ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ^(٢) ، والسلام عليكم ورحمة الله .

(البيان والتبيين ٢ : ١٥ ، العقد الفريد ٢ : ١٣ ، إعجاز القرآن ١١١ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ١٤٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣٩٠)

١٤ - خطبته في مرض موته

عن الفضل بن عباس قال : جاءني رسول الله ﷺ ، فخرجت إليه فوجدته مَوْعُوكًا قد عَصَبَ رأسه ، فقال : خذ بيدي يا فضل ، فأخذت ، بيده حتى جلس على المنبر ، ثم قال ناد في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال :

« أما بعد : أيها الناس فإنني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وإنه قد دنا مني خُفُوقٌ^(٣) من بين أظهركم ، فمن كنتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا ، فهذا ظَهْرِي فَلَيْسَتْ قَدْ^(٤) منه ومن كنت شتَمْتُ لَهُ عِرْضًا ، فهذا عِرْضِي فَلَيْسَتْ قَدْ منه ، ومن

(١) وللعاهر : أي الزاني ، أي لاحق له في النسب ولاحظ له في الولد ، وإنما هو لصاحب الفراش أي لصاحب أم الولد وهو زوجها أو مولاها ، وهو كقوله الآخر : له التراب ، أي لاشيء له .
(٢) الصرف : التوبة . والعدل : الفدية ، وقيل الصرف القيمة . والعدل المثل ، وأصله في الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفًا ولا عدلًا ، أي لم يأخذوا منهم دية ولم يقتلوا بقتيلهم رجلًا واحدًا ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلاً فيمن لم يؤخذ منه الذي يجب عليه وألزم أكثر منه .

(٣) خفق النجم يخفق خفوقًا : غاب ، والطائر طار ، والليل ذهب أكثره .

(٤) فليقتص (من القود) وهو القصاص ، أقاد القاتل بالقتيل قتله به ، واستقاد الحاكم سألته أن يقيد القاتل بالقتيل .

أخذت له مالاً فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخش الشُّخْنَاء مِنْ قِبَلِي ، فإنها ليست من شأني ، ألا وإنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقّاً إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتَ ربي وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ ، وقد أرى أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُعْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مَراراً » .

ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ الْأُولَى ، فَادْعَى عَلَيْهِ رَجُلٌ بِثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ ، فَأَعْطَاهُ عِوَضَهَا ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَقْلُ فُضُوحُ الدُّنْيَا ، أَلَا وَإِنْ فَضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ » ثُمَّ صَلَّى عَلَى أَصْحَابِ أُحُدٍ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنْ عَبْدًا خِيَرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : فِدْيَاكَ بِأَنْفُسِنَا وَآبَائِنَا » .

(تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ : والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤)

موضوعات الخطابة وطابعها العام

كان الإسلام نهضة عامة شاملة ، لم يعهد لها من قبل في العالم مثيل ، وكانت الخطابة ولون من الشعر أخذ طابعها ونحا منحها عماد هذه النهضة ، وأداة فعالة من أدواتها ، وعلينا الآن أن نتبين كيف أخذت الخطابة طريقها لتأييد النهضة الإسلامية ، وكيف أتيح لها أن تكون منها بهذه المثابة .

لقد كانت هذه النهضة دينية في روحها وأساسها ، والدين فيض من النور الإلهي والرحمة الربانية ، يمتد من السماء إلى الأرض ، يضيء ظلماتها ، ويبدد غياهب الجهالة فيها ، ويؤدي رسالته الأولى في إصلاح المجتمع البشري ، وتحقيق أسباب السعادة له في حياته ، ولم يكن الإسلام دين جمود ، فيقف عند المطالب الأخروية ، شأن ماسبقه من الأديان ، بل جاوزها إلى تحقيق المصالح الدنيوية فكان لابد له من أن يتعرض لكل ما به صلاح أمور البشرية ، في العقيدة والتشريع والمعاملات والحكم والسياسة والاجتماع والأخلاق والفكر ، ولم يدع مجتمعاً إلا حض عليه ، وأقام من شأنه ، وطلب فيه من القول ما هو ضروري له ، كخطبة الجمعة والعديد وموقف عرفات وغيرها ، ولذلك كان صاحب هذه الدعوة يمثل الإمام الهادي ، والفيلسوف المشرع ، والحاكم العادل ، والزعيم السياسي ، والقائد الحربي ، والمصالح الاجتماعي ، والرائد الفكري ، وكذلك كان خلفاؤه من بعده .

الدين :

فهل أخذت الخطابة سبيلها إلى هذه الغايات ، وهل جعلت مجالها هذه الموضوعات ؟ سيرى الدارس المتتبع أن الخطابة في هذا العصر قد جالت في هذه الميادين جميعاً ، وإن كانت وجهتها الرئيسية وجهة دينية ، وكان غرضها الأساسي إقامة عمود الدين ، ورفع منار الإسلام ؛ فكانت هناك خطب دينية ، شملت العقائد والدعوة إلى الإسلام ، وتحسين الجهاد والحث عليه ، والتشريع

نما فيه من تبين الحدود وإقامة معالم الحلال والحرام ، والوعظ والإرشاد بما فيه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وحث على مكارم الأخلاق ، وتبشير وإنذار .

وقد خطب الخطباء في هذه الشئون جميعا ، فخطب الرسول في العقيدة والدعوة إلى الإسلام كثيراً^(١)، وخطب خالد بن الوليد في أهل الحيرة^(٢)، والجارود بن المعل في قومه من أهل البحرين عند الردة^(٣)، كما خطب الرسول^(٤) وعلى بن أبي طالب^(٥)، ورويفع بن ثابت الأنصاري عندما فتح جربة ببلاد المغرب^(٦) في التشريع والأحكام ، وأكثر الرسول من القول في الوعظ والإرشاد والدعوة إلى التقوى والعمل الصالح ، وتكلم فيه خلفاؤه من بعده ، وجماعة كبيرة من أصحابه^(٧)، وقام الرسول وأبو بكر وعمر وعلى وسعد بن أبي وقاص وكثير غيرهم بالحث على الجهاد في سبيل الله .

بين الخطابة الإسلامية والجاهلية

نستطيع أن نقف بالطابع العام الذي ساد موضوعات الخطابة الإسلامية ، مقارناً بطابع الموضوعات الجاهلية عند هذه الظواهر :

١ - ظهور الطابع الديني : من دعوة إلى الإسلام ، ودفاع عنه ، وبيان للعقائد ، كوجود الله ووحدانيته وقدرته وخلقه الكائنات ، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وسائر الغيبات ، وسن الشرائع

(١) الكامل لابن الأثير ٢/٢٧ ، ابن هشام ٣/٥٠ .

(٢) ابن كثير ٦/٣٤٣ .

(٣) ابن كثير ٦/٣٢٨ .

(٤) ابن هشام ٤/٥٨،٥٤ إعجاز القرآن ١١٠ .

(٥) ابن هشام ٤/١٩٠ .

(٦) ابن هشام ٣/٣٤٥ . أسد الغابة ٢/١٩١ .

(٧) ابن هشام ٤/٥٨،٥٤، ٢٥، ٢٨٠، ٢٤٦، الطبري ٢/٢٥٥، ٣/٣٣١، ٤/٨٤، ٥/٢٦،

١٢٦، ٤٣، ٢٧، صبح الاعشى ١/٢١٣، إعجاز القرآن ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١٢٢، البيان والتبيين

١/٢٤٣، ٢/٤٣، ابن كثير ٧/٨، ٩، ٣٧، ٥٦، ٢٢٦ - تاريخ دمشق ٣/٦ زهر الأداب ١/٣٥ .

العقد الفريد ٢/١٣١، ١٣٢ .

والأحكام المقيدة للناس والحكام ، المنظمة للحياة الشخصية وللمعاملات بين الناس ، المبينة للفرائض ، الموضحة للحلال والحرام ، وحث على الجهاد ، ووعظ للعامة ، وحض لهم على التزام حدود الشرع الخفيف ، وقصص فيه عبرة ومزدجر .

وإذا كان بعض الجاهلين قد اتجه في خطابه وجهة الوعظ ، فقد كان أولئك قلة ، وكان وعظهم وعظاً حائراً لم يهتد إلى أسبابه ، ولم يعرف غايته ، وكان كلامهم وليد خواطر وتأملات قلقة ساذجة ، لا منبعثاً عن إيمان قوى ثابت الدعائم ، وعقيدة راسخة واضحة الأهداف والمعالم .

٢ - ظهور اللون السياسي : من كلام وجدل ومشاورة وخطابة ، حول الخلافة والحكم والسلطان وسياسة الرعية وتنظيم العمران ، ونشر أسباب العدل والأمان ، وماتستدعيه حياة الاستقرار بين الناس . وكان اتساع الفتوح وامتداد الإسلام موسعاً لدائرة الخطابة السياسية ، فقد كان الخلفاء والأمراء يخطبون عند كل حادث وكل مشكلة ، وكانت الثورة على عثمان عملاً سياسياً منبعثاً عن تفكير سياسي . ولما ظهرت الطوائف والأحزاب برز النزاع السياسي جلياً ، ثم قوى واشتد ، وحملت الخطابة لونه وطابعه ، وكان الجهاد والوقائع والحرب وليدة الباعث الديني ، ولكنها ارتدت ثياب السياسة ، حين أصبح من أهدافها أن تقوم للإسلام دولة ، تعلن كلمة التوحيد ، وينتشر له سلطان ، يأوى إلى ظله المسلمون ، ويدين الناس بالولاء والطاعة لأمر المؤمنين .

فالخطابة السياسية التي لم يكن لها وجود متميز ولا ملامح واضحة في العصر الجاهلي ، والتي إن بدت ما كانت لتبدو إلا في صورة باهتة من الكلام حول النزاع البدوي ، يتراءى في ثوب المفاخرة والمنافرة . متشعاً بالعصبية القبلية ، أصبحت قسماً ضخماً من أقسام الخطابة الإسلامية ، واضح المعالم والقسمات ، مكتمل العناصر والأركان ، حتى يمكن أن ننسب الجانب الأكبر من النهضة الخطابية في الإسلام إلى الناحية السياسية .

٣ - اختفاء المفاخرات والمنافرات الجاهلية ، لأن الإسلام قضى على أسبابها ، وهجّن التفكير المفضى إليها ، والظاهرة الوحيدة من الفخر الجاهلي .

التي بدت فاخفت ، ونجمت فاندثرت ، هي ما كان من وفد تميم حين أقبلوا على الرسول ، فقالوا : يا محمد . جئناك نفاخر بك ، فائذن لشاعرنا وخطيبنا ، وقام خطيبهم عطارد ابن حاجب ، ففخر بالملك والمال والعزة ، والعدد والعدة ، وأنهم رعوس الناس ؛ فنادى الرسول خطيبه ، ثابت بن قيس بن الشماس ، وقال : قم . فأجب الرجل في خطبته ، فبادله فخرا بفخر ، ولكن فخرة كان إسلاميا ، بالرسول . والكتاب ، والإيمان ، والمهاجرين والأنصار ، وبنصرهم لله ورسوله وجهادهم في سبيله^(١). ثم لم يبرحوا موقفهم حتى نزعوا عن هذا الفخر ، لأنهم قد نزعوا عن الروح الجاهلية التي ساقتهم ، وأداروا ظهورهم للبواعث التي أملتهم .

٤ - اختفاء سجع الكهان ، ولانقصد بهذا اختفاء السجع نفسه ، وبصفة عامة ، ولكن نقصد ذلك النوع من السجع ، المنبعث عن تلك الدوافع الخاصة والذي كانوا به يتكهنون ويحكمون وينفرون ، ونقصد تلك الموضوعات التي ما كانت لتظهر إلا في ثنايا هذا الطراز من القول ، بما يحمل من أمارات ادعاء معرفة الغيب ، والتنبؤ بالمستقبل ، والكشف عن المجهول ، في ألفاظ غريبة مثيرة ، غامضة موهمة ، لها رهبة ووقع في النفس ، ولها إيحاء وجرس ، يذهب بنفوس السامعين وألبابهم مذاهب شتى .

٥ - قيام خطب الجهاد والحرب ، ذات الأهداف الإنسانية العامة ، والغايات الكريمة السامية ، من تحرير النفوس والعقول والأرواح من قيود الشرك والضلالة ، وإخراجها من ظلمات الوثنية والجهالة - مقام خطب الغارات والثأر ، وليدة النظرة الشخصية الضيقة ، والجهل والتفكير الفاسد المحدود .

٦ - اتساع مجال الخطابة الاجتماعية ، فقد أخذت دائرتها تنداح ، وتتجه في نواحي الحياة العامة وجهات مختلفة نافعة ، وتعرضت من التعاليم والآداب والشئون العامة إلى مالا غنى عنه للناس في مجتمع يتحضر ، ويأخذ خلفاؤه وولاته بأيدي عامته إلى ما فيه صلاح أمورهم .

(١) ابن هشام ٢٠٧/٤ .

٧ - الانتقال بالخطابة من النطاق المحلى المحدود إلى النطاق العام الشامل ،
واتساع الدائرة التى تجول فيها اتساعاً أُمّياً لاقبلياً ، والخروج بها إلى مجال التعبير
عن الأغراض السامية والفكر الراقى ، فى الكون وقيامه ، والوجود ونظامه ،
والاجتماع وعوامل بقاءه وارتقائه ، وما ينبغى أن يقوم عليه من أسباب ، ويسوده
من آداب ، والبعد بها عن الإسفاف بالانحصار فى مطالب العيش الرخيصة ،
فكان انقلاباً كبيراً أن ترتفع الخطابة لتعبر عن الحياة الانسانية فى صراعها الأدنى
والعقلى والعاطفى ، المحتدم حول المبادئ والمعتقدات والآراء ، ولاتسلف
لتصور الحياة الحيوانية ، فى صراع الدموى حول لقمة العيش وتنازع البقاء ،
وأن تسعى سعيها ليقوم الحق والخير والبر والفضيلة مقام الباطل والشر والإثم
والرذيلة .

٨ - اتساع المعانى الخطابية التى احتلتها هذه الموضوعات باتساع ميدان
الحياة الجديدة ، وكثرة المشاهدات والمعقولات وتنوعها ، متأثرة بتلك
الحضارة التى أخذت طريقها من البلاد الراقية التى امتزجت بالعرب ،
فاتسعت آفاقهم ، وعرفوا أحوال النفوس ، وتنوعت فنون القول عندهم ، مع
قوة تأثيرها ، وامتلاكها المشاعر والوجدان ، لوقوعها منها موقع العذب الزلال
من ذى الغلة الصادى .

وقد قوى هذا الفن وارتقى واتسع نطاقه بكثرة الحوار والجدل ، ومحاولة
الإقناع فى الدين والسياسة والخصومات المختلفة والشئون العامة ، فى ظل الحرية
الشاملة ، والنظر الصحيح .

ومن أجل ذلك كله لا يجد المرء مبرراً لمواقفه بعض الباحثين فيما ذهب إليه ،
من القول بأنه : « كان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتهم أكثر من اعتنائهم
بها فى إسلامهم »^(١) . بل إن ما قدمناه يؤيد غير ذلك ، ويؤكد علوّ شأنها
بالإسلام ، واتساع نطاقها وامتداد سلطانها فى هذا العصر ، ويدل على اهتمام
المسلمين فى هذا الصدر بالخطابة ، فعليها كان اعتمادهم فى كل مهم جليل ،
وإليها كان مفزعهم عند كل أمر خطير بين قلوبهم .

(١) بلوغ الأرب ١٥٢/٣

الرسالة والبلاغة :

ولكن محمداً قبل كل شيء ، جاء ليبليغ رسالات ربه ، فمهمته الأولى هي الرسالة والتبليغ ، وما هذه المهام الكثيرة المختلفة التي تولاها إلا فروع لتلك المهمة الكبرى ، ومعينة عليها ، نبئت على حواشيها ، ونشأت في خدمتها ، والرسالة أو التبليغ لا يتم إلا ببلاغة وبيان ، لأن البلاغ والتبليغ إيصال الكلام للسامعين على أحسن صورة ، وبما به يكون الإفهام والإقناع ، فلكل كلام وزن ، وكل قول بمقدار ، قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » . وقال عن نبيه داود : « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » .

ولهذا قال موسى لربه : « وأخى هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رِداءً يُصدّقني إني أخاف أن يكذبون » فإذا كانت الفصاحة والبلاغة مطلوبة في دعوة موسى وغيره من الأنبياء ، فهي في رسالة محمد أولى وأوجب ، وفي دعوته أعم وأرحب ، وقومه فرسان البيان ، وأئمة القول .

لهذا كان من أبرز صفات الرسول ، وأجلى آيات عظمته البلاغة البليغة ، وأنه في الذروة العليا من البيان وفصاحة اللسان ، وأن التبليغ البليغ كان السمة المشتركة بين أفانين قوله كله ، وما كان لنا أن نقول في هذا المقام بعد أن قال تعالى عنه ما قال ، وقال هو عن نفسه « أعطيْتُ جوامع الكلم » .

نشأ الرسول نشأة قرشية بدوية خالصة ، واسترضع في بني سعد بن بكر ، فاجتمعت له فصاحة اللسان واللغة ، واللهجة الجميلة الوقع ، يستريح لها السمع ، والمنطق العذب المفصل ، تجدد النفوس حلاوته ، قالت السيدة عائشة : « ما كان رسول الله ﷺ يَسْرُدُ كَسْرَدُكُمْ هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس إليه » .

كما اجتمعت له القدرة على تأليف القلوب ، وتحصيل الثقة ، إلى قوة الإيمان بدعوته ، وغيرته البالغة عليها ، وحرصه الشديد على نجاحها ، فاجتمع له بذلك كل أسباب البلاغ للرسول ، والنجاح للخطيب .

وثقة القوم بصدق الداعى أو الخطيب أساس إجابته ، و شرط لنجاح دعوته ، وقد كان رسول الله فى قومه مثلاً للأمانة والصدق ، حتى لقبوه فيما بينهم « الصادق الأمين » .

هذه هى الخطوط الأساسية العريضة البارزة التى تشير إلى شخصية الرسول ، وتومىء إلى نزعاته ، وقد بقى أن نصل بينها وبين خطابته ، وننظر آثارها فيها .

من خطب الرسول : خطبته فى عشيرته :

عندما نزل قوله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » أتى رسول الله الصُّفا ، فصعد عليه ، ثم نادى الناس ، فاجتمعوا عليه ، فقال : « يا بنى عبد المطلب ، يا بنى فهر ، يا بنى كعب . أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم . أكنتم مُصدِّقِي ؟ قالوا : نعم . ماجربنا عليك كذباً . قال : إني نذير لكم بين يَدَيَّ عذاب شديد »^(١).

فما سمعنا بمثل هذا الإيجاز ، ولا بمثل هذا الإعجاز ، لقد جعل من خطبته قضية منطقية ، ألزمهم بها الحجة ، وانقطع بها ما كان يمكن أن يقوم من جدل ، وكفى الله المؤمنين القتال .

فهذا قول المُبلِّغ ، الذى يحرص على ألا يقيم بينه وبين غايته حواجز من التكلف والصنعة ، والغموض والإعراب ، وسبيل الرسول ، الذى يريد أن يصل إلى قلوب سامعيه من أقرب سبيل ، ويبلغ رسالته كأحسن ما يكون التبليغ . هذا قول رجل يتذرع بما عرف قومه من صدقه وأمانته للتأثير فيهم ، وترغيبهم فى دعوته ، وحملهم على موافقته .

(١) البداية والنهاية ٣/ ٣٨ .

أولى خطبه العامة :

وخطب بمكة عندما نزل قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن الرائد لا يكذبُ أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة ، والله لتموثن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءاً ، وإنها لجنةٌ أبداً ، أو لنارٌ أبداً^(١).

ألفاظ جزلة ، وعبارات قوية ، رائعة التقسيم ، تسمع فيها صوت البشير النذير ، يؤكد قوله بألوان من التأكيد ، وصُورٌ أخاذاً ، متنوعة ، متتابعة ، وتآلف بين اللفظ والمعنى ، فى إيجاز هو الإعجاز ، مع الوضوح ، والسلاسة ، والعدوبة ، والطبيعة فى اتخاذ الحلية اللفظية ، فأنت تتأثر بها ، ولا تكاد تلحظها ، لأنها الحلية التى تليق بالإنسان العظيم ، فالجمل متساوية ، والمقابلة فيها متعددة ، ولكنها غير مصنوعة ولا متعمدة ، وفيها السجع والازدواج اقتضاها المقام ، فازدان بهما الكلام ، ثم هو يتكىء فى استمالتهم إلى أسباب من المودة والثقة ، قامت من قبل بينه وبينهم ، وألوان من التحبب العاطفى أثرت عنه ، يفتح بها مغاليق قلوبهم .

فهذه الصفات الكلامية ليست إلا ظلاً للملامح البارزة فى شخصية الرسول ، القادر على تبليغ رسالته ، قوية واضحة مؤثرة طبيعية ، فى إطار من الرفق بقومه ، والمودة لهم ، والثقة التى وجبت له منذ بعيد بينهم ، وقد قدم لهذه الخطبة الوجيزة بكلمات كأحسن ما تكون المقدمات ، صلة بالموضوع ، وضمائناً لقبوله ، وإن شئت فقل : إنه وضع أساس الاقتناع بدعوته بتلك الكلمات القلائل .

(١) الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٧ .

ولن تجد قولاً كهذا يدل على قائله ، وينتسب إلى صاحبه ، ولو أنك عرضته على عالم باللسان العربى ، وبشيء من تاريخ الرسول ، فسألته : من تظن قائل هذا ؟ لأجابه دون تردد : هذا دون ريب قول خاتم المرسلين .

وعلى يَدَيَّ هذه المواهب النبوية ، وباهر الآيات الكتابية تخرج البلغاء ، وعنهما أخذت القوانين والأصول البيانية والبلاغية ، وفى مثل هذه الخطبة القصيرة يتمثل بعض الأسس الخطابية الهامة التى ينادى بها المحدثون ، ويذكرون غنائها فى عالم الخطابة ، وأثرها فى نجاحها ، ومن ذلك مايقوله : Genung : « ويدخل فى نطاق العلاقة بين الخطيب ومستمعيه مدى حكمته فى كيف يتسلل إلى العواطف والدوافع التى لها أكبر الأثر فيهم ؛ فيصل بذلك إلى نطاق أفكارهم ، وأن يقدر مستوياتهم وذكاءهم ، وأن يضرب على الوتر الحساس ، الذى يمس مايتعاطفون به ، ويستجيبون له »^(١).

خامساً : آداب الرسائل :

لم يتوفر على دراسة هذا الفن عند الرسول باحث عربى ، ولم نجد بين أئدينا إلا المادة الخام لتلك الدراسة التى جمع فيها أحمد زكى صفوت رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام من المصادر المختلفة فى واد واحد وسمى مؤلفه « جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة »^(٢)

ومن نماذجها :

١ - كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين المهاجرين والأنصار واليهود بالمدينة .

لما قرَّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة ، كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَّع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط عليهم ، واشترط

Working Principles of Rhetoric p.648

(١)

(٢) الطبعة الأولى ١٩٣٧ م - ط الحلبى .

لهم ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رباعتهم يتعاقلون^(١) بينهم ، وهم يَفْدُونَ عَانِيَهُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ^(٢) بين المؤمنين ، وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تُفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تُفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو الحرث على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تُفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو النجار على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تُفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تُفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو النبيت على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تُفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين . وبنو الأوس على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تُفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بين المؤمنين .

وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً^(٣) بينهم أن يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ

(١) رباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو رابع عليها ، أي ثابت مقيم ، ويقال : تركناهم على رباعتهم بفتح الراء وكسرهما ، ورباعهم بفتحها ، وربعاتهم بالتحريك ، وربعاتهم ككتف ، وربعاتهم كعنبه : أي على حالة حسنة من استقامتهم وأمرهم الأول ، لا يكون في غير حسن الحال ، والمعنى : إنهم على أمرهم الذي كانوا عليه . والتعاقل : تفاعل من العقل (وعقل الفتيل عقلا : أعطى ديتة) والمعاقل : جمع معقلة (بضم القاف) وهي الدية ، ومعنى يتعاقلون معاقلهم الأولى : أي يكونون على ماكانوا عليه في الجاهلية من أخذ الديات وإعطائها ، أو على مراتب آبائهم ، وأصله من ذلك .

(٢) العاني : الأسير . والقسط : العدل .

(٣) المفرح : الذي قد أفرحه الدين والغرم : أي فدحه وأنقله ، ولايحد قضاءه (ومعنى أفرحه هنا : سلبه الفرح) . ويروى : « مفرجا » بالجيم . والمفرح : هو الرجل يكون في القوم من غيرهم =

عَقْل ، ولا يَخَالِفُ مؤمن مَوْلى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بَغَى منهم ، أو ابتغى دَسِيسَةً ظلم ، أو لَئِيمٍ أو عُذْوَانٍ أو فسادٍ بين المؤمنين ، وأن أَيْدِيَهُمْ عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يَقْتُلُ مؤمن مؤمناً في كفر ، ولا يُنْصَرُ كافر على مؤمن ، وأن ذمة الله واحدة . يُجِيرُ^(١) عليهم أَدْنَاهُمْ ، وأن المؤمنين بعضهم مَوَالِي بعض دون الناس .

وأنه من تَبِعَنَا من يَهُودَ^(٢)، فإن له النصر وَالْأَسُوءَ^(٣) غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم ، وأن سَلِمَ^(٤) المؤمنين واحدة ، لا يسالِمُ مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء^(٥) وَعَدْلٍ بينهم ، وأن كل غازية غَزَتْ معنا يَغْتَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً^(٦)، وأن المؤمنين يُبَيِّ^(٧) بعضهم على بعض بما نال دمائهم في سبيل الله ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْيٍ وأقومه ، وأنه لا يُجِيرُ مشرك مالا لقريش ، ولا نَفْساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعتَبَطَ^(٨) مؤمناً قَتْلًا عن يَمِينِهِ فَإِنَّهُ قَوْدٌ^(٩) به إلى أن يَرْضَى وَلِيُّ المقتول ، وأن المؤمنين عليه

= فيلزمهم أن يعقلوا عنه . وقيل : هو المثل بحد دية أو فداء أو غرم . وقيل : أن يسلم الرجل ولا يوالى أحداً ، فإذا جنى جناية كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لاعاقلة له . وقيل : هو الذى لا مال له . وقيل : هو الذى لا عشيرة له . وقيل : هو القليل يوجد في فلاة من الأرض ، فهو يودى من بيت المال ولا يطل دمه ، وكان الأصمعى يقول : هو مفرح بالحاء وينكر قولهم مفرح بالخير .

(١) أى إذا أجاز واحد من المسلمين حر أو عبد أو امرأة واحداً أو جماعة من الكفار أو خفرهم وأمنهم جاز ذلك على جميع المسلمين ، لا يقض عليه جواره وأمانه . وفي الأصل : « يخبر عنهم » وهو تصحيف . (٢) يقال : « يهود » . بدون ألف ولام ، وهو اسم للقبيلة وعليه قول الشاعر : « أولئك أولى من يهود بمدحة » . وقالوا : « اليهود » . فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين . (٣) الأسوة بالضم والكسر : القدوة . ويقال : القوم أسوة في هذا الأمر : أى حالهم فيه واحدة . (٤) السليم بكسر السين وفتحها : الصلح ، ويؤنث ، والمعنى : لا يصاح واحد دون أصحابه ، وإنما يقع الصلح بينهم ، وبين عدوهم باجتماع مائهم على ذلك . (٥) السواء : العدل والنصفة كالسوية ، ومنه قوله تعالى : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » أى عدل . (٦) أى يكون الغزو بينهم نوباً ، فإذا خرجت طائفة ثم عادت ، لم تكلف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها .

(٧) أباءه به : سواه به . من البواء بالفتح وهو السواء والتكافؤ . يقال : القوم بواء : أى سواء وما فلان ببواء لفلان : أى ما هو بكفء له .

(٨) أى قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، وأصله من اعتبط الذبيحة إذا نحرها من غير داء ولا كسر ، وهى سمينة فتية . (٩) القود : القصاص أى فإن القاتل يقاد به ويقتل .

كافة ، ولا يجلّ لهم إلا قيام عليه ، وأنه لا يجلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثاً^(١) ولا يُؤوية ، وأنه من نصّره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرّف ولا عدل^(٢) ، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مرّده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد .

وأن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ^(٣) إلا نفسه وأهل بيته ، وأن لِيَهُودِ بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن لِيَهُودِ بنى الحرث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى جُشَم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وأن جَفَنَةَ بَطْنٍ من ثعلبة كأنفسهم ، وأن لبنى الشظنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن البر^(٤) دون الإثم ، وأن مَوَالِي ثعلبة كأنفسهم ، وأن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح ، وأنه من قَتَلَ فبنفسه قَتَلَ وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن الله على أبرّ هذا^(٥) ، وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يثرب حرام جَوْفُهَا لأهل هذه الصحيفة^(٦) وأن الجار كالنفس غير مُضَارٍ^(٧) ، ولا آثم ، وأنه لا تُجار حُرْمَةٌ إلا بإذن أهلها .

(١) أى أن ينصر جانبا ويحيره من خصمه ويحول بينه وبين أن يقتصر منه .

(٢) الصرف : التوبة . والعدل : القدية . وقيل الصرف : القيمة . والعدل : المثل ، وأصله في الفدية يقال : لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا ، أى لم يأخذوا منهم دية ، ولم يقتلوا بقتيلهم رجلا واحدا : أى طلبوا منهم أكثر من ذلك ، ثم جعل بعد في كل شيء حتى صار مثلا فيمن لم يؤخذ منه الشيء الذى يجب عليه وألزم أكثر منه . (٣) أوتغ : أهلكه ، وألقاه في بلية .

(٤) أى أن البر والوفاء ينبغى أن يكون حاجزا عن الإثم . (٥) أى أن الله وحزبه للمؤمنين على الرضا . (٦) أى حرم لهم لا يجلّ انتهاكه . (٧) ضارّه ضراراً ومضارة : ضره . والحرمة : ما لا يجلّ انتهاكه .

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجار^(١) يُخاف فسادَه ،
فإن مَرَدَّه إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما في
هذه الصحيفة وأبرّة ، وأنه لأتجار قريش ولا مَنْ نَصَرَهَا ، وأن بينهم النصّر
على من ذَهَبَ يَثْرِبَ ، وإذا دُعُوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه ، فإنهم يصلحونه
ويلبسونه ، وأنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في
الدين ، على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وأن يهود الأوس
مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرّ الحسن من أهل
هذه الصحيفة ، وأن البرّ دون الإثم ، لا يكسب إلا على نفسه ، وأن الله على
أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّة ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ،
وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو آثم ، وأن الله جازٍ
لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله »^(٢).

(سيرة ابن هشام ١ : ٣٠١)

أدب الحكمة

« فن المثل »

انفرد من بين كتب الأحاديث صحيح الترمذي بتخصيصه باباً للأمثال ،
بينما كانت كتب التراث الأدبي والبلاغي تورد أمثالاً للرسول الكريم مختارة من
بين أحاديثه ، وعلى كل حال ، فليس ما أفردته الترمذي هو كل أمثال الرسول
الكريم ، لأن كلامه كله حكمة

(١) الاشتجار : التخالف والتنازع .

(٢) وجاء في الروض الأنف للسهيل شرح السيرة النبوية لابن هشام : « وقال أبو عبيد في كتاب
الأموال : إنما كتب رسول الله ﷺ هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذ كان الإسلام
ضعيفاً ، قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا
الكتاب النفقة معهم في الحروب » .

ونورد هنا نماذج من الترمذی وشرح الأحوذی له^(١)

أبواب الامثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

باب مَا جَاءَ فِي مَثَلِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السُّعْدِيُّ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ
الْوَلِيدِ عَنْ بُجَيْرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ جُبَيْرِ ابْنِ نُفَيْرٍ عَنِ النَّوَاسِ
بْنِ سِمْعَانَ الْكَلَابِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا عَلَى كَنْفَى الصِّرَاطِ دَارَانِ لَهُمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتَةٌ عَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ
وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالْأَبْوَابُ الَّتِي عَلَى كَنْفَى الصِّرَاطِ حُدُودُ
اللَّهِ فَلَا يَقَعُ فِي حُدُودِ اللَّهِ حَتَّى يُكْشَفَ السُّتُرُ وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعِظُ
رَبِّهِ * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
يَقُولُ سَمِعْتُ زَكَرِيَّا بْنَ عَدَى يَقُولُ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ الْفَزَارِيُّ خُذُوا عَنْ بَقِيَّةٍ مَا
حَدَّثَكُمْ عَنْ الثَّقَاتِ وَلَا تَأْخُذُوا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ مَا حَدَّثَكُمْ عَنْ الثَّقَاتِ
وَلَا غَيْرِ الثَّقَاتِ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي
هَلَالٍ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمًا فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلِي
يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا فَقَالَ أَسْمَعُ سَمِعْتُ أَذُنَكَ وَاعْقِلْ عَقْلَ
قَلْبِكَ أَلَمَّا مَثَلُكَ وَمَثَلُ أُمَّتِكَ كَمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخَذَ دَارًا ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ثُمَّ جَعَلَ
فِيهَا مَائِدَةً ثُمَّ بَعَثَ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرَّسُولَ
وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ فَاللَّهُ هُوَ الْمَلِكُ وَالْدَّارُ الْأَسْلَامُ وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ وَأَنْتَ
يَا مُحَمَّدُ رَسُولُ فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الْأَسْلَامَ وَمَنْ دَخَلَ الْأَسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ

(١) عارضة الأحوذی بشرح الترمذی لابن عربی المالکی ط دار الكتب العلمية بيروت - الجزء
العاشر من ص ٢٩٥ - ٣٢٥

وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مَا فِيهَا وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادٍ أَصَحَّ مِنْ هَذَا * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ سَعِيدُ بْنُ أَبِي هَلَالٍ لَمْ يُدْرِكْ جَابِرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ أَبِي ثَمِيمَةَ الْهَجِيمِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءُ ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى خَرَجَ بِهِ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ فَأَجْلَسَهُ ثُمَّ خَطَّ عَلَيْهِ خَطًّا ثُمَّ قَالَ لَا تَبْرَحَنَّ خَطُّكَ فَإِنَّهُ سَيَنْتَهِي إِلَيْكَ رِجَالٌ فَلَا تَكَلِّمُهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَلِّمُونَكَ قَالَ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ أَرَادَ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي خَطِّي إِذَا أَتَانِي رِجَالٌ كَأَنَّهُمْ أَلْزَطُ أَشْعَارُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ لَا أَرَى عَوْرَةَ وَلَا أَرَى قِشْرًا وَيَنْتَهَوْنَ إِلَيَّ لَا يُجَاوِزُونَ الْخَطَّ ثُمَّ يَصُدُّونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَكِنِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَنِي وَأَنَا جَالِسٌ فَقَالَ لَقَدْ أَرَانِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ فِي خَطِّي فَتَوَسَّدَ فَخِذِي فَرَقَدَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَقَدَ تَفَحَّ فَبَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَسِّدٌ فَخِذِي إِذَا أَنَا بِرِجَالٍ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ اللَّهُ أَعْلَمُ مَا بِهِمْ مِنَ الْجَمَالِ فَأَتَتْهُوَ إِلَيَّ فَجَلَسَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالُوا بَيْنَهُمْ مَا رَأَيْنَا عَبْدًا قَطُّ أَوْتَى مَثَلُ هَذَا النَّبِيِّ هَذَا النَّبِيُّ إِنْ عَيْنِيهِ ثَنَامَانِ وَقَلْبُهُ يَقْطَانُ أَضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا مَثَلُ سَيِّدِ بَنِي قَصْرٍ ثُمَّ جَعَلَ مَادُبَةً فَدَعَا النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ فَمَنْ أَجَابَهُ أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَبَ مِنْ شَرَابِهِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقِبَهُ أَوْ قَالَ عَذَّبَهُ ثُمَّ ارْتَفَعُوا وَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُ مَا قَالِ هَؤُلَاءِ وَهَلْ تُذَرِي مَنْ هَؤُلَاءِ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هُمْ الْمَلَائِكَةُ فَتَذَرِي مَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبُوا الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَنَى الْجَنَّةَ وَدَعَا إِلَيْهَا عِبَادَهُ فَمَنْ أَجَابَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عَاقِبَهُ أَوْ عَذَّبَهُ

* قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَأَبُو ثَمِيمَةَ هُوَ الْهَجِيمِيُّ وَاسْمُهُ طَرِيفُ بْنُ مُجَالِدٍ وَأَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ وَاسْمُهُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلٍّ وَسَلِيمَانُ التَّيْمِيُّ قَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَنْهُ مُعْتَمِرٌ وَهُوَ
سُلَيْمَانُ بْنُ طَرْحَانَ وَلَمْ يَكُنْ تَيْمِيًّا وَإِنَّمَا كَانَ يَنْزِلُ بَنِي تَيْمٍ فَتَنَسَّبَ إِلَيْهِمْ قَالَ
يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ مَا رَأَيْتُ أَخَوْفَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ * بَابُ مَا جَاءَ فِي
مَثَلِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانٍ
حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ بَصْرِيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا
وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا وَيَقُولُونَ لَوْلَا
مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ فِي الْبَابِ عَنْ أَبِي لِي كَعَبٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا
حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ * بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا
أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّ أَبَا سَلَامٍ حَدَّثَهُ أَنَّ
الْحَرِثَ الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ وَكَرِيًّا بِخَمْسِ
كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا وَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يُطِيعَ بِهَا
فَقَالَ عِيسَى إِنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ لَتَعْمَلَ بِهَا وَتَأْمُرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ
يَعْمَلُوا بِهَا فَأَمَّا أَنْ تَأْمُرَهُمْ وَإِنَّمَا أَنَا أَمْرُهُمْ فَقَالَ يَحْيَى أَخَشَى أَنْ سَبَقْتَنِي بِهَا أَنْ
يُخَسَفَ بِي أَوْ أُعَذَّبَ فَجَمَعَ النَّاسُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَمْتَلُوا الْمَسْجِدَ وَتَعَدُّوا
عَلَى الْكُشْرِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَأْمُرُكُمْ أَنْ
تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوْ لَهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِنْ مَثَلٌ مِنْ أَشْرِكٍ بِاللَّهِ
كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصٍ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا
عَمَلِي فَأَعْمَلْ وَأَدِلِّي فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ
يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ وَإِنْ اللَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَآذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تُلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ
يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ وَأَمَرُكُمْ بِالصِّيَامِ فَإِنْ مَثَلُ
ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عَصَابَةٍ مَعَهُ صَرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يَعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ
رِيحُهَا وَإِنْ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ وَأَمَرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنْ
مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرَبُوا عُنُقَهُ
فَقَالَ أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَقَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ وَأَمَرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ

فَإِنْ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعاً حَتَّى إِذَا أُنِيَ عَلَى
 حَصْنٍ حَصِينٍ فَأَخْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا
 بِذِكْرِ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ
 وَالْجِهَادُ وَالْهَجْرَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَ
 الْأِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَ مَنْ أَدْعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُنَا جَهَنَّمَ
 فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ قَالَ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَأَدْعُوا بِدَعْوَى
 اللَّهِ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ قَالَ
 مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْحَرِثِيُّ الْأَشْعَرِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَلَهُ غَيْرُ هَذَا الْحَدِيثِ حَدَّثَنَا
 مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي
 كَثِيرٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ أَبِي سَلَامٍ عَنِ الْحَرِثِ الْأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
 نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ وَأَبُو سَلَامٍ
 الْحَبَشِيُّ أَسَمُهُ مَمْطُورٌ وَقَدْ رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ *
 بَابُ مَا جَاءَ فِي مَثَلِ الْمُؤْمِنِ الْقَارِئِ لِلْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقَارِئِ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا
 أَبُو عَوَانَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلُ
 الْمُؤْمِنِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَثْرِجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ
 الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الشَّمْرِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي
 يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ
 الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ رِيحُهَا مُرٌّ وَطَعْمُهَا مُرٌّ * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ
 حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ أَيْضاً حَدِيثاً الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَّالُ
 وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ
 الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزُّرْعِ
 لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُفِيئُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلَاءٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّجَرَةِ
 الْأَرْزُ لَا تَهْتَزُ حَتَّى تُسْتَحْصَدَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ
 مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ دِينَارٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهُوَ مِثْلُ الْمُؤْمِنِ
 حَدَّثُونِي مَا هِيَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا
 النَّخْلَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هِيَ النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَقُولَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَحَدَّثْتُ
 عُمَرَ بِاللَّذِي وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لَأَنْ يَكُونَ قُلْتُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ
 لِي كَذًا * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* بَابُ مِثْلِ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ ابْنِ الْهَادِ عَنْ
 مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 ﷺ قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ خُمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ
 يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ
 الْخُمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا وَفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرٍ * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا
 حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ الْفَرَسِيُّ عَنْ ابْنِ الْهَادِ
 نَحْوَهُ بَابُ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ يَحْيَى الْأَبْعُ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَاتِيِّ عَنْ أَنَسٍ
 قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ أُمَّتِي مِثْلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ قَالَ
 وَفِي الْبَابِ عَنْ عَمَّارٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَابْنِ عُمَرَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ
 مِنْ هَذَا الْوَجْهِ قَالَ وَرَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يُثَبِّتُ حَمَّادُ بْنُ
 يَحْيَى الْأَبْعُ وَكَانَ يَقُولُ هُوَ مِنْ شُيُوخِنَا * بَابُ مَا جَاءَ فِي مِثْلِ ابْنِ آدَمَ وَأَجَلِهِ
 وَأَمَلِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ الْمُهَاجِرِ
 أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَلْ تَذَرُونَ مَا هَذِهِ وَرَمَى
 بِحَصَاتَيْنِ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَاكَ الْأَمَلُ وَهَذَاكَ الْأَجَلُ * قَالَ
 أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى
 حَدَّثَنَا مَعْنٌ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 قَالَ إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلَا مِنَ الْأَمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ
 وَإِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَلَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ إِلَى
 نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيَرَاطٍ قِيَرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ عَلَى قِيَرَاطٍ قِيَرَاطٍ فَقَالَ مَنْ

يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِيَرِاطٍ قِيَرِاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيَرِاطٍ
 قِيَرِاطٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيَرِاطَيْنِ
 قِيَرِاطَيْنِ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلُ عَطَاءً قَالَ هَلْ
 ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّهُ فَضَّلِي أَوْتِيَهُ مَنْ أَشَاءَ هَذَا حَدِيثٌ
 حَسَنٌ صَحِيحٌ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَّالُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ قَالُوا حَدَّثَنَا
 عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ إِنَّمَا النَّاسُ كَابِلٌ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً * قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا
 حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ
 بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهَذَا الْأَسْنَادِ نَحْوَهُ وَقَالَ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً أَوْ قَالَ لَا تَجِدُ
 فِيهَا إِلَّا رَاحِلَةً حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ
 الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ
 رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَتِ الدُّبَابُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ
 وَأَنْتُمْ تَقْحُمُونَ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمثال

« شرح الأحوذى »

أَلْمَثْلُ بفتح الميم وَالْمَثْلُ عبارة عن تشابه المعانى المعقولة وَالْمَثْلُ بكسر الميم واسكان الشاء عبارة عن تشابه الاشخاص المحسوسة ويدخل أحدهما على الآخر وقد أفضنا فيها فى المشكلين وفى قانون التأويل مايكفى لكل امرئ له قلب فى رى الغليل وقد ضرب الله فى كتابه الامثال وضربها النبى عليه السلام وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل ولم يصح ولم أر أحدا من أهل الحديث صنف فأفرد لها بابا غير أبى عيسى والله دره لقد فتح بابا أو بنى قصرا أو دارا ولكن اختط خطا صغيرا فنحن نقنع به ونشكره عليه وجملة ما ذكر أربعة عشر حديثا

الحديث الأول

روى جبير بن نفير عن النواس بن سميان أن الله سبحانه ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفى الصراط دور فيها أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو إلى دار السلام الآية والابواب حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوقه واعظ ربه (قال ابن العربي رحمه الله) ف ضرب مثلا لخمس صراط أبواب ستور داع على رأس الصراط داع من فوقه (فالأول) هو الصراط مثل عن الطريق الجادة لكل معنى مستقيم كالهدى والدين والايان بالله والعدل ونحو ذلك وهو عبارة عما عليه من الكتاب والسنة دليل وليس للبدعة والمعصية إليه سبيل مما عليه سلف الأمة وشهدت له شواهد العبرة يفضى بصاحبه إلى التوحيد ويعينه فى الطاعة على بذل لمجهود (الثانى) الأبواب وهى تحتل فى التمثيل معانى كثيرة لكنه قد فسرهما بالحدود فتعينت من جملة المحتملات فى الحدود (الثالث) قوله مفتحة وإنما وصفها بالفتح لأن الشهوات إليها شارعة والنفس نحوها نازعة والسبيل سهلة لينة كما روى أن الجنة حزن

بربوة وأن النار سهل إشهوة . (الرابع) الستور وهى مثل لكل حاجز عن الحرام حاجب عن المحظور من دين ومروءة وحياة وهمة وعار وعفة (الخامس) الداعى وهو مثل للنبي وخلفائه . (السادس) الداعى الذى من فوقه وهو الواعظ إما من تهديد وإما من رجر باستيفاء الحدود وإما من خوف اليوم المشهود .

الحديث الثانى

حديث جابر فى تمثيل الملائكة له المثل بالله والدار والبيت والمائدة وفيه فائدتان (إحداهما) ان الله ضرب المثل تارة بالطريق إلى الاسلام وتارة بالدار والمعنى متقارب لأن الطريق سبب إلى الدار والدار مشتملة على البيت والبيت يحتوى على المائدة وعلى كل مقصود فى المنفعة والبيت (الثانية) أنه جعل المقصود المائدة وهو مايؤكل ويشرب رداً على الصوفية الذين يقولون لا مطلوب فى الجنة إلا الوصال ونعم لا وصل لنا إلا باقتضاء الشهوات الجسمانية والنفسانية والمعقولة والمحسوسة وفى الجنة جماع ذلك

الحديث الثالث

رواية ابن مسعود فى الخروج مع النبي عليه السلام والخط الذى خط له . فؤده سبع (الأولى) وضع النبي عليه السلام عليه الخط علامة للتحصين عليه من الجزع والضرر فلم يقدر أحد من الخلق على ضره ولا على البلوغ إليه (الثانية) . منعه من الكلام معهم لأنه حجر بينهم وبينه والكلام خلطه واتصال وهو أول الضرر أو النفع (الثالثة) قوله كأنهم الزط أشعارهم وأجسادهم لا أرى عورة وكان هؤلاء الجن . والزط جيل من السودان من أهل السنة (١) وتقول فيهم تميم سط وهى كلمة أعجمية وعلى هذه الهيئة رأى تميم الدارى الجساسة دابة أهلك كثير الشعر لا يعرف قبلها من وبرها (الرابعة)

(١) الزط معرب جت وهم قوم يعيشون الآن فى بلاد البنجاب .

دخل الرجال الحسان الخط لأنهم ملائكة لم يحجز عنهم (الخامسة) المأدبة طعام يدعى إليه الناس ابتداء والأطعمة معلومة وقد بينها فيما قبل بأسبابها (السادسة) قوله ودعا الناس إلى طعامه وشرابه وهذا مثل للثواب كما تقدم بيانه (السابعة) قوله ومن لم يجب عاقبه قالت الحكماء من دعونه فلم يجبنا فله الفضل علينا فان جاءنا فلنا الفضل عليه . وهذا صحيح في النظر فأما حكم العبد مع المولى فكما قال الله تعالى في هذا المثل انه إذا لم يجب الدعوى استحق العقوبة .

الحديث الرابع

روى سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله حديث اللبنة إذا تأمل المتفطن هذا الحديث رأى أن قدر النبي الله ﷺ في الخلق أعظم رفعا وأكرم قدرا من لبنة في حائط . والحديث صحيح ومعناه مما تكررت على الأيام فيه بقاء الانام ولم ألف عند أحد به طريقا إلى الاعلام فرجعت إلى نفسي القاصرة فظهر إلى فيه والله أعلم أن اللبنة كانت من الأس ولولا كون هذه اللبنة في هذا الأس لانقض المنزل لانها القاعدة والمقصود

الحديث الخامس

حديث الحارث بن الحارث الأشعري في أمر الله ليحيى بن زكريا بالعشر كلمات لم يرو غيره ولا رواه غيره رواه عنه أبو منظور الحبشي حدث به عنه زيد بن سلام حسن صحيح . وقال ابن عبد البر لم يحدث به من ابن سلام إلا معاوية بن سلام والترمذي قد رواه صحيحا كما ذكرناه (الكلمة الأولى) أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وهي المبدأ والغاية والفائدة في الخلقة والخلقة في الدنيا والآخرة فما خلق الله الجن والانس إلا ليعبدوه وكذلك كان فانه عبده جميعهم موحدتهم مؤمنهم وكافرهم كل يسبح بحمده ويكون فيما سبق من عنده وينفذ قضاؤه في عبده والآدمي كله بذاته وصفاته وأفعاله كلها خلق الله

فإذا وجدت فيه له أى موافقة لأمره فقد اطرده النظام . قام الحق على التمام وان وجدت لغيره أى مخالفة لأمره فهي له من جهة قضائه وإرادته التكليف والثواب والعقاب إنما يتعلق بالأمر والنهي لا بالإرادة والقضاء ولما كان وجود ذلك من المخالفات بذات العبد مذموماً ضرب الله لها مثلاً خدمة عبدك لغيرك وهو تحت إحسانك ورفقك وهو عند الناس مذموم فلم يكونون مع الله كما يكرهون أن يكونوا مع غيره فيجعلون لله ما يكرهون إن هذا إلا إفك افتروه وأعانهم عليه الشيطان . (الكلمة الثانية) الصلاة قد بينا في التفسير من معاني الصلاة المتعلقة بها فوائد تكفى الراغب فليرجع إليها في العرفان عليها ومن فوائدها أنها مناجاة الله واستقباله فمن آدابها ألا يلتفت عند ذلك وليقبل على ما هو فيه وكان رسول الله ﷺ يلتفت في الصلاة يمينا وشمالا كما تقدم من غير أن يخرج عن القبلة . وكان أبو بكر الصديق لا يلتفت في صلاته مقبلاً على ما كان بصدده وفيما بعهدته ما التزمه في إحرامه . واختلف في التفات النبي عليه السلام على ثلاثة أقوال (الأول) أنه لم يصح (الثاني) أنه كان يفعل ذلك رفقا بالامة لعلمه بأنها ستلتفت في صلاتها فيكون ذلك تسلياً لها (الثالث) أنه كان يلتفت تطلعاً إلى ما يفعل من معه واعتراض على هذا لأنه قد قال ﷺ في الصحيح ولا تسبقوني يعنى بأفعال الصلاة فاني أراكم من وراء ظهري وقيل كان في بعض الأوقات تخلق له الرؤيا فيدرك ما وراءه كما يدرك ما أمامه وفي بعضها كان على حكم الآدمية فيلتفت حينئذ لتحصيل ما كانوا يفعلون . والثاني من هذه الأقوال أقربها إلى المعنى (الكلمة الثالثة) الصيام تقدم في كتاب الصيام فيه بدائع وقد ضرب يحيى له مثلاً في طيبة المسك وكذلك قال محمد ﷺ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . والحكمة في ذلك والله أعلم أن الصائم مكتوم الفعل إذ الصوم فعل لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه فينشر الله عليه ريح المسك معلماً ملائكته وأوليائه أنه صائم مباهاة به وتكرمة له وهذا كله جار على الأصل في الشريعة فإن المكروه في الدنيا محبوب في الآخرة ومضرة الدنيا منفعة الآخرة ونصب الدنيا راحة الآخرة وهكذا إلى آخر الرزمة خصلة خصلة وقصة قصة (الكلمة الرابعة) الصدقة إن الله تعالى خلق للعبد بدنه وماله وجعل المال تابعا للبدن خادماً له ومنفعة ورياشاً في المعاش ومعونة

واعلم العبد ذلك قولاً وأراه آياه معانية في نفسه فلما استقرت هذه المعرفة عند العبد ركب فيه الحرص والطمع وغشاه حجاب الأمل والجشع فقلب القوس ركوة وجعل البدن خادماً للمال فيسعى به في جمع المال وتأليفه واختزانه ويقطع الحظوظ منه والحقوق فإذا به قد عاد عليه وباله وساء لذلك مآله وحصل في ربة المطالبة وأسر المخالفة فلا يحله من ذلك الا بذلة ولا يفكه الا إعطاؤه . وقوله ولذلك ضرب الله مثلاً من كان في أسر العدو فانه يفدى نفسه باخراجها من الاسر بجميع ما في يديه من ملك وهو مع الحقوق إلى ذلك أحوج وهو عليه أوكد (الكلمة الخامسة) ان تذكروا الله وذكره هو الثناء عليه بما هو أهله والتضرع إليه فيما يؤمل منه وأشرفه ذكره بكلامه وقد بينا من ذلك في كتاب التفسير مالا يكاد يوجد له نظير والآثار في ذلك كثيرة هو شرف الانسان وعصمة من الشيطان إذا ذكر العبد ربه غفر على كل الاحوال ذنبه وقد بالغ فيه سبحانه حتى جعله خيراً من الصدقة ومن الجهاد وقال النبي عليه السلام وأنا آمركم بخمس (الكلمة الأولى) السمع وليس المراد به الادراك الحسى وإنما يراد به القبول كما قال تعالى (الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) وهو أصل الدين ومبدأ الخيرات (الكلمة الثانية) الطاعة فان المخالفة تعم كل ذنب وتشمل كل كبير وصغير من الخطايا وهي فائدة فانه إذا قبل الامر والنهى كان علامة القبول وفائدته الامتثال والانكفاف (الكلمة الثالثة) الجهاد وهو على قسمين خاص وعام ومن جهة أخرى قاصر ومتعد فالخاص القاصر جهاد المرء لنفسه الامارة بالسوء بكفها عن الشهوات والبطالات والمخلفات والغفلات والعام المتعدى جهاد الاعداء اما كافر يصرفه إلى دين الاسلام واما عاص يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر (الكلمة الرابعة) الهجرة وقد بينها في اسم المهاجر في تفسير القرآن وهي على الاقسام المذكورة هنالك (الأولى) هجرة الذنوب كفراً وفسقاً (الثانية) هجرة الوطن لأنه دار كفر بأن يكون أسلم فيه وإما ان يكون دار خوف وظلم واما لأنه موضع غلب فيه الحلال الحرام واما لأنه مقر بدعة واما لكثرة المناكير (الكلمة الخامسة) الجماعة وهي لزوم الطريقة التي يتمسك بها الناس ولا يكون المرء شاذاً خارجاً عن منهاجهم وهذه الجماعة هي الصحابة والتابعون والاخيار المسلمون في جادة الدين ومنهاج الحق المبين وهي

في جمع الكلمة واجتناب الفرقة والاتفاق على أمره فإذا كان كذلك والمخالف ليس يلتفت إليه والخارج الآخر لا يستبقى عليه بحال التوكيد ثم أكد ذلك ﷺ بقوله من ادعى دعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم ودعوى الجاهلية وجوه منها الاستنصار بالقبائل كقولهم في غزوة المريسيع يال المهاجرين يال الانصار فقال النبي عليه السلام ما بال دعوى الجاهلية دعوها فانها منتنة ومنها الاستئنان وقوله فانه من جثا جهنم يقال بالحاء المهملة من جثا إذا عرف وضم ويقال من جثا بالجيم جمع جثوة وهي الجماعة الذين سبق فيهم حكم الله بالنار وذلك وعيد ينفذ فيمن يعتقد ذلك دينا ومن أتاه وهو يعتقد أنه معصية كان في مشيئة الله ان شاء أن يعذبه فعل وان شاء أن يعفو عنه تفضل وقوله وان صلى وصام يريد أن هذه الكبيرة لاتوازيها الصلاة والصوم في الموازنة .

الحديث السادس

[قال أبو عيسى] روى أنس عن أبي موسى قال رسول الله ﷺ (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرؤه) ضرب النبي عليه السلام المثل للمؤمن بالأترجة لطيب طعمها وريحها عبارة عن طيب الظاهر بالذكر والباطن بالاعتقاد وضرب للمنافق مثلاً فظاهره طيب ريحها وإذا اختبرت باطنها وجدت طعمها مرأً وضرب للكافر الخنظلة التي ريحها مر لخبث ريحها وطعمها . وفي رواية طعمها مر ولا ريح لها ومعنى نفى الريح هاهنا أى لا ريح طيبة أما أن لها ريحاً قبيحاً فتارة أخير بوجود الرائحة القبيحة وتارة أخير عن عدم الريح الطيبة وفي وجود الريح الخبيثة عدم الريح الطيبة فيخبر تارة عن العدم للحسن وتارة عن وجود القبيح ويكون الكل صحيحاً .

الحديث السابع

[روى أبو عيسى] السعيد بن المسيب عن أبي هريرة (مثل المؤمن كمثل الزرع لاتزال الريح تفيقه ولايزال المؤمن يصيبه بلاء ومثل المنافق كمثل الأرزة

تهتز حتى تستحصد) وفي رواية مثل المؤمن كمثل الخامة من الزراع تفيثها الريح مرة هاهنا ومرة هاهنا ومثل المنافق كمثل الأرزة المجزية حتى يكون انجعافها مرة (غريبه) الخامة قصبة الزرع الواحدة وقوله تفيثها الريح أى تردها عن حالها وتردها إلى حالها عند مدافعتها . والأرزة شجرة الصنوبر وهو من أقواها المجزية يعنى الثابتة الأصل وانجعافها وقوعها عن القيام إلى الاضطجاع وفيه روايات كثيرة (المعنى) أن المؤمن يصيبه البلاء والغموم فينحرف عن حال السرور وطيب العيش إلى النكد وتارة يكون في حال عافية وفرح والكافر والمنافق في صحة من بدنهما ورغد من عيشها وتأت من آمالهما حتى ينفذ القدر فيهما والريح لا تؤثر فيهما الا إذا استحصدت أى دنا فناؤها وقد ضرب الله للمؤمنين مثلا الزرع فقال (كزرع أخرج شطأه فآزره) إلى قوله الكفار فالزرع محمد رسول الله والشطء فراخ الزرع حوله أصحابه ينمى الزرع ويغلظ ويستوى الكل على سوقه حتى يعتدل جميعه في تمام الايمان وكمال الدين فيعجب زارعه وذلك من فعل الله ليغيظ بمحمد وأصحابه الكفار فمن أبغض الصحابة فهو كافر

الحديث الثامن

عبد الله بن دينار عن عمر قال رسول الله ﷺ (ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها مثلها مثل المسلم خبروني ماهى فوقع الناس في شجر البوادي) الحديث

(الاسناد) حديث مشهور ثابت من طريق ابن عمر رواه عنه جماعة منهم مجاهد وفيه زيادات من أغربها ما أخبرناه أبو المعالى ثابت بن بNDAR البغال في منزلنا بنهر معلى أنا البرقاني أنا الاسماعيلي بمرجان نا الحسن بن سفيان نا عباس بن الوليد نا ابن ناجية نا محمد بن الصباح الجرجاني وعلى ابن مسلم وذكر ثالثا وأخبرني عبد الله بن صالح نا ابن أبي عمر ومحمد بن قدامة الزعفراني ونا عمران نا عثمان قالوا سفيان بن عينة لم يسمعه بعضهم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعهم يحدث عن النبي ﷺ الا حديثا واحدا

قال كنا عند النبي عليه السلام فأتي بجمار فقال رسول الله ﷺ ان من الشجر شجرة مثل المؤمن وشبهها بالمؤمن أو نحو هذا قال ابن عمر فأردت أن أقول هي النخلة فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ هي النخلة الحديث قال ابن ماجه في هذا الحديث مثل المؤمن مثل النخلة إن جالسته نفعك وإن شاركته نفعك وإن صاحبتة نفعك وإن شاورته نفعك وكل شأن من شأنه منافع

(العربية) الجمار هو شحم النخلة الذي يؤكل بالعسل ويقال له الجامور أيضا (الأصول) في مسألتين الأولى أن الله ضرب المثل بالنخلة لكلمة التوحيد فقال (وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) وضرب النبي ﷺ لها مثلا للمؤمن وكلا المثلين صحيح فصيح معجز للناس مبين من المعارف مايعم نفعه في الدين وتشمل بركته جميع المسلمين فأما وجه تشبيهه المؤمن بها فبين فانه تشبيهه جسم بجسم وأما تشبيهه الكلمة الطيبة بها ففيه خفاء وذلك أن الموجودات على ضربين جسم وعرض فتشبيه الجسم بالجسم معتد في البيان وتشبيه العرض بالجسم متشبه بشيء من الاشكال وان كان في كلا الوجهين معقول ومحسوس وكلا المثلين بين الا ان المعقول أخفى إلا على العلماء وإنما المقصود منه وهي الثانية وجه التمثيل في المقصود بالخير خاصته ثم غيره من معانيه فالعالم يقصر على ذلك والغافل يريد أن يحمله على وجوهه فيزيغ إن كان في الاعتقاد ويخطيء في غيره .

(الفوائد) كثيرة بينا منها في مختصر النيرين جملة أمهاتها احدى عشرة (الأولى) فيه دليل على تشبيه الشيء بالشيء مطلقا والمراد منه معنى واحد أو أكثر منه دون استيفاء جميع المعاني (الثانية) اعلّموا أن المؤمن لا يعادله شيء ولا يماثله حتى الكعبة التي يستقبلها في العبادة ولكن الامثال تحتل ذلك فلا شيء أعظم من الله سبحانه ورسوله بعده من خلقه وقد ضرب المثل بهما بما هو دونهما (الثالثة) فيه حسن الحياء في الجملة حتى في الحق وان كان الله لا يستحي من الحق ولكن إذا تعين الأمر لم يحسن الحياء فيه وقد يفوت بالحياء

علم كثير كما يفترت بالكبر فلا يتعلم العلم من يستحي ولا من يستكبر والحياء محمود في الجملة وقد بيناه في شرح الصحيحين (الرابعة) قوله فوقع الناس في شجر البوادي يعني أنهم ذكروا الدوم الرانج الكاذي الفوفل فالدوم معلوم والرانج جوز الهند والكاذي شجر ببلاد عمان يلقي طلعته في الدهن فيطيهه والفوفل كالرانج يقطع كبائس فيها ثمر أمثال التمر ولم يذكروا الا ترج ولا النازنج لانها ليست من شجر البوادي (الخامسة) قوله لا يسقط ورقها وجه التمثيل في نفى سقوط الورق وجوه أولاهها بكم أن النخلة لا تعري عن لباسها من الورق كالمؤمن لا يعري من لباس التقوى فان اللباس الظاهر يقي من آفات الدنيا والتقوى فلباس النفس الورع ولباس القلب قطع الأمل ونفى الطمع ولباس الروح حسم العلائق وحذف العوائق وسلوك الصراط المستقيم دون سائر الطرائق ولباس العابدين ترك الحرام ولباس العارفين مجانية الآثام ولباس المحبين نبد الآثام (السادسة) قوله كمثل المسلم قد بين الاستماعيلي في الجملة والتفصيل ما يدل على التمثيل (السابعة) فيه ثبوت المؤمن على اعتقاده . ثبوت النخلة على أساسها وعلو كلمته وعمله كعلو النخلة في السماء . (الثامنة) ان النخلة ينتفع بها بعد انجفافها في جمارها وسعفها وعشا كلها وجفها وكذلك المؤمن لا ينقطع عمله بموته إذا نظر في تكملة إيمانه وتوفير طاعاته لنفسه (التاسعة) قوله تؤتى أكلها كل حين قد بينا في كتاب الاحكام بالغاية من البيان فان قلنا انه في كل عام فالمؤمن يؤتى الزكاة كل عام ويحج ويصوم وإذا قلنا انه كل وقت من خصب وجذب ومطر وقحط كذلك المؤمن لا ينقطع عمله في غنى أو فقر أو صحة أو مرض وان تعطشت لمزيد فلتنظر في السراج تبصر وتظفر (العاشرة) روى أبو رافع عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ قال مثل المؤمن القوى مثل النخلة ومثل المؤمن الضعيف كخامة الزرع (قال ابن العربي) ان صح فيحتمل أن يريد بالقوة هاهنا القيام بأمر الله وبالضعف هاهنا الاقتصار على أمر نفسه ويحتمل أن يريد بذلك الذي تدوم عليه الصحة فهو كالنخلة والذي يصيبه البلاء كخامة الزرع وإذا رزق المؤمن الصحة دام على الطاعة ولم يفتر وإذا أصابه المرض قصر في الطاعة والله يكتب له ثواب الصحيح برحمته (الحادية عشر) روى عن عمرو بن العاص أن

رسول الله ﷺ قال مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيباً ووضعت طيباً (قال ابن العربي) فان صح فالمعنى فيه والله اعلم ان المؤمن يسمع القول فيتبع أحسنه ويتحدث بما سمع فيأتى بالحسن من الحسن كالنحلة تأكل الزهر الطيب وتضع الشراب الطيب (الثانية عشر) تكملة روى مسلم في هذا الحديث ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ولا ولا ولا .. تؤتي أكلها كل حين وأشكل ذلك على بعض المغاربة وهو بين معناه ان النبي ﷺ قال خصالاً بلفظ النفي كما قال لا يسقط ورقها نسيها الراوى فذكر أوائلها ليدل على أنها مقولة فيقع البحث عنها لعلها تكون متحصلة وإلى الآن من أيام طلبى لم أظفر بها (الثالثة عشرة) أنا أبو المطهر الاثيرى انا ابو نعيم انا ابن خلاد نا كثير بن هشام انا الحكم عن محمد بن ربيع عن عبد الله بن عمر كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أبلحة أتدرون ما هي قائلوا لا قال هي النحلة لا تسقط لها أبلحة ولا يسقط لمؤمن دعوة ولأجل هذا تعبر الرويا فى الأنامل عند المنام بالدعوات رداً وقبولا وكالا ونقصانا وإخلاصاً وإشراكاً .

الحديث التاسع

روى أبو سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ (لو أن نهراً يباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى ذلك من درنه قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) حسن صحيح .

(الاسناد) روى هذا الحديث جابر كما قال أبو عيسى وسعد بن أبى وقاص خرج ماله بلاغا عنه موقوفا عليه وهو باب مسند ورواه عبد الله بن ربيعة السهمى ولم يخرج أبو عيسى وربك أعلم هل شذ عن علمه أو رواه ونسبه وفصله وطوله سعد كما فى الموطأ من ذكر قصة الأخوين اللذين مات أحدهما بعد الآخر وذكرت فضيلة الأول منهما وذكر الحديث إلى أن ضرب المثل بالنهر وزاد فيه الغمر العذب يريد الحلو الطيب الكثير (وجه التمثيل) أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة والأحوال المشاهدة فى بدنه وثيابه فيطهره الماء

الكثير العذب إذا وإلى استعماله وواظب على الاغتسال به فكذاك تطهر الصلاة العبد عن اقدار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبا إلا أسقطته وكفرته ويكون ذلك بالوضوء قبل الصلاة ويكون ذلك بالوضوء والصلاة كما تقدم بيانه في صدر هذا الكتاب وغيره وإنما يكفر الوضوء الذنوب لأنه يراد به الصلاة فما ظنك بالمراد وهو الصلاة ذلك أقوى في التكفير وأولى بالاسقاط وكما يطهر الماء الوسخ فكذاك يذهب الهموم والغموم الداخلة على العبد أيضا فان الهموم أصلها الذنوب فإذا ذهبت الذنوب التي هي أسباب الهموم في نفسها بذهاب أسبابها ولذلك يقول المعبر للرجل الذي يرى في منامه أنه يغتسل ان كان عليك دين قضيته أو هم زال عنك شغله .

الحديث العاشر

حديث ثابت البناتي عن أنس قال رسول الله ﷺ (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره)

(الاسناد) خرج أبو عيسى عن قتيبة عن حماد بن يحيى الأبح عن ثابت البناتي عن أنس واختلف في حماد الأبح فقيل ليس بشيء وقال أبو عيسى كان عبد الرحمن بن مهدي يثبت حماد الأبح ويقول كان من شيوخنا .

(الأصول) اعترضوا علي هذا الحديث فردوه لقوله تعالى السابقون حيث وقع من كتاب الله وبقوله (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) إلى قوله وقاتلوا وقال ﷺ لبعض الصحابة في بعض وهو خالد بن الوليد في عبد الرحمن بن عوف (لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبا ما بلغ من أحدهم) ولانصيفه فضلا عن أن يستوى أول هذه الأمة وآخرها (قال ابن العري) وقد بينا رواية أبي ثعلبة الخشني (ان من ورائكم أيام الصبر للعامل فيهن أجر خمسين منكم قالوا بل منهم قال بل منكم قالوا لم يارسول الله قال لأنكم تحدون علي الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا) وقد بلغنا في إيضاح ذلك في أقسام تفسير القرآن على التمام وجملته الدالة علي

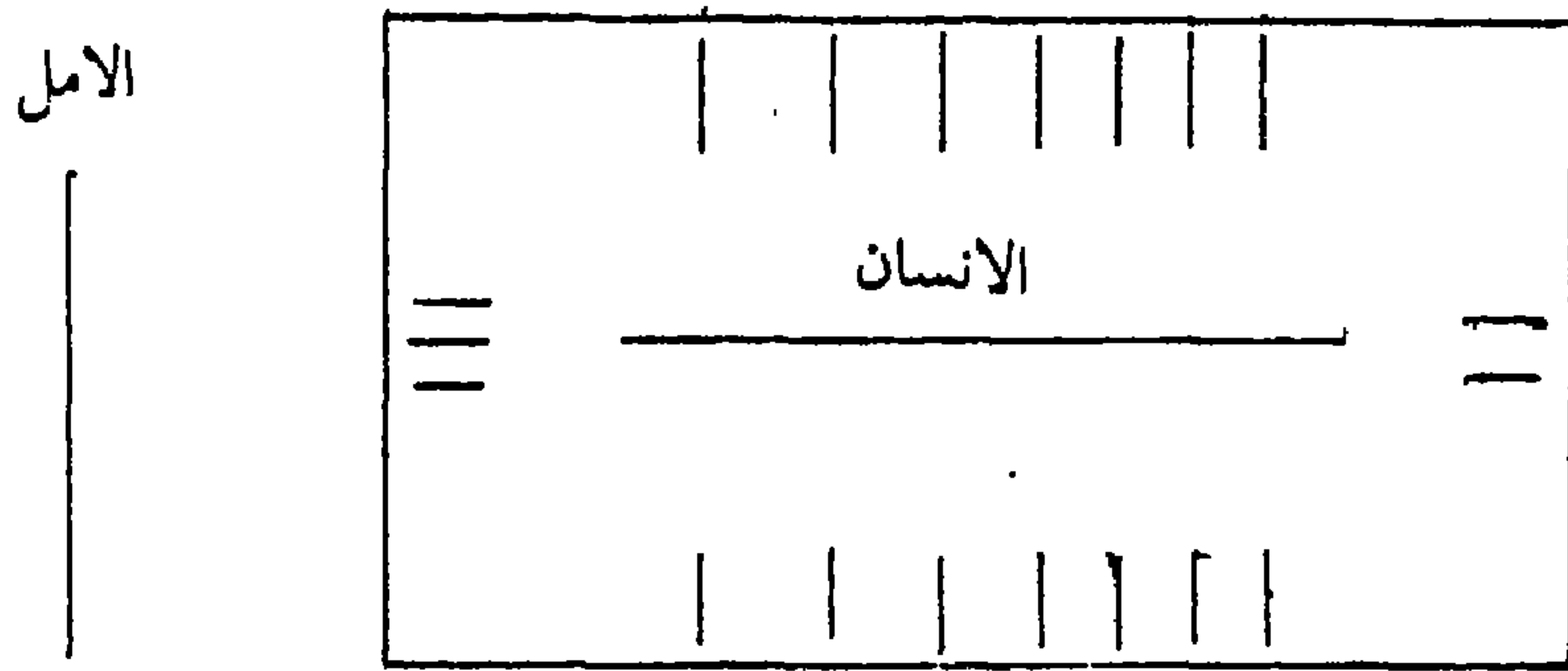
تفصيله ان الصحابة رضى الله عنهم هم الذين أسسوا الدين وأصلوا قواعده
وعدلوا ميزانه وأقاموا برهانه وشدوا أمرانه والحبوا سبيله وأطابوا مقيله ومهدوا
فراشه وحاطوا رياسه وأعذبوا حياضه وانضروا رياضه وأفنوا أعداءه وأعفوا
أولياءه وشدوا عماده وأرسوا أوتاده واقتعدوا هذه المراتب بمناقب تساموا إليها
واستولوا عليها وتفاوتت درجاتهم فيها فمن سابق ولاحق وأول وآخر ويبعد
كل البعد تساوى المبتدى مع المنتهى منهم فما ظنك بمساواة من يأتى بعدهم لهم
هذا لا يخطر ببال أحد وإنما وجه الحديث على الاختصار ان معظم مقاصد
الشريعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ القانون الذى تقوم به رياسة
الدين لسياسة العالمين فرض دائم إلى يوم القيامة وتكثر المناكر فى آخر الزمان
ويقل المغيرون لها ويذهب المعروف ويعدم الداعى إليه والأمر به فإذا قام واحد
بهذا أو من كان فله أضعاف ما كان للصحابة من الأجر فى هذه الخصلة وحدها
ويفضلون الخلق بسائر الخصال العظيمة التى نظامها الصحبة الكريمة ومشاهدة
الغرة الزاهرة وتلقى الأخلاق الطاهرة فهذا ان صح وجهه ويشهد له قوله
التمسك بدينه عند فساد الناس كالتقاط على الجمر والله أعلم ويحتمل أن
يكون المعنى ان الناظر إلى ظاهر أول هذه الأمة وآخرها تتقارب أوصافهم
وتتشابه أفعالهم لا يحكم بالتمييز بينهم دون النظر إلى الباطن والأول أصح .

الحديث الحادى عشر

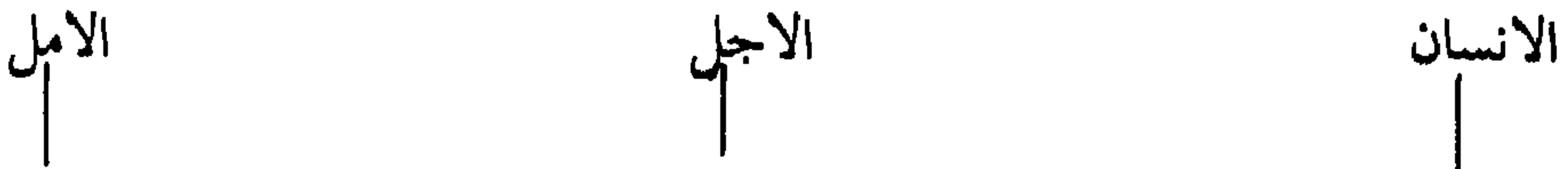
وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال النبى عليه السلام (هل تدرون
ما هذه وما هذه ورمى بحصاتين قالوا الله ورسوله أعلم قال هذاك الأمل وهذا
الأجل) حسن غريب .

(الإسناد) فى الصحيح عن الربيع بن خثيم عن عبد الله واللفظ للبخارى
قال خط النبى عليه السلام خطا مربعا وخط خطا فى الوسط وخط خططا
صغارا إلى هذا فى الوسط من جانبه فقال هذا الانسان وهذا أجله محيط به
وهذا الذى هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فان أخطأه هذا

نهشه هذا وفيه عن أنس خط النبي عليه السلام خطوطاً وقال هذا الأمل وهذا الأجل فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب (المعنى) (قال ابن العربي) رحمه الله لم يتقن البخاري هذا الحديث فانه مهد ثلاثة معاني وهي الخط المربع واحد والخط الذي في وسطه اثنان والخطط الصغار ثلاثة ثم قال اعطى لكل مهد بمثاله فقال هذا الانسان واحد وهذا أجله محيط به اثنان وهذا الذي هو خارج أمله ثلاثة وهذه الخطط الصغار الاعراض أربعة وإنما صوابه مارواه غيره قال عبد الله خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وسط الخط المربع وخط خطوطاً إلى جانب الخط الذي في وسط المربع وخطاً خارج الخط المربع ثم قال تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الخط الأوسط الانسان والخطوط التي إلى جانبه الاعراض والاعراض تنهشه من كل مكان ان أخطأه هذا أصابه هذا والخط المربع الأجل المحيط به والخط الخارج البعيد الأمل وهذه صورته



وقد روى عن ابي سعيد الخدري قال غرس ﷺ عوداً بين يديه وآخر إلى جانبه وآخر بعده وقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الأمل فتعاطى الأمل فيختلجه الأجل دون الأمل وهذه صورته :



الحديث الثاني عشر

روى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال (إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس وإنما مثلكم

ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى على قيراط قيراط ثم أتت يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين فعضب اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عمالا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فانه فضلى أوتيه من أشياء) حسن صحيح .

(الأصول) أخذ بعضهم من هذا الحديث تقدير الدنيا وليس لتقديرها أصل في الدين لأعلى التحقيق ولا على التخمين لأن ذلك أمر لا يدرك بالنظر وإنما مدركه الخبر ولا طريق إليه على لسان بشر إلا على لسان سيدهم محمد ﷺ وليس عنه في ذلك مسند لأصحيح ولا ضعيف وما يروى من ذلك عن الأسرانيات محرف لا يصح منه حرف (الفوائد) في أربع مسائل (الأولى) قوله من صلاة العصر يحتمل أن يريد به من أول صلاة العصر ويحتمل أن يريد به من آخر وقتها وهو الظاهر لأنه لو كان من أول الوقت لكان زمان المسلمين في العمل أكثر من زمان النصارى وظاهر الحديث يقتضي أن عمل النصارى أكثر لقوله فيه نحن أكثر عمالا وكثرة العمل في الغالب تستدعي كثرة الزمان (الثانية) قوله إلى مغارب الشمس عدده وهو واحد وإنما أشار به والله أعلم إلى اختلاف المغارب مع اختلاف الأزمنة فان وقت العصر ممتد من أوله إلى آخره في القيظ أكثر مما يمتد في الشتاء ويتوسط بينهما في الاعتدال وعلى كل حال فان نسبته على اختلاف إلى ماضى من اليوم واحدة إذ مدته إنما تكون في الطول والقصر تابعة لليوم كله فصار لكل زمان قدر فأشار هو إليه والله أعلم (الثالثة) قوله في تقدير أجر اليهود من يعمل على قيراط قيراط وقال للمسلمين قيراطين قيراطين إخبار من الله عن كثرة عطائه لنا دون من قبلنا بفضل لا باستيحاب إذ لا يجب عليه شيء ولذلك لما قالت اليهود والنصارى ما بالنا أكثر عمالا وأقل أجراً معناه قال كل واحد منهم قال لهم سبحانه هل ظلمتكم من حقكم يعنى الذى شرطت لكم شيئا قال لا قال فذلك فضلى أوتيه من أشياء (الرابعة) قال أصحاب أئى حنيفة إن وقت العصر لا يدخل حتى يصير ظل

كل شيء مثليه لقوله عن أهل الكتاب ما بالنا أكثر عملاً وكثرة العمل تستدعى كثرة الزمان وإن لم يكن وقت العصر من هذا الحد كان زمان المسلمين أكثر فيكون عملهم أكثر من عملنا وذلك بخلاف ظاهر الحديث فلنا عنه ثلاثة أجوبة

(قال أبو المعالي ابن الجويني) لا يتعلق في إثبات (الأحكام) بالأحاديث التي مساقها ضرب الأمثال فإن باب الأمثال مكان تجوز وتوسع (قال ابن العربي) وهو وإن كان موضع تجوز وتوسع فإن النبي عليه السلام لا يقول إلا حقاً تمثل له وحقق (الثاني) أن قوله من صلاة العصر يحتمل من أول الوقت أو آخره فلا يقضى بأحد الاحتمالين (الثالث) أن القائل ما بالنا أكثر عملاً هو الطائفتان اليهود والنصارى فإن قيل فكيف يكونون أقل أجراً ولهم قيراطان قلنا هذا بين فأن العاملين إذ تباينا واستوى أجر الكثير والقليل كان صاحب الكثير أقل أجراً والله أعلم .

الحديث الثالث عشر

الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ (الناس كأبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة أولاً تجد فيها إلا راحلة واحدة حسن صحيح (العارضة) أن الله خلق الخلق متفاوتين في الخلق والخلق متباينين في الصفات وجعل منها محموداً ومذموماً ولم يجمع المحمود منها إلا في آحاد منه رحمهم المصطفون من الأنبياء والأولياء كما لم يجعل الأكثر من الصفات المحمودة إلا في قليل قال الله سبحانه (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) فإذا نظر المرء إلى الخلق ليختار منهم من ترضى أخلاقه ويحمد صفاته ويصلح لهم مقاصد الدينية والمصالح الدنيوية لم يكدر يجد في مائة واحد أو الا واحداً على اختلاف الروايات وقد قال حكيم في القول

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا . . . إلى المجد حتى عد ألف بواحد

وقال آخر :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عنا

وكذلك البهائم فيما يراد منها من الانتفاع فإذا طلبت فيها راحلة تعدّها له لم تجدها في مائة أو الا في مائة على اختلاف الروايات وانظر إلى القرن الأول فان رسول الله ﷺ صحبه مثلا مائة ألف ظهر منهم في التعيين نحو من عشرة آلاف تخصص منهم عدد وافر تحصل منهم في صفات الجلال بالغاية قريب من ألف ويتقاصر باقيهم عنهم وكلهم في درجة الصحبة نازل وعلى مهاد التفضيل والتكريم والترفيح قاعد وكل واحد منهم خير ممن بعدهم اعتقاداً وعملاً وقولاً فما ظنك بمن وراءهم فكيف بالحثالة التي أخبر عنها الصادق ﷺ .

الحديث الرابع عشر

قال رسول الله ﷺ (إنما مثلي ومثلي أمثي كمثل رجل استوقد نارا فحغنت الدواب والفراش يقعون فيها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها) صحيح (العربية) قال بعضهم الفراش صغار البق وقيل هو كل حيوان يقتحم النار بتهافته اما طيارا واما دبابة المعنى في هذا الحديث بديع ضرب النبي ﷺ فيه المثل لثلاثة بثلاثة (أحدهما) تمثيل النبي عليه السلام برجل (الثاني) تمثيل الامة بالفراش وشبهها بما يتهافت في النار (الثالث) ضرب النار في الدنيا مثلاً لنار الآخرة التي نار الدنيا جزء منها وينشأ من ذلك معان بديعة في خمس مسائل (الأولى) تمثيل النبي برجل وهو ﷺ رجل من جهة الأدمية رفيع كريم إلى جنس الملائكة وربما كان أرفع عند العلماء كما ذكرناه في كتب الأصول ولقد ضرب الله على تقدسه عن صفات الحدوث وتنزهه عن سمات النقص وسلامته عن نعوت الآفات وسلامته عن المكروهات اللائق ذلك كله بالأدمية لنفسه في كتابه مثلاً رجلاً في مواضع منها قوله (ورجلاً سلماً لرجل) والحكمة فيه أن تفهيم الخلق بالباري وصفاته وجلاله لا يمكن الا بضرب الامثال فيه لنقصان الأدمى وآفاته وبذكر نعت بنعت وصفة بصفة ثم تفرق الحقائق في الكمال والنقصان بحسب حال العبد والموالي (الثانية) تمثيل الأمة بالفراش وذلك لكثرة تلبس الخلق بالشهوات ووقوعهم في حبالها صارت كالفراش التي تقع في النار قاصدة إليها من غير تثبت فيما تصير إليه ولا معرفة

بما تقع فيه (الثالثة) ضرب لله لجهالة الخلق بحال الشهوات وغفلتهم عن مواقع الخطايا والسيئات جهالة الفراش بالنار التي تقع فيه وغفلتهم عما ترد عليه منه (الرابعة) يقال إن الفراش في ظلمة فإذا رأت الضوء اعتقدت أنها كوة يستطير منها النور فتقصدها لاجل ذلك فتحترق فيها كذلك الخلق في عقائدهم الفاسدة وشهواتهم التي يعتقدون أنها صحيحة نافعة وهي باطلة مضرّة قال سبحانه (وكذلك زيننا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم) (الخامسة) ضرب الحجة مثلا دون سائر جهات الثوب لأنها أثق الثياب على البدن عقدة وأخصها منها بستر العورة لما كان منه ﷺ من البيان للخلق والارشاد إلى الحق والله اعلم .

سابعا : أدب القصة

الأخ محمد بن حسن الزير تقدم جامعة القاهرة بموضوع طريف لينال به درجة الماجستير هو (القصص في الحديث النبوي)^(١) ومن خلال تحليله لعناصر البناء الفني للقصة الأدبية حاول في ضوء هذا التحليل مجتهداً أن يضيف جانباً من الحديث النبوي تصنيفاً يدخله في باب القصة القصيرة : فيها خيوط النسخ الفني للقصة الأدبية من سرد وحوار وشخصيات ومضمون مركز ، وخالصاً بما للقصة في الحديث النبوي من خصوصية أدبية ، ولكن مع إعجابنا : حيناً لهذا الجهد الموفق - يبقى سؤال : إلى أي حد لا يختلط هذا النوع الأدبي بالأمثال ويصور التشبيه البلاغي المتباين

١٠. ط: المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٩٧٨ م القاهرة من ص ٣٩٩ - ٤٠٨

ونعرض فيما يلي ما توصل إليه الباحث من نتائج في حائمة بحثه :

يجدر لى فى هذه الحائمة قبل أن أخلص فيها ما توصل إليه البحث من نتائج علمية ، أن ألقى ضوءاً سريعاً على أهمية نصوص القصة النبوية من الناحية الأدبية والحضارية وتبدو قيمتها الأدبية فى ناحيتين :

١ - أنها تمثل لوناً من ألوان النثر الفنى الممتع الجميل ، الذى جاء معبراً عن فكرته فى ألفاظ سهلة ميسرة ، وأنه لون جد بعد الإسلام ، وحاء متحرراً من منهج النثر الجاهلى الذى كان يخضع لسيطرة سجع الكهان ، بما كان عليه من غموض وإبهام ، وهى بذات تضيف رصيذاً حديداً إلى عطاء العهد الإسلامى فى المجال الأدبى ، ثم إنها تتقدم خطوة أوسع من حيث أهميتها الفنية ، حين جاءت فى لون قصصى حافل بالعناصر القصصية العامة لهذا الفن ، يمثل فترة زمانية متقدمة جداً مما يدل على أصالة العنصر القصصى فى الأدب العربى .

٢ - والناحية الثانية أنها محتوى رائع لتجارب قصصية متنوعة فى مختلف المجالات ، وهى بهذا ذخيرة حية تعطى فرصة كبيرة جداً للأدباء والفنانين^(١) لأن يستفيدوا منها ، وتفتح لهم آفاقاً واسعة ، بعيدة المدى فى أعماق التاريخ والحضارة والوجود الإنسانى والكونى فى الماضى والمستقبل ، وتتيح لهم بكل ذلك أن يضيفوا إلى تجاربهم . تجارب أخرى يمكن أن يعبروا عنها بشتى طرائقهم الفنية التى وصل إليها الفن البشرى - فى مجال الأعمال الأدبية والقصصية بشكل خاص - الذى أتيح له فى الوقت الحاضر وسائل كثيرة يستطيع بها إثراء التجربة القصصية وتعميقها .

كما تبدو قيمتها الحضارية فى أنها تعبر عن صورة الحضارة التى يجب أن ينشدها الإنسان ، وهى أن يمارس حياته وفقاً للنظام الذى أودعه الله فى هذا

(١) انظر : محمد مندور : الأدب ومذاهبه ، فقد تناول تجربة الأدب وكيف أنها ليست فقط هى التجربة الشخصية ، بل هناك تجارب أخرى يمكن أن يصدر عنها الأدب فى تعبيره .

الكون من التوازن والانسجام والاعتدال ، وذلك بأن يعيش الإنسان حياته بجوانبها المادية والمعنوية (الروحية) ، ومجموعة القصص النبوى تفيض بالعطاء الخير للإنسانية فى مجاها الحضارى ، لتحيا فى توازن وسمو ، وفى سعادة واستقرار . وفى انطلاق نحو البناء فى ظل الحق والخير والجمال ، وكم هى الإنسانية فى حاجة إلى مثل هذه القصص التى هى نور من نور الله ، تواجه بها قوى الشر التى تحاول أن تبعد الإنسانية عن فطرتها وإيمانها بما تقدمه تلك القوى من ألوان الأدب النابع من تصورات منحرفة مشوهة ، فنحن نجد نمطاً من الأدب يتغنى بالوجود الإلحادى المادى ، ويعبر عن الإنسان من خلال الصراع والكراهية والحقد ، وهناك الأدب الجنسى الهابط الذى يخاطب فى الإنسان غريزته البهيمية ، ويبعده عن الآدمية الكريمة التى تؤهله لتحقيق وجود فاضل فى خلافة كريمة ، وهناك الأدب الوجودى الذى يعكس الفلسفة الوجودية المنكرة لوجود ماهية سابقة ، وأنه لا قيم ولا أخلاق ، وأن الفرد يجب أن يمارس وجوده فى حرية من كل قيد ، وأن يتحلل من قيود الدين والأسرة^(١) ، وهى آداب تدفع بالإنسانية فى غمرة الضياع والحيرة والقلق والشقاء ، ومن هنا تبدو حاجتها أكثر إلى مثل هذا الأدب الإسلامى البناء الهادف الذى يحمل قيم الإنسانية الأصيلة ، ويعبر عن آفاقها الوضيعة .

نتائج البحث الكلية :

(١)

أكد تمهيد البحث على أصالة العنصر القصصى فى الأدب العربى القديم .
مجموع الأدلة الأصيلة المقنعة وهى : الدليل القرآنى ، والدليل اللغوى ،
الدليل الواقعى المتمثل فى التراث العربى الحافل بأشكال قصصية مختلفة ، وهى
أدلة تكشف عن معرفة العرب لهذا اللون الأدبى وممارستهم له .

(١) انظر العقاد « أفئون الشعوب المذاهب الهدامة » ص ٩٤ مكتبة الانجلو المصرية ، وانظر أيضاً
مندور فى الأدب ومذاهبه ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ .

(٢)

ثم أعطى التمهيد صورة واضحة عن أثر الإسلام في الحياة الأدبية وأنه كان عاملاً قوياً في إنهاض الحياة الأدبية ، حين وجه في المسلمين طاقة التعبير الأدبي عن انفعالات الضمير الحي بالتجارب الشعورية والقيم الحية التي يؤمن بها ويتفاعل معها ، ودفع بتلك الطاقة إلى الأمام ، لتؤدي وظيفتها في هذه الحياة منطلقاً من التصور الإسلامي وغاياته .

(٣)

ثم أكد التمهيد على النهضة النثرية التي شهدتها الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، وأن القرآن الكريم كان الضوء الأخضر الذي فتح الطريق أمام النثر ليتقدم ويزدهر ، ثم ما كان من حاجة الحركة الإسلامية إلى النثر ، لما له من قدرة على القيام بمهمة نشر الدعوة وإعلان مبادئها وتقويض مبادئ الخاهية وبيان زيفها ، ومجادلة معتنقيها ودحض حججهم ، فازدهرت الخطابة وإن جانبها كانت الأمثال والوصايا والحكم التي ظلت امتداداً للفنون الخاهية ، ثم جد في هذا العهد فن الكتابة والرسائل ، وفن نثر آخر يتسم بالعمق والأخلاقية ونحوها ، كما برز اللون القصصي وازدهر .

(٤)

وقدم التمهيد نتيجة أخرى وهي أن جمهرة دارسي الأدب العربي ومؤرخيه ظلوا متجافين عن اللون القصصي ودراسته وإضافته إلى ألوان النثر في تلك الفترة ، مع أن ذلك اللون كان من الكثرة والتنوع على جانب كبير يبرر أن يكون محل اهتمام الدارسين وعنايتهم ، ويبدو لي أن السبب في تجافيتهم عن ذلك هو الاكتفاء أحياناً بدراسة الظاهرة العامة ، وحتى هذه الظواهر اكتفى بعضهم فيها بتناقل الأحكام التاريخية والنقدية عنها ، وفي اليقين أنه لو رجع إلى نصوص الفترة نفسها ، وبنيت عليها الآراء والدراسات لتوصل الدارسون إلى نتائج ذات شأن عظيم ، لأنه بالرجوع إلى تلك النصوص وجدنا أن الفترة كانت حافلة بالنصوص القصصية التي برزت بعد الإسلام وتنوعت وازدهرت

في مظاهر عدة :

١ - في القصة القرآنية .

٢ - القصة النبوية .

٣ - قصص الصحابة .

٤ - القصص الوعظي .

وهذه كلها مظاهر تعبر عن خصوبة قصصية تنطوي عليها تلك الفترة المتقدمة في تاريخ الأدب العربي .

(٥)

أثبت الفصل الأول تحقق البنية القصصية العامة في القصة النبوية ، حين بين أنها تقوم على هيكل عام تبدو فيه البداية والوسط والنهاية ، وأوضح طبيعة البدايات في القصة ، وأنها تأتي على نوعين : بداية مباشرة للقصة ، وبداية مسبقة بتمهيد ، ثم أوضح الصور المتعددة التي يأتي عليها التمهيد للقصة .

وفي وسط القصة انتهى البحث إلى أنها منطقة الثقل والذروة في هيكل القصة . لما تحفل به من عناصر التشابك والتعقيد ، وأنها تأتي مرحلة نامية أصلاً من نقطة البداية ، ثم بين البحث أن النهاية في القصة النبوية تتمتع بالقوة الخيورية وذلك لأنها تأتي مفسرة للأحداث ومنورة لها ، أو حاملة لعنصر المناجاة ، أو معبرة عن المشهد في صورة حية مشخصة ، أو لأنها تأتي أحياناً حاسلة في طياتها الحل لمشكلة القصة الرئيسية .

ثم بين البحث ما تحرص عليه القصة من تقديم نهايات متفائلة ، وما تسجله يائساً من انتصار الحق وانهازم الباطل ، كما سجل البحث ما لوحظ في نموذج بعدد من بتر الحدث في القصة ، وتوقف القصة ، وأبقت النهاية مجهولة ، مستأنية بالتعليق على النهاية المتوقعة ، وما لوحظ في نموذجين من البناء الدائري للقصة .

(٦)

وأثبت الفصل الثانى ماتقوم عليه القصة النبوية من نسيج محكم البناء أسهمت أجزاءه ومقوماته بتلاحمها ، وتداخلها ، وتفاعلها فى داخل النص بشكل بارز فى خلق التيار القصصى وضمان استمراره .

وبين البحث أن مقومات النسيج تبدو فى الأسلوب ، والحبكة ، والمشكلة والمناجاة .

وأما الأسلوب فقد استطاعت القصة أن تستخدم مايملكه من وسائل مختلفة فى صياغة الأحداث بشكل يحقق الهدف الفنى ، تلك الوسائل التى بدت فى القصة النبوية فى الألفاظ والعبارات ، والصور البيانية ، والأوصاف وغير ذلك من عناصر الصياغة . وقد برز فى أسلوب القصة البساطة والوضوح وهى البساطة الزاخرة بالحياة والقوة التى جعلته أكثر جاذبية وتأثيراً نظراً لما يتمتع به من تنوع فى الصياغة والتعبير حسب مايتطلبه عرض القضايا والعلاقات الموضوعية التى تتناولها القصة .

وفى الألفاظ والعبارات وجدنا القصة تستخدم بشكل جيد طاقة الألفاظ بمختلف أنواعها سواء أكانت فعلاً اسماً أو حرفاً وتوظيفها لتحقيق المعنى المطلوب .

وقد كان من سمات الأسلوب أيضاً مايجده من ظاهرة التصوير التى تجعل العمل القصصى أداة فعالة فى التأثير على المستمع أو القارئ ، كما تنشئ علاقة إيجابية بين العمل الأدبى والمتلقى نتيجة للحركة الحية النابعة من عملية التصوير ، وقد برز التصوير فى القصة فى ثلاثة أنواع :

١ - تصوير المشاهد والمواقف .

٢ - تصوير العواطف والانفعالات .

٣ - تصوير الشخصيات .

وكانت مقومات الصورة تقوم على :

١ - الوصف ٢ - التشبيه ٣ - التعبير الدال على الحركة

ولما كانت القصة النبوية نوعاً من الأدب الشفاهي الذي يلقي على الأسماع ، فقد لمسنا في الأسلوب مظاهر خطابية بدت في :

- ١ - استعمال ضمير المتكلم
- ٢ - الأسئلة والأجوبة في المقدمة .
- ٣ - الأسئلة والأجوبة أثناء القصة
- ٤ - توجيه السؤال بطريق الخطاب .
- ٥ - مخاطبة المستمعين بغير سؤال ، ومن هنا فقد اكتسبت المشافهة القصة حيوية في السرد والعرض القصصي ، وخلقت نوعاً من الارتباط القوي بين الراوي والسامعين .

ثم بين البحث أن القصة النبوية كانت تسير وفق طريقة معينة في الكيفية التي تبنى فيها الحوادث ، وتركب المواقف ، من حيث اختيار نوعية الحدث أو الأحداث التي تصلح لبناء القصة ، وإتقان نسجها من الداخل واختيار المكان المناسب الذي يوضع فيه الحدث بالضبط ، وبكيفية معينة ، هل يقدم أو يؤخر في سياق القصة ؟ وكيف يتطور هذا الحدث ، وما هي مبررات وجوده واستمراره أو توقفه ؟ وما نوع الصورة التي يبرز فيها ؟ والمجرى الذي ينمو فيه من حيث البطء أو السرعة ؟ وما يقف وراء الحدث من دوافع ومؤثرات تجعله يسير وفق نظام خاص وطريقة مرسومة في التابع والتراكم من أجل تحقيق الهدف المنشود في عرض الفكرة أو الموضوع وفق طريقة قصصية تشويق المتلقى وتؤثر عليه ، وهذه العملية الملاحظة في نصوص القصة النبوية بكل جوانبها وأبعادها هي ما يعرف في مجال نقد القصة بالحبكة القصصية التي لا بد منها في إقامة الكيان القصصي المتقن الذي يعطيه اعتباره الفني ، وقد بدت زوايا الحبكة في : ١ - التوقيت ، ٢ - مبررات الحوادث ، ٣ - وضع الشخصية في مواقف جيدة ، ٤ - إثارة الانفعالات ، ٥ - الغموض والمفاجأة ، ٦ - التدرج والانفراج ، ٧ - أهمية القدر ، ٨ - التشويق .

وأما المشكلة فقد أثبت البحث أن جميع النصوص التي تعرض لها بالدراسة ، طالت أو قصرت لا تخلو بشكل ما من مظهر للمشكلة ، وهي تنسج في نوعين : ١ - نوع نادر لا يؤثر في سياق الأحداث ، ٢ - ونوع غالب كثير له أثر بارز في تعقيد الأحداث وتأزيم المواقف بحيث تصبح المشكلة محورا يوجه حركة القصة ، والغالب أن المشكلة تبرز في مرحلة الوسط في القصة ، ومن هنا كانت هذه المرحلة مليئة بعناصر التعقيد والتشابك وقد سجلنا ما لوحظ من حيوية مشكلات القصة ، لما تحويه من مواقف درامية تدت في : ١ - مواجهة الخطر ، ٢ - الخوف ، ٣ - التضحية ، ٤ - الانتقام . ٥ - الجريمة وهي مواقف تؤدي إلى نوع من الصراع الدائى في الشخصية

وأما المناجاة في نسيج القصة فهي تأتي على السحو الذى تأتي عبه في اقربان الكريم . حيث تأتي على شكل مناجاة من بطل القصة أو بعض أبطالها لله تبارك وتعالى في صورة ابتهاج أو دعاء .

(٧)

أوضح البحث ماتقدمه القصة النبوية من صورة عن الله جل جلاله ، وعن طبيعة علاقة الله تبارك وتعالى بالكون ، وبالبشر ، وبالحيوانات غير الشريفة من خلال الأفعال والأقوال الصادرة عن الله في سياق القصة ، والتي تشكل عنصرا بنائيا من عناصر القصة . كما كشف البحث عن أثر الراوى فيها .

ثم بين احتواء النص النبوى على العناصر الفنية القصصية من شخصية وحدث وحوار بصورة ظاهرة ، وأنها تستخدم بشكل يحقق للقصة الساء الفنى المعبر ، كما بين البحث أننا لانعدم الشعور بعنصرى الزمان والمكان في القصة . مع ملاحظة أنهما لم يكونا محل اهتمام القصة المباشر دائما ، وأننا لاشعر بهما إلا في نطاق محدود من خلال إشارات في العرض القصصى .

وأما الشخصية فقد بين البحث أنواعها في اتجاهين : ١ - من حيث طبيعة ذاتها : (أ) شخصيات بشرية : ١ - أنبياء ، ٢ - رجال ونساء عاديون ، ٣ - جماعات وجماهير . (ب) شخصيات غير بشرية . ١ - ملائكة .

٢ - حيوانات وطيور وجمادات ، ٣ - جن ، ٤ - الشيطان ، ٥ - شخصيات معنوية (العمل - الموت) ٢ - ثم من حيث طبيعة تكوينها كشخصيات مسطحة ، وشخصيات نامية ، ثم بين البحث الوظيفة الفنية للشخصية من خلال أدوارها الرئيسية والثانوية ، والوظيفة الموضوعية كوعاء للمعاني من ناحية ، وما تمثله من نماذج بشرية من ناحية أخرى ، ثم بين البحث أبعاد الشخصية في جوانبها المختلفة من اجتماعية ونفسية وشكلية .

وأما الحدث فقد كان العنصر المهم الغالب في القصة النبوية ، وهو محط الاعتبار ، ومنبع التطلع والإثارة ، وقد استخدمته القصة كوسيلة جيدة من وسائل التأثير على القارئ أو السامع ، وقد كان الحدث عدة أنواع في القصة النبوية : ١ - أحداث من قبيل القضاء والقدر ، ٢ - خوارق ومعجزات ، ٣ - أحداث غير مألوفة لا تحدث إلا نادراً ، ٤ - أحداث عادية ومألوفة تحدث في عموم القصص وتقع للشخصيات في صورة طبيعية .

وأما الحوار فقد كان مظهراً بارزاً للعملية القصصية في القصص النبوية وجانباً حيوياً في بناء القصة ، وكان منتشرأ في القصة بشكل ملحوظ ، وأنه كان يأتي في القصة في صورة طبيعية أي يبرز من خلال الموقف ، دون أن يقحم على السياق . والملاحظ في الحوار أنه لا يعرض في القصة في مظهر مسرحي بحيث يتم التحاور بين الأشخاص بالصورة المباشرة ، ولكنه يعرض علينا عن طريق الراوي ، بحيث يأتي الحوار مضمناً في السرد ، وهذه هي طريقة القرآن أيضاً في تصوير الحوار ، وقد كان للحوار في القصة عدة وظائف هامة : ١ - المساعدة في رسم الشخصية ، ٢ - تطوير الحدث ، ٣ - تعميق الحدث ، ٤ - المساعدة على تصوير مواقف معينة ، ٥ - التخفيف من رتابة السرد ، ٦ - كشف مغزى القصة ، ٧ - ما يضيفه على القصة من الواقعية .

(٨)

وقد حدد البحث في الفصل الرابع أنواع القصة النبوية ، وبين أنها تبدو في ستة أنواع :

١ - القصة الواقعة للرسول ﷺ ،

٢ - القصة التمثيلية وهى التى ضربها الرسول مثلاً يوضح عن طريقها فكرة ذهنية مجردة ،

٣ - القصة التاريخية ،

٤ - قصص المستقبل ،

٥ - قصص البعث واليوم الآخر ،

٦ - قصص عن أمور غيبية تحدث فى الواقع غير المنظور للإنسان .

(٩)

وفى الفصل الخامس بين البحث أن موضوعات القصة النبوية من النوع الذى يثير فى السامع والقارئ كثيراً من الانفعالات والعواطف ، وذلك بسبب أن فكرة الموضوع لها أثر بارز فى طريقة الأداء القصصى ، بحيث أن الموضوع يتجسد أمام القارئ أو السامع عبر تصور وتعقيد حافل بعناصر التشويق والإثارة ، يضاف إلى ذلك ناحية العمق والفنى فى تلك الموضوعات ، وقد أعطى البحث صورة عن موضوعات القصة فى نظرتها الكلية ، حيث ردها إلى المحاور الرئيسية التى تلتقى عندها كل أفكار القصص ، وهى القضايا التالية : ١ - فى العقيدة ، ٢ - فى الرسول والنبوة ، ٣ - القيم الإسلامية ، ٤ - فى الإنسان ، ٥ - فى الحياة والموت ، ٦ - إرهاصات الساعة ، ٧ - البعث والجزاء .

(١٠)

وفى الفصل السادس بين البحث أن القصة النبوية قصة ملتزمة قبل كل شئ ولذلك فقد جاءت خاضعة تماماً للغرض الدينى بجميع أنواعها ولكن هذا الخضوع لم يحل بينها وبين أن تخرج وفق النسق الفنى فى العرض والبناء ، وقد ترك هذا الخضوع أثراً خاصاً فى طريقة عرض القصة ومادتها بدت فى : ١ - الإلحاح على المادة القصصية فى مواضع شتى ، وفى أكثر من قصة ، ٢ - الاكتفاء بما يحقق الغرض الدينى فى عرض القصة ، ٣ - التوجيهات

الدينية في سياق القصة على أكثر من صورة ، وقد عرض البحث أغراض القصة النبوية الرئيسية ، مبيناً أن بعضها ليس منفصلاً عن بعض . وأن القصة قد تؤدي أكثر من غرض في وقت واحد ، وذلك لأنها أغراض متداخلة . وقد تركزت أغراض القصة في الدعوة والتربية والتسرية .

(١١)

وفي الفصل السابع انتهى البحث إلى ترسم منهج الإسلام في فن القصة وأن التصور الإسلامي كان الموجه لتلك القصص في مضمونها الذي حملته ، وفي تعبيرها الذي نقل ذلك المضمون ، وبناء على أن هذه القصص هي نصوص دينية قبل كل شيء ، حاول البحث أن يستجلي من خلالها وجهة نظر الإسلام نحو الفن القصصي ، وكيف يجب أن يكون منهج هذا الفن ، وما التصور الذي يجب أن ينطلق منه في رأى الإسلام ، وقد عرض البحث لمنهج القصة الإسلامي في حدود ثلاث قضايا هي : ١ - الالتزام ٢ - الواقعة ، ٣ - أساليب الواقعية الإسلامية . وبين البحث أن تلك القضايا ذات أبعاد خاصة بالنسبة للعمل القصصي يمكن أن تثرى الجانب النقدي الإسلامي لدى الناقد ، ولدى القاص في تعاملهما مع التجربة من الزاوية الإسلامية .

(١٢)

ومن نتائج البحث أيضاً أنه قام باستقصاء تسعة مصادر من أمهات كتب الحديث الهامة والوثيقة ، هي الكتب الستة مضافاً إليها الموطأ والمسنند وسنن الدارمي ، استقصاء تاماً ، وجمع منها مائة وتسعة وثلاثين نصاً قصصياً ، وهي تشكل مادة وفيرة يمكن أن تنشر في كتاب ، وقد قدم البحث دليلاً تفصيلياً شاملاً لمواقع تلك القصص في مختلف المصادر التسعة المذكورة وباختلاف مواقع رواياتها ، أيضاً ، مع اختيار عنوان مناسب لكل نص . وذكر راويه من الصحابة .

* * *

وبعد ...

فإن هذه النصوص لاتزال تحتاج إلى وقفة وربما وقفات ، من أجل تعمق أكثر في شتى الجزئيات والدقائق ونظراً لأن هذه النصوص التي أمامي من الكثرة والتنوع بمكان ، فقد كان الغرض الأول المحدد هو محاولة استيعاب الصورة في كلياتها لا في تفاصيلها الدقيقة ، ومن هنا فأنا على يقين كبير في أن النصوص لا تزال حافلة بشتى الجوانب التي يمكن أن تكون موضع دراسة ومناقشة واستكشاف ، ومن حق البحث على هنا أن أنه بذلك ، وحسب هذه الدراسة أنها فتحت الطريق ، وكانت باكورة السير فيه ، ويشرفها أيضاً أن تنتهى كما بدأت بفتح الطريق مرة أخرى في سبيل مسيرة أفضل إلى نتائج أخرى تضاف إلى حصاد هذه المحاولة أو تصحيحها .

ثامناً : أدب الرحلة :

ظهر عديد من المؤلفات في أدب الرحلة الدينية في العالمين العربى والإسلامى ولكننا نخيرنا هنا « في منزل الوحي »^(١) بمقدمته العلمية ، وبتمودحه الأصيل في أدب الرحلة وماتثيره في النفس زيارة الأماكن المقدسة .

ومن مقدمة الدكتور هيكل :

ومع وقوفى موقف الناقد من بعض الشؤون الحاضرة في البلاد المقدسة فقد وجهت أكبر عناية إلى آثار الرسول الكريم فيها ، وجعلت جل همى أن أسير حيث سار : ألتمس ما في حياته من أسوة وعبرة ، وأرجو أن أقف على شيء من السر الذى هيا هذه البلاد لتكون منزل الوحي إلى النبي العربى خاتم الأنبياء والمرسلين . ولم أتقيد في تفكيرى وتأملى أمام شيء مما رأيت بغير منطقتى وعقيدتى الذاتية اللذين كوئتهما الطريقة العلمية الحديثة . فأنا لا أسلم بالعقيدة الموروثة إذا لم يكن لها أساس غير ما وجدنا عليه آباءنا ، ما لم أمتحنها وأمتحصها وما لم أصل من أمرها إلى الإيمان بأنها هى الحقيقة كما يُسيغها عقلى

(١) ط دار المعارف - الطبعة السابعة . من ص ١٣-٢٨ ومن ٤٣٩-٤٤١

ويطمئن إليها ضميري . وأنا لا أحسب الذين يدينون بعقيدة ما لغير شيء إلا أنهم وجدوا عليها آباءهم مؤمنين حقاً . بل أرى واجباً على الإنسان لكرامته الإنسانية أن يحاول ما استطاع فهم ما يُلقَى إليه ، اتصل ذلك بالعقيدة أو بالتشريع أو بالعلم والفن . فإن اهتدى إلى الحق فيه فذاك ، وإلا فليلتبس الهدى عند أهل العلم وليطالبهم بإقناعه . والعالمُ الجدير باسم العالم هو من أقنع سامعه بالحقيقة التي اهتدى إليها عن طريق المجادلة بالتي هي أحسن . فلا إكراه في الدين ، ولا يجارى في الحقيقة متى تبين الرشد من الغي إلا من أضلَّهُ هواه .

ولقد جعلت السير في إثر الرسول غرضي من يوم أتممت مناسك الحج . فقد كنت شديد التوق إلى هذا السير من سنوات ومذ كنت أتابع الرسول خلال الكتب أبحث فيها سيرته ، وكنت أحسب السبيل ميسرة وأناي سأجد عند كل موقف من مواقف الرسول أثراً يدل عليه ويشهد به . ولم يزعزع من ذلك في نفسي ما علمته من هدم الوهابيين القباب التي أقامها من حكموا الحجاز في العصور التي سبقتهم . فالوهابيون إنما استقروا فيه لعشر سنوات خلت . وهذا زمن لا يتيح للنسيان أن يجنى على آثار خلدتها أربعة عشر قرناً متعاقبة . هذا إلى أن القباب ليست كل ما يمكن أن يقام من الآثار . وإذا كنا نحفظ في مصر بآثار ناهضت الدهر خمسين قرناً متوالية فما أحرى المقيمين ببلاد النبي العربي أن يحتفظوا بآثاره وهي أقرب من ذلك عهداً ، وأبلغ دلالة ، وأبقى على التاريخ ذكراً . والوهابيون هم بعد مسلمون ؛ إن أنكروا القباب فلا ينكروا ما سواها من دواعي الذكر والأسوة .

والحق أني لم أجد مشقة في تعرف الآثار التي هدم الوهابيون قبابها . فالأسف على ما صنعوا قد جعل الذين يخالفونهم في الرأي أشد ذكراً لها وجرساً على إسهاد الناس ما حل بها . ولقد شاركت هؤلاء في أسفهم من ناحية لا يفكر أحدهم فيها . فقد كان بين هذه القباب التي هدمت آثار بارعة في الفن لم يكن يجمل بيد تقدر الفن أن تمتد إليها بسوء . لكنني إنما وجدت المشقة في الاهتداء إلى آثارها في تاريخ المسلمين الأولين أثر بالغ ، ولا ترضى أمة

تقدر تاريخها أن تذرّها للنسيان يعث بها وينجى عليها . من ذلك اختلاف الأقوال على موقع حنين حيث كانت الغزاة التي تركت في تاريخ الإسلام أثراً قل كمثله أثر . ومنه اختلافهم على موقع عكاظ سوق العرب جميعاً في الجاهلية وفي صدر الإسلام . وإنما سوّغ الجهل الذي خيم على بلاد العرب من عصر العباسيين هذه الجناية النكراء ، كما سوّغ أمراً لا يقل عنها مكرراً فقد أقيمت آثار لحوادث وقعت وليس في التاريخ ما يدل على أنها وقعت حيث تقوم هذه الآثار ، وأقيمت آثار لحوادث لا يعرف التاريخ الحق من أمرها شيئاً . وتحقيق ذلك كله وبيان قيمته العلمية أمر جدير بكل من يريد الحقيقة . وقد حاولت من ذلك ما استطعت . لكن هذا التحقيق يحتاج إلى أضعاف الزمن الذي قضيته بالحجاز ، ويحتاج مع الزمن إلى بحوث ينقطع لها صاحبها ليقابل بها ما جاء في الكتب المختلفة ، لعله يبلغ من المقابلة إلى ما تستقيم به النتيجة التي يتوحيها . وليس يخامرني ريب في أن هذا العمل لو قامت به بعثة جامعية لوجدت فيه من الفائدة ومن المتاع العلمي ما تهون معه كل مشقة .

وكان حديث الآثار الصحيحة التي وقفت عندها كلّ البلاغة في التعبير عما تدل عليه وتوحيه إلى النفس من آي الجلال والعظمة . فجبل حراء والغار في قمته ، ومسجد عدّاس بالطائف ، ومسجد العقبة وجرمتها ، وحل ثور ومختبأ رسول الله وأبي بكر بالغار فيه ، والطريق الذي سلكه النبي إلى المدينة حين هجرته من مكة ، ومسجد قباء ، والمسجد النبوي والآثار الكثيرة المختلفة بالمدينة ، وميدان بدر حيث وقعت الغزوة الأولى بين قريش ومسلمين . هذه المواقع وما إليها كانت تثير أمام ذهني ذكريات مليئة بالحياة كأنما حدثت بالأمس ، وكانت توحى إليّ معاني الإكبار والإعظام وتزيدني إحلالاً لهذه الأماكن في صمتها العميق لم يغير منه توالي القرون . ولقد كان ما أوحته هذه الأماكن مما حاولت تصويره في هذا الكتاب أبلغ من كل ما استطاع قلبي أن يصفه أضعافاً مضاعفة .

ولقد كشفت لي هذه الآثار عن صورة لبلاد العرب حين بعث الله نبيه بالهدى ودين الحق تختلف أشد الاختلاف عن صورتها في الوقت الحاضر ،

وتختلف عما وقر في نفس الكثيرين من صورتها في آخر أيام الجاهلية . كانت بلاد العرب يومئذ ذات حضارة لاشيء يشبهها في شبه الجزيرة اليوم ، كانت مكة وبعض بلاد الحجاز مدناً تجارية عامرة مزدهرة ، وكانت الطائف ذات الخصب موضع عناية من أهلها بحسن استغلال خصبها وبصيانة سلامتها ، وكان أهل تهامة وأهل الحجاز أولى ثقافة وحكمة وأدب ، وكان العرب على اتصال بالعالم ينقلون تجارتهم بين الشرق والغرب مما زادهم علماً وزادهم براعة في التجارة وأساليبها ، لكنهم كانوا يحيون حياة سياسية أشبه بحياة اليونان القديمة وبحياة بعض بلاد الغرب ، ومنها إنجلترا ، منذ قرون قليلة . كانوا قبائل ومدائن تحتفظ كل منها بوحدها وبسلطانها وتدفع عن حياضها كل من يحاول الاعتداء على سيادتها أو على ثروتها . فلما بعث الله النبي العربي داعياً إلى التوحيد ، ألقى في هذه القبائل قوة في الجدل وصلابة في الاستمساك بعقائدهم ونظمهم . فلما هدى الله الكثيرين من أهل يثرب إلى الإسلام وهاجر النبي إليهم وانتصر بهم وجمع كلمة العرب تحت لواء الدين الجديد ، استطاعت هذه الأمة الفتية المستعدة بحضارتها للنهوض أن تثب إلى حيث وثبت وأن تثب في العالم حضارة هذا الدين الذي اختارها الله لتكون وطنه الأول .

كشفت لي هذه الصورة عن جانب من السر الذي كنت أتمسه والذي كان خفياً عني حين كنت أتصور بلاد العرب كلها ، كما يتصورها الكثيرون وادياً غير ذي زرع لا تصلح مقراً لحضارة يضئ نورها العالم . كان أهلها شديدي المحافظة على عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وكانوا ذوي بأس وقوة في هذه المحافظة . وقد كانت عقائدهم الوثنية تمسكهم دون الوثوب إلى دعوة العالم المفكك الأوصال يومئذ ليستظل بحضارة أجدر بالإنسانية مما كانت تدعو إليه بزنطية وفارس . فلما هدى الله العرب إلى الإسلام كانت تعاليم هذا الدين منارة الهدى للعالم ، وكان النبي ﷺ الأسوة والمثل بأدبه وخلقه وقوته على الحياة لنشر هذه التعاليم وإحياء الإنسانية بروحها السامي . وهذه الأسوة هي ما تحدث به آثاره في بلاد العرب حديثها البليغ الذي تهتز له النفس وتسمو به الروح إلى مراتبها العليا حيث تشرق الأرض بنور ربها ويرى الإنسان فيها فضائل الكون مجتمعة .

والواقع أن ماتوحيه آثار الرسول من هذه المعاني بالغ غاية القوة . وأنت تستطيع أن تجمع هذه المعاني في عبارة موجزة . تكريس الحياة لمثل أعلى يوجه الإنسان إليه جهوده أو يموت دونه مستشهداً في سبيله . وحسبك أن تقف عند كل واحدة من كلمات هذه العبارة لترى الجلال والقوة والسمو على الحياة متضافرة كلها إلى خير غاية . فالمثل الأعلى في الإسلام ماهو ؟ رضا الله بالبر والتقوى ، وحب المرء لأخيه مايجب لنفسه . صُور هذه المعاني السموية صورة مادية وأجعل منها مثلك الأعلى الذي تكرر له جهود حياتك . هذا التصور وحده عظيم شاق يقتضيك مجهوداً جسيماً . أنت تريد الغنى مثلاً أعلى لك . فليكن ! لكن يجب أن تبتغى به رضا الله وأن تكون في تحصيله برّاً تقيّاً . وألا تعامل الناس في تحصيله إلا بما تحب أن يعاملوك به من أراد منهم مثلاً غايتك . وذاك يرى جاه الحكم مثلاً أعلى له . فليكن ! لكنه يحب أن يسعى بالحكم رضا الله وأن يكون فيه برّاً تقيّاً لا يعامل غيره إلا بما يحب أن يعامله الغير به إذا ولى أمره . فإذا صُور المرء مثلاً الأعلى وجب عليه أن يسعى إليه غير وان يوجه إليه كل جهوده وأن يستهين في سبيله بكل تضحية وإن كانت بالحياة ، ولا عليه إن أصابه مكروه ما دام رضا الله مبتغاه ، فكان لذلك برّاً تقيّاً مؤمناً بالأخوة الإنسانية ، محباً لإخوانه المؤمنين مايجب لنفسه ، راحياً هو الخير وأن يبلغ كل من مثله الأعلى مايودّ هو أن يبلغه من المثل الذي جعله نُصَبَ عينيه وغرض حياته .

لكن الأمثال العليا تتفاوت تفاوتاً عظيماً . وأسمى الأمثال لا ريب مدحت الله به نبيه هدى للناس ونوراً . ولقد بلغ من إيمان العرب في الصدر الأول بهذا المثل أن جعله كل منهم غرض حياته ، وأن أخضع له كل مافي الحياة من غرض دونه ، وأن كان الاستشهاد في سبيله أملاً يتمنى أن يجعله الله نصيبه . فهذا الذي اتخذ التجارة حرفة له في الحياة ووقف لها جهوده كان يعمل في تجارته حظاً معلوماً للسائل والمحروم ، وكان يهب نفسه لله يوم يدعو الداعي إلى الجهاد في سبيله . ذلك لأن الدين الجديد علمهم أن الأمة يجب أن يكون لها ، كما يجب أن يكون للفرد ، مثل أعلى ، وأن المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها

أمة واحدة في سبيل الله يتحابون بنوره بينهم ، ويبذلون في سبيله مهجهم وأرواحهم . يعلمون الناس بذلك أنه لا إله إلا هو ، لا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وأنه جلّ شأنه برأ الناس ليتعاونوا على البر والتقوى حتى يبلغوا بالإنسانية كمالها ؛ فإن بغت طائفة منهم فقد وجب عليهم جميعاً أن يقاتلوا الباغي حتى يفىء إلى أمر الله .

هذه المعاني السامية هي تعاليم النبي العربي وتعاليم الإسلام ، وهي ما توحىه آثاره ﷺ إلى من يقف عندها في بلاد العرب . ولقد كان من أثر هذه التعاليم أن صارت بلاد العرب محط أنظار العالم كله في حياة الرسول وبعد اختياره الرفيق الأعلى . امتد الفتح الإسلامي في عهد أبي بكر وعمر إلى بلاد الإمبراطوريتين الرومية والفارسية ، ثم تخطاها إلى ما وراءهما من أنحاء العالم شرقاً وغرباً حتى بلغت الحضارة الإسلامية فيما دون المائة من السنين ما لم تبلغه حضارة غيرها في قرون متعاقبة . كان الرجل في أقصى الصين يذكر فتح العرب بلاد المغرب والأندلس ، وكان المسلم في مصر وفي بلاد المغرب يتحدث مفاخرًا بفتح جيوش الإسلام بلاد البوذية والكنفشيوسية . وحيثما امتد الفتح رفر لواء الإسلام وشهد الناس أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأخذوا بتعاليم الدين الجديد وتفقهوا فيه . وأبناء العرب في هذه الوثبة الأولى يتباهون فخراً بما يعم على أيديهم كل يوم من معجزات لم يتأت لغيرهم في مختلف العصور أن يأتوا بمثلها ويكادون يحسبون أن الله قد نصر دينه على الدين كله منذ هذا العهد الأول .

وأقبل أهل شبه الجزيرة على الفتح وجعلوا يزدادون منه ثراءً ويزدادون بأنعم المال متاعاً . وخيل يومئذ إليهم أن العهد الذهبي الذي فتح الله لهم أبوابه لانهاية له وأنهم ناهلون من ورده هم وأبناؤهم وحفداتهم أبد الآبدين ودهر الداهرين حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولم يدر بخلد أحدهم وهو يعبّ من هذا النعيم أن للزمن دورته ، وأن لكل يوم غده ، وأن الله مغير ما بقوم يوم يغيرون ما بأنفسهم .

ولقد غيَّروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم ، حتى صاروا إلى حال تبعث
الحسرة إلى النفس . أنت اليوم تقطع عشرات الأميال ومثاتها فلا ترى الحضارة
بل حياة مظهراً . وفيما خلا المدن القليلة ، لا أعرف منها غير مدن الشاطئ
وغير مكة والمدينة والطائف ، أنت لاتقف على الطريق المأهولة إلا عند نجح هنا
ومُخَيِّم هناك . مابالك بما سوى الطرق المأهولة مما تترامى به البادية الفسيحة !
إنك من ذلك في مهمة لايعرف غير الأفق حدًا . وكلما أعذذت السير أو
انطلقت بك السيارة تطوى الأميال إثر الأميال تراجع الأفق أمام ناظرك ولم
يكشف جديداً . فإذا مرّ بك سانح من الطير أو ضارب في البداء وراء بعيره
سَعِدْتَ بهذه المصادفة من الحياة سعادة راكب البحر شام سفينة تمخر العتاب
على مرمى النظر . وليس فيما يصادفك من ذلك إلا ما يزيدك حسرة على
ماهوت إليه هذه البلاد من درك الهمجية ، وهى التى وثب بها الإسلام تلك
الوثبة فأضاء العالم بحضارة ظل ينعم بها قرونًا عدة متوالية ، نقل المسلمون
أثناءها آثار التفكير الإنسانى فى اليونان القديمة وفى الهند وفى فارس ، مهد
لهذه الحضارة الحالية التى ينعم العالم اليوم بها ؛ ثم يُتهم هذا الإسلام بأنه السبب
فى تأخر بنيهِ والذين يدينون به .

وقفت غير مرة إزاء هذه الظاهرة أسائل نفسى وأسائل غيرى عن سببها .
ولم يكن الاهتداء إلى السبب عسيراً ؛ فهؤلاء العرب الذين وثبوا الوثبة الأولى
على عهد النبى وفى صدر الإسلام قد أقام الكثيرون منهم فى بلاد غير بلادهم .
ولئن لم ينس الكثيرون منهم تعاليم دينهم لقد نسوا الغرض الأسمى الذى يدعو
هذا الدين إليه ؛ تفتحت لهم كنوز الأرض وتدفقت عليهم خيراتها فشغلوا بها
وبتنظيم شؤونها ، وبذلوا فى ذلك من الجهود ما حسبه يساوى تثبيت دعائم
الإيمان الصادق فى نفوس الذين دانوا للإسلام . اكتفوا بأن يُعلِّموا الناس
فروض هذا الدين دون أن يفقهوهم فيه . وجعلوا غاية الفقه تنظيم علاقات
المال فى الحياة وفيما بعد الحياة . أما الإيمان الصادق الذى أضاء العالم ووثب
بجزيرة العرب فقد اختص بالنظر فيه أهل الكلام وعلماءه . من ثمَّ شغل
المسلمون بالحياة الدنيا عن الآخرة ، وبالعرض عن الجوهر ، وبحكم الناس عن

سياسة أمورهم في دينهم ودنياهم . ولذلك كثرت الثورات وكثر الانتفاض
وعم الاضطراب ، واتخذ الملوك من العلماء والفقهاء ألسنة دعايتهم للدفاع عن
ملكهم ، كما اتخذهم الثائرون ألسنة دعايتهم لتسويغ ثورتهم . وإذا كان مافي
بلاد العرب من ثروة لا يغني غناء مافي الشام وفارس ومصر والأندلس . فقد
انتقل مقر الملك من المدينة إلى دمشق وإلى بغداد وإلى القاهرة وإلى قرطبة .

من يومئذ بقيت بلاد العرب يحكمها من تؤول إليه الخلافة وإمارة المؤمنين .
ولقد حرص هؤلاء الملوك في العهد الأول على استرضاء العرب وإغراقهم في
الأعطيات وفي الجاه . كذلك فعل بنو أمية ، وكذلك فعل الأولون من
بنو العباس . ولم يكن لهم محيص من أن يفعلوا وبلاد العرب كانت بعد ذات
حضارة لم تقوض دعائمها ، وأبناء العرب كانوا بعد أولى الأمر في المملكة
الإسلامية . فلما اشترك الفرس والتتار في بلاط بنو العباس ونازعا العرب
الحكم ، بدأ المال ينقبض عن أهل شبه الجزيرة باعتباره حقاً من حقوقهم ،
وبدأ الملوك والأمراء يُنعمون عليهم بألوان من الإحسان مختارين مشكورين ،
وَمُ يُعْنِ أهل بلاد العرب بالتفريق بين الحق والإحسان بعد أن نزح الأكثرون
من أبنائها الأصليين عنها وحل الأجانب من رقعة المملكة الإسلامية محلهم
فيها ، وزاد في عدم عنايتهم بالتفريق أن بدأ الجهل يخيم عليهم كما بدأ يخيم على
غيرهم من بلاد المسلمين . على أن بلاد العرب كانت أسرع من غيرها انحداراً
إلى هاوية الجهل بعد أن فقدت بهجرة أبنائها العنصر الأساسي من مقومات
الحياة القومية ، وبعد أن نزح العلماء والفقهاء والأدباء إلى العواصم التي بعدت
عن بلاد العرب حتى صارت العلوم والفنون جميعاً غريبة عنها . -

ولم تنهض البلاد الإسلامية المقدسة من بعد ذلك إلى يومنا الحاضر ، لأن
الدولة الإسلامية هوت إلى حضيض الجمود والجهل . فأما اليوم ففي بلاد
العرب توثب إلى نهضة جديدة تكاد تضارع مافي غيرها من البلاد الإسلامية
الأخرى .

وقفت عند هذه الظواهرات غير مرة أحاول تحليلها ، لكنني لم أقصد من هذا
التحليل إلى تفصيلها . فالتفصيل يتناول تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، أو الأمم

الإسلامية إن شئت ، خلال ثلاثة عشر قرناً متوالية ، وهذا جهد عظيم لا يتسنى لفرد أن يقوم به ، وميدانه ما يزال بكراً في حاجة إلى تنظيم علمي دقيق . والغاية التي أبتغيها من وقوفي عند هذه الظواهر لا تتناول من هذا الميدان إلا جانباً عاماً يتصل ببلاد العرب وأسباب تأخرها على القرون منذ العهد الإسلامي الأول إلى زمننا الحاضر . ثم لم أرد فيما ابتغيته من ذلك سرد تاريخ العرب وهجرتهم من بلادهم ، أو ذكر من حل محلهم فيها . إنما اكتفيت بالإشارة إلى ذلك لأبين أن التأخر مرجعه إلى أسباب سياسية واجتماعية لا أثر للعقيدة ولا للدين فيها ، وإلى أن العقيدة والدين تأثرا ، كما تأثر العرب والمسلمون ، بهذه الأسباب السياسية والاجتماعية ، وأن من اليسير لذلك أن يعود العرب والمسلمون سيرتهم الأولى . وحسبهم أن يغيروا ما بنفوسهم ليغير الله ما بهم .

ليس هذا الكتاب إذن مرجعاً من مراجع التاريخ الإسلامي ، ولا شيء فيه من تقويم بلاد العرب . إنما هي وقفات وقفها في بلاد الوحي ومنزله أستوحى فيها مواقف محمد عبد الله ونبيه ورسوله . وهناك في هذه المواقف تجردت نفسي وسمت روحي وكررت بالعصور والقرون أطوبها ورحت أتمثل هذا الهادي الكريم وأتمثل المسلمين من حوله أتمس في ذلك الأسوة والعبرة آملاً أن أشرك فيهما إخواني المؤمنين بالله وبما جاء من عند الله . لم أتقيد في هذه المواقف بما جاء في كتاب غير كتاب الله الكريم ، ولم أخضع تفكيري لحكم غيري . وما كان لي أن أخضعه وقد كنت أحس في كثير من هذه المواقف أنني بين القوم أسمع وأرى وأتمنى لو كنت أجاهد معهم فأفوز فوزاً عظيماً . وما كان لي أن أفعل ثم أخدع نفسي فأزعم أنني إذ أحدث الناس إنما أقص عليهم ما رأيته وما أحسست به ، في حين لا أقص إلا ما رأيته غيري وما سبقني إلى تسطيره . لقد تركت نفسي على سجيتها ، تتوجه بروحي وروحي وتستلهم الحق مما حولي ، وتستعرض ما تستلهم على حكم عقلي وتقدير ضميري ، ثم سطرت ما اجتمع من ذلك لا أبغى به إلا رضا الله وحسن ثوابه . فليقل هذا أو ذاك من كتاب المسلمين أو غير المسلمين عن أي من هذه المواقف ما شاء ، وليستند في

حكمه أو رأيه إلى أى سند يطيب له أن يستند إليه . إنما ذلك قول له عندي احترامه ما اطمأنت إلى حسن القصد فيه ، لكن . للحكمى المكان الأول من احترام عندي . وإذا لم يكن من حسن القصد أن نعجل بالحكم قبل أن نطمئن إليه وقبل أن نعلم بين أيدينا أسبابه ، وكانت العجلة طيشاً غير جدير بمفكر يحترم عقله ، فليس من حسن القصد ولا من احترام المفكر عقله أن يَنَحِل نفسه حكم غيره قبل أن يمحّصه حتى يطمئن ضميره إليه . ومن الجمود الذى لا يقاس إليه طيش أن نأبى تقليب الأمور على وجوهها جميعاً حتى نطمئن إلى بلوغ غاية مانستطيعه من الحق فيها .

لم ألبث حين تبينت هذا الأمر أن دعوت إلى احياء حضارتنا الشرقية ومصدر الحضارة سنا الأرواح المضيئة ، وقوامها وثبة النفوس القوية . والأرواح تضيء ما اتصلت بروح أقوى سلطاناً وأبهر سناً ، كما يضيء سلك البلاتين إذ يصهره تيار الكهرباء . وكم فى ماضينا من أرواح ذات سناً باهر قادرة بقوتها على أن تبعث الحضارة الإسلامية خُلُقاً جديداً ، كما بعث فلاسفة اليونان الحضارة الغربية الحديثة . ومحمد بن عبد الله هو النور الأول الذى استمدت هذه الأرواح منه ضياءها ، وهو الشمس التى أمدت كل هذه الأقمار بسناها . لذلك جعلت سيرته موضع دراستى فى « حياة محمد » وجعلت مواقفه « فى منزل الوحي » مصدر إلهامى لما تنطوى عليه من تعاليم أوحاها الله إليه كلها السمو والقوة والجلال والعظمة . فأين هذا من تملق الجمهور أو متابعتهم التماساً لرضاه .

لايسعك إذ تقف أمام هذه الأسماء والظواهرات إلا أن تقف موقف تواضع وإكبار . ولكن أين هذا من موقفى أمام آثار الرسول الكريم فى منزل الوحي ! ماكان أعظمه فى تحننه ! وما كان أعظمه فى دعوة قومه إلى الهدى ، وفى صبره على أذاهم ، وفى تأديبه المسلمين بأدب القوة على الحياة ! وما كان أعظمه فى هجرته وفى غزواته ، وفى عفوه وحلمه ، وفى تقواه وعدله ! . نعم ! ماكان أعظمه فى كل صفاته وفى كل أعماله ! . ولكن هذه العظمة التى لاتدانيها عظمة تصبح أمراً إنسانياً إذا ذكر الوحي وذكر اتصاله بربه وما رأى من آياته

الكبرى ، وهنا يبلغ السمو إلى حديث لا تدرك الإنسانية منه بعض المدى ، ولا يسع الإنسان إلا أن يكرر قوله تعالى :

« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أُوْحَىٰ . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ » . وهنا يحاول العقل أن يسمو فوق نفسه ليدرك هذا الأفق الأعلى . وهيئات أن يدركه والعلم ما يزال إلى اليوم محدود الأفق قاصراً دون تفسير الكثير مما يقع عليه الحس . أفرجعية أن يقف الإنسان في منزل الوحي يحاول السمو إلى أن يفهم كيف كانت صورته ؟ أم رجعية أن يقف الإنسان عند آثار صاحب الوحي يلتبس فيها الأسوة والعبرة ؟! إن يكن ذلك ظن أصحابي فأحيب إليّ بها رجعية أستسيغها .

وأدع الإشارة إلى محاولات قام بها السلف ولا يزال العلماء من أهل عصرنا يعالجون القيام بمثلها ابتغاء الاتصال بالعالم في وحدته التي تشتمل الزمان والمكان ، وإلى محاولات غيرها يتغنى العلماء بها تفسير هذا الاتصال على الطريقة العلمية الحديثة . وأدع الإشارة كذلك إلى أن المذاهب الفلسفية ترمى كلها إلى تصوير الكون بدءاً وغاية ، وإلى أنها تستمد هذا التصوير من وحي الحياة بما كان منها وما يكون ، وما كشف عنه العلم وما يزال مطويًا في سر الغيب . وهذه المذاهب تقتتل ويتهم بعضها بعضاً بقصور وسائله عن ذرّك الغاية ، أو بنزوع وسائله منزعاً لا يقف في حدود العلم وطريقته ، بل ينحو نحو المنطق التجريدي « الميتافيزيقي » المتهم في نظر الواقعيين بالرجعية . فلو أنني حاولت هذه الإشارة لطال بي الاستطراد إلى ما لا يتسع له هذا التقديم ، ثم لرأى القارئ أمثال « برجسون » صاحب نظرية الإلهام والتطور المنشئ يُعَمَزون برجعية كالتى أغمز اليوم بها . وحسبى عزاء أن ما غمزوا به لم يخل

بين الجمهور المثقف والعناية بمذاهبهم ، حرصاً من هذا الجمهور على اجتلاء الحق الذى تنطوى هذه المذاهب عليه . بل إن هذا المغمز بالرجعية ليزيدنى غبطة بمل لقيته بحوثى هذه من عناية القراء والباحثين بها عناية كانت الشهيدة على محبائى الله من توفيقه فى التحدث إلى الناس حديثاً يروونه جديراً بالاستماع له .

على أن هذه الرجعية التى زعموا قد أتاح لي أن أقوم فى مواقفى هذه بالبحوث التى أشرت إليها عن شؤون من بلاد العرب اختلفت الآراء عليها فى عصور الإسلام المختلفة . وإذا لم أكن قد تعمقت فى هذه البحوث ، لأننى لم أقض بالحجاز إلا ستة أسابيع ، ولم أنفق للبحث بعد ذلك من وقتى إلا ما قضت به الحاجة لتأليف هذا الكتاب ، فلشّد مايسرنى لو يمهّد مجهودى لبحوث جامعية أدنى إلى الدقة فى تصوير الحقيقة ، بعد إذ بلغت أنا منها حظاً أغتبط له فى مسائل شتى خالفت رأى الجمهور فى بعضها . وإنى لأترك الحكم على هذه النتائج لمن اختصوا ببحث هذه الشؤون ، كما أترك لهم تقدير ماخالفت الجمهور فيه بعد أن رجعت إلى مصادر البحث العربية والأجنبية التى أتيح لى الرجوع إليها ، وبعد أن استعنت فى ذلك بمن أمدونى بمعلوماتهم ومن عاونونى فى تقصى المراجع المختلفة .

هذا بعض ما جاء فى المقدمة أما نصنا المختار فهو :

فى المسجد النبوى

وتخطّيت باب السلام أتبع مضيفى وفى ذهنى من هذا المسجد النبوى صورة خيلها فيه ما اطلعت عليه من كتب الرحلات إلى الحجاز وما فى هذه الكتب من أوصاف وصور شمسية . وتخطّيت باب السلام وكلّى التّوق للوقوف أمام الحجرة النبوية والسلام على صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام . وكنت أحسب بعد الذى رأيته بمكة والطائف وطريق المدينة من آثار أننى ألقت هذه الآثار ، فلم يبق منها ما أخشى النظر إليه بعين الباحث ، لا أستثنى من ذلك إلا قبره الكريم حين أقف أمامه . لذلك أقمت داخل الباب أنتظر « المزور » الذى أوماً مضيفى إلىّ بانتظاره ، وأكاد أحسب أنى لن أرى

في طريقى إلى الحجرة النبوية إلا ما أعرف . لكننى ما لبثت حين تقدمت في المسجد خطوات فاشتملتنى شفقهُ الرهيب أن نسيت ما كان ماثلاً في ذهنى من صور المسجد والحجرة مما اطلعت عليه في الكتب أو سمعته من حديث من سبقونى إلى هذا المكان ، فما كان من ذلك فى نفسى إنما كان صورة وعاءها خيالى ، ، وهأنذا الآن أواجه الحقيقة ذاتها . أشهدُها بعينى وألمسها بجوارحى . وماعسى أن تغنى الصورة عن الحقيقة أو يغنى الخيال عن الحس ! . وانجابت الصورة وانجاب الخيال وسرت أتبع مزورى نحو الحجرة ، مأخوذاً بما حولى ، منصرفاً مع ذلك عن كل ماحولى . امتدت عن يسارى غابة من العمد الضخمة البديعة الصُّقل ، وهبط من نوافذ المسجد الرفيعة فى حداره القائم عن يمينى ضوء منهم لم يحجب الأشعة المنبعثة من مصابيح الكهروء منسطة على السجاجيد الثمينة التى نسير عليها . مع ذلك لم يشخص بصرى إلى العمد ولا ارتفع إلى النوافذ ولا استقر على السجاجيد ، بل سرت مندفعاً أمامى كاسر الطرف خشوعاً ورهبة ، ممتلىء القلب من سيرة الرسول الكريم ، تتواتر فى نفسى دراكا مواقف العظمة والجلال منذ بعثه الله نبياً حتى اختار الرفيق الأعلى . ثم تقف النفس عند هذا المكان الذى أخطو فيه والذى حطاً ﷺ فيه سبى مقامه بالمدينة ، والذى شهد من أمر الله ووحىه إلى نبيه ورسوله ، ومن وقوف المسلمين الأولين حافين من حوله ، ماجعلى أنسى كل شيء إلا هذه المواقف التى غيرت وجه العالم بعظمتها وجلالها ، وبفضل الله ومشيتته ، وبإيمان المسلمين الأولين بالله وبرسول الله .

وبلغنا الحجرة النبوية ، ووقف مزورى واستوقفنى قنالة قبر الرسول الشريف . فلما اطمأنت مكانى إزاء المقصورة الجميلة أشار إلى فتحة فيها هى شباكها ، ثم تلا وتلوت من بعده : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . نشهد أن نبى الله ورسوله قد بلغ رسالة ربه وجاهد فى سبيله حتى أتم الله النصر لدينه ، وأنه وفى بوعدده ، وأمر ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له » ثم تحركنا خطوة صغيرة ووقفنا بها من المقصورة إزاء قبر الصديق أبى بكر وسلمنا عليه ، وتحركنا خطوة صغيرة أخرى ووقفنا بها إزاء قبر الفاروق عمر ابن الخطاب وسلمنا عليه ، ثم تلونا الفاتحة .

أُقيمت مكانى هنية شائخصا إلى هذه الحجرة ، مأخوذ الذهن عن التفكير ، متجها بقلبى إلى هذا الدليل الذى يتلو أمامى ما يقتضى الموقف تلاوته ، حذرا أن يفوتنى منه شىء ، وكأئننى فى حضرة ملك أؤدى مراسم الإجلال والإكبار . كلا . بل كان الموقف أكبر من حضرة ملك ، فقد لقيت ملوكا وتحديث إليهم ، ولقيت بعضهم وما أزال فى صدر الشباب ، فلم أجد للقياهم مثل هذه المهابة ولا امتلأت نفسى أمامهم بشىء من هذا الإكبار . ووقفت أمام قبور الملوك وفراعين وبراطرة وعظماء فلم أشعر بشىء من الجلال الروحى الذى أحد على تفكيرى المسالك وأنا فى هذا الموقف . وأشهد لقد كنت فى حيرة ما أصنع . وإنما أنقذنى من هذه الحيرة أن دعانى المزور لأذهب إلى الروضة النبوية فأؤدى بالصلاة فيها وراء الإمام فريضة المغرب . تقدمنى مضيفى عائداً نحو باب السلام ، فكان جدار المسجد الذى به محراب القبلة إلى يسارى ، وكان إلى يمينى حاجز يرتفع إلى مافوق قامة الرجل صُنع من أعواد صفر لعلها من النحاس أو من حديد طلى بلون النحاس ، واتصل بينها شبك من لونها . وهذا الحاجز يقوم على حدود الرواق الجنوبى الذى نسير فيه فيفصله عن الروضة النبوية ، ويمتد على طول الطريق من الحجرة إلى مقربة من باب السلام . على أنا لم نكد نتوسط هذا الطريق حتى دخلنا الروضة من باب فى الحاجز لم تعنى الفرصة على الوقوف عنده وإنعام النظر فى صنعه ، فقد ألفتنى وسط جمع زاهر جلس فى صفوف متراصة ليس بينها مكان لواقف . أخطى هذه الصفوف لعلى أجد لى فيما وراءها مكانا . وهممت أن أفعل لولا أن أوماً إلى مضيفى فوقفت ، وأسرّ حديثاً إلى رجل من خدم المسجد فأرشدنى الرجل إلى مكان أقف به فى الصف الأول من الروضة إلى جوار منبر لم أشك أنه منبر الرسول . وهمّ يناولنى كتاباً فى يده ، فألفانى وأسرعت إلى إقامة الصلاة تحية للحرم وللروضة وسلاماً على صاحبها عليه السلام . فلما فرغت من الصلاة مَدَّ إلى يده بالكتاب ، وفتحها فإذا هو مصحف مخطوط مذهب جميل . والتفتُ فرأيت فى يد جارى اليمين كتاباً صغير الحجم أدركت أنه دلائل الخيرات ، لأننى عرفت من قبل أن بعضهم يتلوها حيناً ويتلو فى المصحف حيناً آخر كلما جاء إلى الروضة . ومددت البصر إلى اليمين فوقع على

مقعد فوقه عدد عظيم من المصاحف والدلائل ، وإلى جانبه كراسى من الخشب المطعم يستعين بها بعضهم فيجعل عليها المصاحف أو الدلائل أثناء التلاوة فيها . وتستند المصاحف والدلائل الموضوعة فوق المقعد إلى المنبر النبوى الذى تنتهى الروضة بعده . ولم أحاول التحديق فى المنبر تحديق الفاحص ، لأن حالى النفسية فى هذه اللحظة لم تكن حال فحص أو تحقيق ، بل كانت حال عبادة وتهجد وتوجه خالص إلى الله .

الفصل السادس

فنون التعبير

الفصل السادس فنون التعبير

أولا : العوامل التي أدت إلى فصاحة الرسول ﷺ :

نوجز فيما يلي أهم الافكار التي خلص إليها مصطفى صادق الرافعي في كتابه (اعجاز القرآن والبلاغة النبوية) .

(أ) نشأته ﷺ :

نشأ النبي ﷺ في أفصح القبائل وأخلصها منطقا ، فكان مولده في بني هاشم وأخوانه في بني زهرة ، وتربيته في بادية سعد بن بكر وكانوا من العرب الضاربة حول مكة - وكان كبراء مكة - ولا زالوا يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل طلبا لاحكام اللهجة العربية وصحة النشأة وحرية النزعة ومتزوجه في بني أسد ومهاجرته إلى بني عمرو وهم الأوس والخزرج من الانصار فكان فصيحاً ولذا يقول القرآن ردا على الكفار عندما قالوا ان محمدا أخذ القرآن من أحد الكتاب ، فقال سبحانه وتعالى : (وهذا لسان عربي مبين) فالنشأة لها أثر خطير في أسلوب الانسان وبلاغته .

(ب) خصائصه الجسمية والعقلية واللسانية :

والتي كان لها أثر كبير في فصاحته فلم يكن فيه عيب من عيوب النطق لذا كان كلامه مطبوعا بهذا الطابع إضافة إلى ذكائه وصفاء نفسه ونفاذ بصيرته ، وكانت شخصيته منبسطة واضحة ولذا جاء كلامه سهلا واضحا وصفاته الجسمية كانت في مجموعها مظهرا للقوة والجمال

(ج) أثره في العرب وأثر العرب عليه :

كل انسان على ظهر الكون لابد أن يؤثر ويتأثر ، فالرسول ﷺ تعلم من البيئة الفصاحة والكرم والشجاعة والصدق ولكن رفض أشياء عديدة كالخمر

والميسر وغير ذلك من مساوىء الاخلاق ثم هو بعد ذلك قلب المجتمع الذي كان فيه رأسا على عقب بقيادته الحكيمة الممتازة بعون من الله عز وجل .

(د) الادب :

إذ هو صورة معبرة عن الشخصية فلو قرأنا مثلا خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي والتي ألقاها عندما تولى امرة العراق ، يتضح لنا من خلالها أنه رجل دموي معتز بشخصيته وقوته .

فحديث الانسان أو أدبه دلالة أو صورة من شخصه وقياسا على هذا الكلام فمن خلال أحاديث الرسول ﷺ نستطيع أن نستنتج شخصيته .

وهذه البلاغة كانت توفيقا من الله وتوقيفا فلو قارنا بين فصاحته ﷺ وغيره من فصحاء العرب لوجدنا أن هؤلاء الفصحاء كل منهم يتكلم بلغته ولهجته والتي قد لا يفهمها غيره ممن لا يتكلم بهذه اللهجة كما أن هؤلاء الفصحاء قد يجيدون مرة ويخطئون مرات ، أما الرسول ﷺ فقد كان كلامه على مرتبة واحدة من البلاغة الممتازة ثم إن الله عز وجل بالهامه وتوفيقه له ﷺ قد علمه لغات ولهجات القبائل العربية ولذا كان يخاطب كل قبيلة بلهجتها حتى أن عليا رضي الله عنه قد سأله فيما معناه .. يارسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا يعرف أكثره .. فقال ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي .

كما أن فصحاء العرب كانوا متدرجين بين الفصيح والافصح ، وبين خشن الالفاظ لايسعفه الكلام وبين منطلق فكانوا مختلفي المنازل والخصائص بينهم الأجود وبينهم الاسوأ وهذا لم يكن ليتصف به رسول الله ﷺ فكما قلنا إن كلامه كان على مرتبة واحدة من الفصاحة .

ثم إن اللغة قد كاشفته بأسرارها وكشفت له مغاليقها يأخذ منها ما شاء وهذا معنى التوفيق أرى أن الله عز وجل الذي خلق الكائنات وعلم الناس اللغات

أطلع رسوله على أسرار هذه اللغات ، فالرسول قد أحاط أحاطة كاملة شاملة بأسرار اللغة حيث استطاع أن يمتلك ناصية التعبير في اللغة العربية ويعرف معاني لغاتها ، وهذا ما لم يتوفر لغيره ، ولو عرف في التاريخ من باري الرسول ﷺ في فصاحته لتحدث التاريخ بذلك ، وهذه الصيغ والتراكيب لم يتعلمها الرسول وإنما ذلك كان بتوفيق من الله .

والقرآن ليس وحده معجزة الرسول ﷺ بل إن حياته ﷺ كانت معجزة في حد ذاتها حين كان الرسول يخاطب العرب لم يكن يعيا بل كان منطلقا وكانت له الغلبة والفوز عليهم في حجته واقناعه وفصاحته ، وهذا في حد ذاته معجزة فهو لا يفوز أمام مجموعة وينهزم أمام أخرى بل كانت له الغلبة مع العرب جميعا عندما يناقشهم .

(هـ) اللهجة القرشية :

وكانت لهجته ﷺ القرشية وهي اللغة الراقية المهذبة التي يتحدث بها أفصح العظماء وأشعر الشعراء لاعتبارات منها سيادة قريش على القبائل وإن مكة كانت مجمع القبائل جميعا في مختلف المواسم الدينية والادبية لذا كانت اللهجة القرشية لهجة مصطفاة منتقاة .

فالرسول ﷺ حقيقة لم يتعلم كما جاء في القرآن (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) ... وهذه القدرة اللغوية جاءتته عن طريق الممارسة وساعده عليها ماسبق وقدمناه من ظروف نشأته حيث أتيح له في حياته أن يتمرس تمرسا لغويا يفيد منه في اكتساب المهارة اللغوية إلى جانب الفطرة السليمة والبصيرة النافذة والتي كان يتمتع بها في ذلك ساعده ليفيد منها خير فائدة ، ودليلنا على ذلك قوله ﷺ : (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) فإذا كان الرسول ﷺ أرقى الراقيين وخلاصة الخلاصة من قريش فهذا دليل على بلوغه أعلى مراتب الفصاحة والبيان ...

وأخيرا يتضح لنا من قول الجاحظ أن العرب أقرروا بفصاحته ﷺ وأنهم لم يجدوا له نظيرا ولو وجدوا لعارضوه به ، ثم يلاحظ الجاحظ طريقة أداء

الرسول أنها طريقة سمحة ليس فيها تكلف تواتيه الألفاظ وتسعفه المعاني ولا يعرف عنه عبارة ضعيفة ولا معني باطل ولم تضعف فصاحته في موقف من المواقف .

وخلاصة الامر سواء في الفترة أو في النطق أو في العبارة كان في أعلى مراتب الفصاحة مما يندر بل يمتنع نظيره في البيئة العربية - كذلك فالعرب لم تعرف عن الرسول شائبة فصاحة ، فالله عز وجل قد عصم رسوله ﷺ من أخطاء البشر فكانت عبر ذاتها معجزة ، كذلك فاللغة قد كشفت عن أسرارها وأعطت كل ما فيها من ثروة المعاني والألفاظ .

ونقول أن الرسول ﷺ في بداية دعوته ومنذ أول انطباع للعرب عن أفصح الفصحاء الجديرين بأن يجلس إليهم العرب ويتعلمون عليه وهو يتلو القرآن تلاوة فصيحة وتفسير في أعلى بيان ويجيب السائلين في عبارات بليغة ، واستمر على هذا النمط منذ بدء دعوته إلى انتهاء حياته ولو عرف العرب عنه غير ذلك لما جلسوا إليه ولردوا إليه القرآن أو لرفضوا أن يستمعوا إلى القرآن ، ولم يحدثنا التاريخ بأن شيئا من ذلك قد وقع ...

ثم لو رجعنا إلى المقارنة بين كلامه وكلام غيره من فصحاء العرب لوجدنا المثقفين منهم يستغرقون وقتا طويلا ينظمون وينقحون ويهذبون ويحذقون حتى يظهروا كلامهم للناس ، أما الرسول ﷺ فلم يكن ليستغرق هذا الوقت كله بل كان يجيب السائل فور سؤاله بعبارة فصيحة بليغة ، ورغم استغراقهم هذا الوقت كانوا لا يسلمون من عيوب الكلام كالإطناب في موضع الإيجاز والإيجاز في موضع الإطناب ، وبالعكس ثم أن معانيهم كانت متكررة يتوارثها جيل عن جيل ولو اختلفت الفاظها كالمديح والرثاء والوصف أما معانيه ﷺ فلم تسبق ولم تلحق ، متعددة الأغراض وألفاظه كان عنده خادما للمعنى والمعنى سابق للفظ وعندهم العكس فيأتي المعنى تابعا للفظ .

ثانيا : كتاب إعجاز القرآن والبلاغة العربية لمصطفى صادق الرافعي

عرض فيه للبلاغة النبوية من الزوايا التالية :

بلاغة الرسول - مفهوم الفصاحة - الأسلوب والرجل - دراسة الجانب الصوتي - الإيجاز بواعثه وأغراضه - الرسول وموقفه من الشعر - لغة الرسول ﷺ - الموازنة بين البلاغة القرآنية والبلاغة النبوية - سمات البلاغة النبوية .

ثالثا : معالجات (الشريف الرضي) في كتابه (المجازات النبوية) :

نصوص حديث

النص : (هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها) وفي رواية أخرى (قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها) .

المناسبة : قالها الرسول ﷺ عند خروجه إلى بدر للقتال وقد خرجت عليه قريش بجيش عظيم ، وكان المسلمون قد ظفروا ببعض فراطهم (الفراط الذين يسبقون الجيش في ارتياد الماء واصلاح أحواضه) وأتوا بهم الرسول ﷺ فسألهم عمن خرج في ذلك الجمع من علية قريش فعينوا له أسماء وأشخاص وحينئذ نطق النبي ﷺ بعبارته تلك .

اللغة : الافلاذ القطع المتفرقة عن الشيء وتكاد تختص لغويا بالكبد .

المعنى :

١ - أن يكون هذا التعبير بالكبد كناية عن القوم الذين احتشدوا من أشراف مكة وصرحائها وأعز قادتها وأبنائها إذ هم من مكة سموا ورفعوا وقيمة بمكانة الكبد من الانسان ، بهم حياتها كما أن بالكبد حياة الانسان ونشاطه ووجوده .

٢ - ويمكن أن نوسع الصورة وأن نكبر الخيال فنجعل البيئة المكية بمنزلة الأحشاء تجمع أغلى الاعضاء وأكثرها قيمة لوجود الانسان ومنها الكبد الذي تتكون من أبعاضه كله المتكامل والقادة من قريش الكبد قد ضمتهم أحشاء مكة وحننت عليهم .

سؤال : إلى أي المعنيين تميل ولماذا ؟

نقاش حول النص :

١ - الجو الذي قيل فيه هذا النص جو حرب فهل العبارة للتحميس أم للتشيط ؟

٢ - ما القيمة التي يتيحها هذا النص (المصارحة سبب النجاح) ؟

٣ - أين مكان الحسن في هذا النص (الایجاز - المجاز « مكة رمتكم » الكناية « أفلاذ الكبد ») .

٣ - هذه الصورة التعبيرية انسانية عامة أم بيئية ؟ ولماذا ؟ وهل يمكن أن تكون بيئية وانسانية عامة معا ؟ كيف ؟

٥ - هل للبلاغة قيمة علمية ؟ في المجتمع الجاهلي - في جو نصنا هذا الحربي (في الجيوش المعاصرة الان قسم التوجيه المعنوي) منذ قديم والحروب بالكلمة وبالسيف فهل هي كذلك الآن ؟

حديث

قال ﷺ وقد مر على قوم وقوف على ظهور دوابهم ورواحلهم يتنازعون الاحاديث : « لاتتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق فرب مركوب خير من راكبه .

الاسلوب :

- ١ - التصوير لطول وقوف الدواب ومكوث أصحابها فوقها بالكراسي عليها قوم جلوس .
- ٢ - النقد في أدب معبر قوي (المركوب والراكب) .
- ٣ - عناصر الانجاز في : طريق - أسواق .

قيمة النص :

- ١ - من الناحية الفنية : مر بنا .
- ٢ - من الناحية السلوكية : طول الاحاديث مما يجبر إلى الانحراف .
- ٣ - زحم الطريق بدون مبرر .
- ٤ - تقوية للعمل والجهاد دون الفراغ والبطالة وإشارته في ذلك إلى أن من الحيوان ما يفضل الإنسان في هذا الباب .
- ٥ - الرحمة : فكل ذي روح ينبغي للإنسان أن يراعاه .

سؤال :

- ١ - الصورة من أي البيئات هي وهل تنحصر قيمتها الانسانية في أنها بيئية خاصة أم أنها عامة تشمل كل زمان ومكان .
- ٢ - كثير من المسلمين ينظرون إلى تعاليم الاسلام على أنها حركات تؤدي أو أقوال يلفظ بها دون التفطن إلى ما في تلك التعاليم من قيم تعدو هذه المظاهر الشكلية فثمة هنا قيم هي : الرحمة والعمل وأدب السلوك عامة .
- ٣ - لو تدبرنا هذا القول في ضوء عصره لوجدنا مدي اللحاح على قيمة العمل في عصر كان الفراغ فيه أكثر من الشغل فما بال هذا القول في عصرنا .

٤ - ولقد كان لهذا الحديث بما له من قيمة حظ مضيع فوجدنا من أدباء هذا العصر من تعجبه عبارة للحكيم توما « أما آن لي أن أركب أمّا أنا فجاهل بسيط وأما صاحبي فجاهل مركب وعلى ما في هذه العبارة من الاقذاع التعبيرى فان معناها يدور في فلك التعبير الحديثي على أدب هذا الاخير .

على كل حال فمن أدبائنا المعاصرين من طرح هذه القضية وجعل من الدواب، ما ينطق بالحكمة ويفكر بالمنطق مما يعجز عنه الانسان وتخبر في تهكم رمزا لهذا أكثر الحيوان غباء ولكنه أشدها جلدا وهو الحمار .

* * *

رابعا : البديعيات :

بلاغة النبي جانب طريف من البحث في البلاغة النبوية - أفرد ابن المعتز الاحاديث التي خاطب الرسول ﷺ فيها البدو والاعراب للتعرف على خصائص هذا الاسلوب ... وكيف كان الرسول يسوس هذه النفوس الجافية الغليظة .

ولقد أثر الحديث على النقد الادبي مثلما نجد عند ابن سلام وكان لتقويا محدثا حين عمد إلى نقد رواية الرواة للشعر مما اكتسبه من نقد رواية الحديث ، ومن ثم كانت عنايته بقضية الانتحال تحقيقا للنص ، واثباتا لصحة نسبته إلى مؤلفه .

البديعيات

يري مؤلف كتاب « البديعيات » أن بداية هذا الفن ترجع إلى صفى الدين الحلي في القرن الثامن الهجري ...

ولكن بحوزتي مخطوطة تنتمي إلى القرن السابع الهجري وصاحبها ابن معطي الزواوي ..

ومن الحق أن يقال إن البديعية بما فيها من موسيقية اللفظ ولما فيها من زخرفة الكلام تنبع من وجدانية وعاطفية الحب لهذا الرسول ﷺ ، مما يعنى أن البديع بعنصرية الموسيقى والزخرفي يرمز إلى هذه العاطفة الوجدانية الصادقة

مهما قيل من أن هذا البديع فيه صنعة وقصد إليه ، ولأن السيولة النغمية تتوافق مع السيولة الوجدانية في البديعيات

* * *

خامساً : التصوير الفني في الحديث النبوي للدكتور محمد لطفي الصباغ^(١):

ومن المباحث المعاصرة في دراسة البلاغة النبوية بحث تقدم به د. محمد لطفي الصباغ لكلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ومن فصوله المرتبطة ارتباطا وثيقا بالبلاغة ما أورد تحت عنوانه .

(١) ط المكتب الإسلامى .

الصور الحسية والمعنوية

في وسائل التصوير وعلاقاته

لم تعد الصورة في النقد الحديث تعني مجرد التشبيه أو الاستعارة أو المجاز بصفة عامة ، بل هي في مفهومها البسيط كما يعرفها « راي لويس » لوحة مصنوعة من الألفاظ ، وقد تخلق الاستعارة صورة ولكن من الممكن أيضاً أن تصنع الصورة الرائعة عبارة وصفية بحتة تحمل إلى تصورنا شيئاً أكثر من مجرد الانعكاس الحرفي للحقيقة الخارجية^(١).

والصورة وثيقة الصلة بملكة الخيال ولا تقتصر على الدلالة البصرية المحدودة فهي في رأي « جون مسري » وليدة الكلمة التي اشتقت منها وهي كلمة Imagination أي ملكة التصور والتخيل^(٢).

وقد انتهى معظم الباحثين المحدثين إلى القول بأن الصورة تعني كل عناصر الشكل بحيث توضع بإزاء المضمون وهي متحدة معه تماماً بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، ودراسة أي نص ينبغي أن تكون في إطار العلاقات التي تقيمها لغة النص من حيث التراكيب والصور والرموز وليست اللغة مجرد مفردات حديثة قائمة بذاتها ولكنها أهم من ذلك بكثير إنها علاقات متداخلة متشابكة ، والنص نسيج متكامل يتداخل فيه إيقاع الذات وإيقاع البيئة والمجتمع والثقافة .

وقد يغالى بعض الباحثين في الاهتمام بالصورة في أية جزئية من جزئياتها بحيث ينادى بإسقاط الاهتمام بالمعاني أو الأفكار التي يمكن أن تدل عليها الكلمات أو العبارات ومن هؤلاء « بلومفيلد » الذي كان من أعداء ما يسمى بالعقلية Le mentalisme أي الاهتمام بالمضمون ، وكان يعتقد أنه من

(١) انظر : ص ٢٥ The Poetic Image

(٢) انظر : النقد التحليلي لمحمد عناني ص ٥٩ .

المستحيل أن نحدد المعنى الدقيق للتراكيب اللغوية ، ولذلك ينبغي إهمالها وإسقاطها ، وكل ما كان يهمه وصف الظواهر الصوتية اللغوية وتسجيلها ، ولكن « شومسكي » كان يدعو إلى دراسة علاقة الظواهر اللغوية بالفكر^(١).

وأنصار التحليل البنيوي يركزون تحليلهم على بنية العمل الأدبي اللغوية ووصفها ودراستها دراسة علمية استقصائية ثم هم بعد ذلك لا يمانعون في القيام بمحاولة اكتشاف العلاقات المتبادلة التي تربط العمل الأدبي بالوسط الخارجي كالظروف التاريخية والتأثيرات الأدبية المقارنة والسيرة الذاتية للكاتب ، ثم التحليل النفسي لشخصيته^(٢).

إن التصوير الفني بالمفهوم الحديث كان الإطار العام الذي بنى عليه هذا البحث وقد قدمت في البابين السابقين صوراً حديثة كثيرة على أساس تحليل العلاقات المتشابكة في النص وإدراك التيار العاطفي فيه وتصوير مافيه من خطرات نفسية تقيم جسراً من الإقناع وعمق الفهم بين الحديث وسامعه أو بين الشكل والمضمون ، وغايتي في هذا الباب أن أفصل القول في وسائل التصوير وعلاقاته في الحديث النبوي ، أو بمعنى آخر دراسة جوانب من الشكل تعتمد على وسائل مختلفة لأحداث الصورة بظواهر مهمة وتأثير ذلك كله على المضمون ، وسنجد في الحديث النبوي صوراً فنية جديدة تماماً تبعد عن إطار الصور المألوفة المتكررة في الشعر الجاهلي ونثره ، وتلك النتيجة تؤكد حقيقة مهمة وهي الطبيعة الرمزية للغة التي تلد جديداً من التعبير في كل لحظة ، وأن الصدق الفني والبصيرة النافذة من العناصر الأصيلة في التعبير في الحديث النبوي بحيث يتعد عن الأشكال التقليدية المألوفة وتقدم نصوصه تصورات جديدة لا من حيث المضمون فحسب بل من حيث الصورة أيضاً وسنجد أن الحديث النبوي اعتمد على وسائل كثيرة في تصويره ، بعضها كان معروفاً لدى العرب في شعرهم ونثرهم كالتشبيه والاستعارة والكناية وبعضها لم يكن

(١) انظر مقال (البنيوية والحداثة) لهاشم صالح - مجلة مواقف العدد ٣٦ سنة ١٩٨٠

(٢) انظر ص ٥٨ : Truth and Art

واضحاً في نتاجهم الأدبي كالوصف والقصة والتجسيم والتشخيص والموازنة والإشارة والرسم .

وسنجد الحديث النبوي في الوسائل المألوفة يقدم تصوراً جديداً ويفتح آفاقاً جديدة للتخيّل والإدراك ، على الرغم من وجود علاقة واضحة بين صورته والبيئة والمجتمع والتقاليد والعادات المألوفة .

* * *

أولاً : في وسائل التصوير :

التصوير بالوصف :

ربّما كان الوصف الدقيق التابع من البصيرة النافذة وحسن الإدراك والتدفق العاطفي أبلغ من التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الوسائل المألوفة في التصوير .
إنّه ينقل لك أمام عينيك المشهد حتّى تكاد تحسّ به بخواسك وتلمسه بيديك .

وهو ليس مجرد تصوير فوتغرافي آلي ولكنّه تصوّر إدراكي ، فيه إلى جانب موضوعيته قدر كبير من ذاتية صاحبه .

ويعلو شأن الوصف في التصوير عندما يكون الموصوف أمراً غيبياً لا سبيل إلى نقله إلا عن هذا الطريق الذي يتخيّله السّامع واقعاً ملموساً يراه بعينه ويتقرّاه بيديه .

وقد مرّت بنا خلال دراستنا لكتب السّنة لوحات وصفية رائعة تعجز ريشة الفنّان أن تأتي بأجمل منها أو أبدع مع الدّقة في الوصف والصدق في الأداء والجمال في التعبير . والموضوعات التي تطالعنا في الحديث متنوعة ، فمنها ما يتعلق بالإنسان والحيوان .. وأكثرها متعلق بالأمر المعنويّة .

- عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« ماتعدّون الصّرعّة فيكم ؟ »

قالوا : الذي لا يصرعه الرّجال .

قال : « ليس بذاك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب »^(١).

في هذا التعريف الجديد للصرعة مخالفة لما ألف الناس وعرفوا .. وفيه يقرر ﷺ أن الإنسان إنما يكون إنساناً بإرادته لابعضلاته فليس الشديد هو الذي يصرع الناس بقوته ، ولكن الرجل الصرعة الشديد هو الذي يملك السيطرة على أعصابه ، ويستطيع أن يتصرف التصرف الموزون اللبق حالة الغضب والانفعال وبذلك يكون الإنسان إنساناً .

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوماً :

وجوههم كالجان المطرقة^(٢) ، يلبسون الشعر ويمشون في الشعر »^(٣).

وفي رواية : « ... قوماً . نعالهم الشعر صغار الأعين ذلف الأنف كأن وجوههم الجان المطرقة »^(٤).

قالوا في شرحه : فيه تشبيه وجوه الترك في عرضها وتنور وجناتها بالترس المطرقة .

فالحديث في دقته في وصف هؤلاء الناس والإخبار بأن المسلمين سيقاتلونهم من أعلام نبوته ﷺ وقد استخدم التشبيه في توضيح الموصوف وقد قلت في كتابي « الحديث النبوي » :

(وقد اتخذ الحديث وسائل عديدة للوصف من أهمها التشبيه .

فلقد كان الرسول العظيم ﷺ يؤثر أن يستخدم التشبيه المحكم وسيلة فعلية للوصف الدقيق الذي يستجمع شرائط الجودة كلها)^(٥).

(١) صحيح مسلم ٣٠/٨ ط استانبول .

(٢) الجان : جمع مجن وهو الترس .

المطرقة : (باسكان الطاء وتخفيف الراء) وهي التي ألست العقب وأطرقت به طاقة فوق طاقة .

(٣) صحيح مسلم ٣٧/١٨ :

(٤) أبو داود ١٦٠/٤ وذلف : جمع أذلف أي فطس الأنوف .

(٥) الحديث النبوي ص ٨١

- عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« أراني ليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللّم ، قد رجلها فتهي تقطر ماء ، متكئا على رجلين - أو على عوانق رجلين - يطوف بالبيت .

فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم . ثم إذا أنا برجل جعد ققط^(١) أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية . فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح الدجال^(٢) .

يحكى لنا رسول الله ﷺ أنه رأى في المنام عيسى بن مريم ثم المسيح الدجال فإذا هو جعد الشعر قصير أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية .

والجميل أن يجمعهما موصوفين في موضع واحد ليقدم العلامة على كذب الدجال الذي يدعى أنه هو المسيح .

ومن وصف الناس هذا النص الجميل :

- عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ :

« إن من عباد الله لأناساً ، ما هم بأنبياء ولا بشهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى » .

قالوا : يا رسول الله ! تخبرنا من هم ؟

قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور . لا يخافون إذا خاف الناس ولا يخزنون إذا حزن الناس »^(٣) .

(١) الققط : القصير الجعد من الشعر .

(٢) صحيح مسلم ٢٣٣/٢ - ٢٣٥ .

(٣) أبو داود ٣٩١/٣ .

هؤلاء المتحابون في الله وصف مكانتهم الكريمة التي تجعل الأنبياء والشهداء يغطونهم على مكانتهم .

محبة بعضهم لبعض خالصة لله فلا أرحام بينهم ولا مصالح مآلية تجمعهم ولا علاقات نفعية تحركهم . إن وجوههم لنور وإنهم على نور .

إذا خاف الناس كانوا آمنين ، ولا يحزنون إذا حزن الناس .

نص يفيض بالود والمحبة ، ويشرق بالأمن والتفاؤل والعيش الكريم الرخي .

* * *

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« أتدرون ما المفلس ؟ »

قالوا : المفلس فينا من لادرهم ولامتاع .

- قال : « إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »^(١).

هذا هو المفلس الحقيقي فما أهون تحصيل الدراهم والأمتعة والعمل على إيجادها . أما الإفلاس الحقيقي فهو حالة هذا الرجل الذي أضاع الحسنات يوم القيامة في ذلك اليوم الذي لا يتاح للمرء أن يكسب شيئاً .. ويطرح في النار .

وهذه الوصف الدقيق الحي يؤدي غرضاً دينياً هو الامتناع من الظلم في الدنيا فقد تكون للظالم قوة يتمكن بها أن يفعل ما يشاء ولكن عليه أن يتذكر أنه سيجرد من هذه القوة ، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة .

إن العدالة الإلهية لن تدع مظلوماً في ذاك اليوم حتى تنتصف له من ظالمه .

(١) صحيح مسلم ١٣٥/١٦-١٣٦ (وفي ط استنبول ١٨/٨)

- عن النّوأس بن سمعان قال :

سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم .

فقال : « البرّ حسن الخلق . والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه النّاس »^(١).

ما البرّ وما الإثم ؟

البرّ حسن الخلق . كلمتان جمعتا كلّ خصال البرّ . ومعظم المفاصد الاجتماعية والشخصية نابعة من سوء الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه النّاس ولكن الله عزّ وجلّ مطلع عليه ، فما دمت كرهت أن يطلع عليه أحد فاتهم نفسك .

وهناك حديث آخر رواه وابصة بن معبد يشرح هذا الحديث وهو :

- عن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله ﷺ فقال : « جئت تسأل عن البر ؟ »

قلت : نعم .

قال : « استفت قلبك . البرّ ما اطمأنت إليه النّفس واطمأنّ إليه القلب والإثم ما حاك في النّفس وتردّد الصدر وإن أفتاك النّاس وأفتوك »^(٢).

وهذا من الوصف المعنوي الرائع الذي يتغلغل إلى أعماق النّفس ومن وصف الحيوان وصف الكلب الذي كاد يقتله العطش :

- عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« بينما رجل يمشي بطريق اشتدّ عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثمّ خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ... »^(٣).

(١) صحيح مسلم ١١١/١٦ (وفي ط استنبول ٧/٨) ومسند أحمد ١٨٢/٤ والترمذي ٢٨٢/٣ والمستدرک للحاکم ١٤/٢ .

(٢) مسند أحمد ٢٢٧/٤ وسنده الدارمي ٢٤٦/٢ .

(٣) متفق عليه وقد مضى تخريجه .

إنه يلهث يريد أن يشرب وليس أمامه شيء إلا الثرى فيها هو ذا يأكله علّه يجد فيه ما يطفئ عطشه .

- وعن عمر عن النبي ﷺ أنه قال :

« لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا »^(١).

فهذه الطيور تكون في الصباح خماصاً^(٢) ضامرة البطون من الجوع ، وتروح في المساء وقد امتلأت بطونها . إن الله يرزقها من غير حيلة منها ولا تخطيط .

- عن أنس أن رسول الله ﷺ قال :

« أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه »^(٣).

وفي رواية : « يقع خطوة عند أقصى طرفه »^(٤).

البراق دابة جاء وصفها الدقيق في هذا الحديث وأمثاله وقد ذكر العلماء تعليلاً لتسميتها بالبراق فقالوا : سُمي البراق بالبراق لنصوع لونه وشدة بريقه ، وقيل لسرعة حركته ، شبهه فيهما بالبرق^(٥).

وهذا الوصف السريع ذكر أموراً ثلاثة على لونه وحجمه وسرعة عدوه وأن له طرفاً وحافراً .

والبراق دابة ركبها النبي ﷺ ليلة الإسراء وجاء ذكرها في حديث المعراج .

(١) رواه الترمذي (انظر رياض الصالحين ٥٧ ط عمارة والأحاديث الصحيحة ٣١٠) .

(٢) جاء في القاموس : ونخيص الحشى ضامر البطن وهي نخمصة ونخمصة من نخاص وهم نخاص جياع .

(٣) صحيح مسلم ٢/٢١٠-٢١١ .

(٤) صحيح مسلم ٢/٢٢٣ .

(٥) النهاية لابن الأثير ١/١٢٠ .

وهي من عالم الغيب الذي خصّ الله بمعرفته رسول الله ﷺ وبعض الملائكة .

ونطالع وصفاً لحال العبد يوم القيامة من خلال حوار يجري بين العبد وربّه ثم حوار بين العبد وجوارحه . هذا الوصف الرائع صورة ناطقة لحال اناس يوم القيامة فلنستمع إلى هذا الحوار :

- عن أنس قال :

كُنّا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال :

- « هل تدرون ممّ أضحك ؟ »

- قال قلنا : الله ورسوله أعلم .

- قال : « من مخاطبة العبد ربّه يقول : ياربّ ألم تجرني من الظلم ؟ »

- قال : بلى .

- قال فيقول : فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني .

- قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين
شهوداً .

التصوير بالموازنة :

الموازنة أسلوب كثير الورد في الحديث النبوي ، وقد جمع هذا الأسلوب بين الإمتاع والإقناع ، أمّا الإمتاع فلأن السامع والقارئ يكونان أمام صورة ترضي شيئاً معروفاً وأمر جديد يتعرفانه ، وأمّا الإقناع فلأن الموازنة تجعل الإنسان يأخذ بالرأي يدل عليه الدليل .

وسأورد بعض النماذج ولن نستطيع سوقها كلها لكثرة الصور التي كانت تعتمد على الموازنة ، لاسيماً وأن كثيراً منها قد مرّ معنا في البابين السابقين :

- عن المستورد بن شداد قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار بيمينه »

بالسُّبابة - في اليم فليُنظر بما يرجع»^(١).

إن شأنها ضئيل ، ماهي بالنسبة إلى الآخرة إلا مثل ما يعلق بالسُّبابة إذا أدخلت البحر .

هذه الدنيا وما فيها لا تكاد تذكر أمام الآخرة ، ومن يقرن كمية الماء العالقة بالسُّبابة بالبحر العظيم المحيط ؟

- عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ :

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ماسقى كافراً منها شربة ماء »^(٢).

إنها عند الله أقل من جناح بعوضه ، لأننا نرى الكفار يسقون وتتاح لهم وسائل النعيم .

- عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ :

« رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها »^(٣).

هذه الدنيا وما عليها ليست شيئاً أمام هذه الأمور الثلاثة . إن المساحة اليسيرة من الجنة التي تعدل موضع السوط خير من هذه الدنيا وما عليها .

(١) صحيح مسلم : ١٩٢/١٧ .

(٢) رواه الترمذي : وقال : حديث حسن صحيح وانظر رياض الصالحين ٣٣٨ .

(٣) متفق عليه (صحيح البخاري : ٢٩/٤ وانظر رياض الصالحين ٧١٦) .

وفي رواية لأبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

« لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب »^(١).

وقاب القوس هو مقدار ما بين المقبض والسية من القوس .

والتعبير بما طلعت عليه الشمس عن الدنيا وارد كثيراً وهو يزيد الصورة جمالاً إذ يجعل الصورة مركبة ومن ذلك الحديث الآتي :

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس »^(٢).

- وعن عمر بن الخطاب قال :

... وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال :

« لقد أنزلت علي الليلة سورة فهي أحب إلي مما طنعت عليه الشمس ... »^(٣).

فرسول الله ﷺ يقرر أن قول أذكار معينة أحب إليه من الدنيا ، وسورة الفتح أحب إليه من الدنيا .

إن المؤمن المحب لرسول الله ﷺ عندما يسمع هذا الكلام يقدر الدنيا قدرها ، وتمنّون عليه مآسى الحياة ، ويدفعه إلى الجهاد واختيار ما عند الله وما يؤثر رسول الله ﷺ .

- عن أنس عن النبي ﷺ قال :

« يقول الله تبارك وتعالى لأهل النار عذاباً :

(١) متفق عليه (وانظر رياض الصالحين ١٠٤٥) .

(٢) صحيح مسلم : ١٩/١٧ .

(٣) صحيح البخاري : ١٦١/٥ ط الشعب .

لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها ؟

فيقول : نعم

فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لاتشرك
ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك»^(١).

يخبرنا رسول الله ﷺ عن حوار سيجري يوم القيامة بين أهون أهل النار
عذاباً وبين الله ، ويسأله ربنا تبارك وتعالى : لو كانت لك الدنيا وما فيها أتقبل
أن تنازل عنها لتفتدي نفسك بها من هذا العذاب ، فيقول نعم .

فالدنيا وما فيها لاتساوي أقل عذاب يمكن أن يلقاه إنسان في النار فما بالناس
والعباد بالله بأشد الناس عذاباً ؟

إن هذا نذير لهؤلاء الذين مازالوا في الفسحة .

- عن أبي هريرة قال :

جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال :

- إن امرأتى ولدت غلاماً أسود - وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه .

- فقال النبي ﷺ : « هل لك من إبل ؟ »

- قال : نعم

- قال : « فما ألوانها ؟ »

- قال : حمر

- قال : « هل فيها من أورك ؟ »

- قال : إن فيها لورقاً .

- قال : « فأنى أتأها ذلك ؟ »

- قال : عسى أن يكون نزع عرق .

(١) صحيح مسلم : ١٤٧/١٧ .

- قال : « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » .

ولم يرخص له في الانتفاء منه «^(١) .

لقد تركه ﷺ يستخلص الحجة بنفسه ، ولم يقررها هو حتى لا يحس بأن شيئاً فرض عليه ، وكان هذا الحوار الحي مفحماً للرجل عن طريق الموازنة ، وواضح أنه اعتمد على ماهو معروف عند المخاطب الذي كان له إبل .

التصوير بالإشارة والحركة والرسم :

وهذا اللون من التصوير نقل إلينا ووصف ، وهو لون من ألوان التصوير التي توضح الفكرة وتبين المراد .

ذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يفهم بها ناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض كما يفهم بها البكم فيما بينهم ومع الناطقين أيضاً : وهي إذ كانت في محلها كانت معينة على الفهم ، ملفتة للنظر ، طاردة للشroud مشركة في المتابعة أكثر من حاسة ، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة ، ويذكر كل منهما بالأخرى .

وكان لحركته ﷺ وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء فحركته معبرة تلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر^(٢) .

أما الرسم فإنه أسلوب تعليمي يجلو الأمر ويوضحه أتم توضيح ... وإنه لمستوى رفيع في التوجيه والإبلاغ أن يكون الرسم أداة في قوم أميين .

(١) البخاري ٧ × ٦٨ - ٦٩ ط الشعب ، ومسلم ١٣٣/١٠ وفي ط استنبول ٢١١/٤ وفتح

الباري ٤٤٢/٩ ومسنند أحمد ١٧٦/١٢ وأقيسه النبي : ١٨١،٨٠

(٢) انظر صفحة ٥٧ من كتابي : الحديث النبوي - الطبعة الثالثة

استخدامه الاصبعين السبابة والوسطى :

- عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال :

« أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »

وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى^(١).

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنة »

وأشار مالك (أحد الرواة) بالسبابة والوسطى^(٢).

- عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين » وضم أصابعه^(٣).

القيام بأمور اليتيم والبنات عمل يرشح صاحبه ليكون مع رسول الله ﷺ في الجنة . ويستخدم رسول الله ﷺ الإشارة بأصبعيه ليدل على أن من يفعل ذلك يكون مرافقاً له في الجنة .

وكذلك فإنه يستعمل الإشارة نفسها عندما يريد أن يقرر أن بعثته مقاربة لقيام الساعة ، والقرب والبعد أمور نسبية .

- عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« بعثت أنا والساعة كهاتين »^(٤).

وأشار بالوسطى والسبابة .

- عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) صحيح البخاري ١٠/٨ ط الشعب . والاصبع فيها عشر لغات بثلاث الهززة والباء . والمعاشرة

أصبع على وزن عصفور . واشهرها بفتح الهززة وكسر الباء

(٢) صحيح مسلم ١١٣/١٨ .

(٣) صحيح مسلم ٣٨/٨ ط استنبول .

(٤) مسند أحمد ١٢٤/٣ (وانظر أقيسة النبي ١٤٣) .

« بعثت أنا والساعة كهاتين » .

ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى^(١).

الإشارة باليد حاثياً إلى الأمام والخلف واليمين والشمال :

وردت هذه الإشارة عندما يريد صلوات الله وسلامه عليه أن يذكر توزيع المال في المستحقين وهو تصوير رائع :

- عن أبي ذر قال : انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال : « هم الأخسرون ورب الكعبة » .

فجئت حتى جلست ، فلم أبق أن أقت فقلت : فذاك أبي وأمي من هم ؟

قال : « هم الأكثرون أموالاً - إلا من قال هكذا وهكذا » - من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله^(٢).

- وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ :

« ما أحب أن أحداً ذاك عندي ذهب ، أمسي ثلاثة عندي منه دينار ، إلا ديناراً أرصده لدين ، إلا أن أقول في عباد الله هكذا - حثا بين يديه - وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله »^(٣).

الإشارة باليد إلى الفم :

وقد استعمل رسول الله ﷺ هذه الإشارة عندما كان يتحدث عن موقف الناس يوم القيامة وعن مكان ارتفاع بحيرة العرق بالنسبة إلى أجسامهم .

(١) رواه مسلم (وانظر رياض الصالحين ١٦٤) .

(٢) صحيح مسلم ٧٣٧ .

(٣) صحيح مسلم ٧٥٧ والخاري وانظر رياض الصالحين ٣٣٣ .

- عن المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ »^(١).
« فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرْقِ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رِكَبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرْقُ
إِلْجَامًا » .

قال : فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه^(٢).

الإشارة بأصابع يده للدلالة على الأرقام :

هناك دلالات على الأرقام بالأصابع ، وقد حدّدت هذه الإشارة في كتب
الفقه وفي الكتب التي تحكي عادات العرب في الأمور الاجتماعية .
فعندما أراد رسول الله ﷺ أن يقرّر أن الشهر القمري يأتي مرّة تسعاً
وعشرين و مرّة ثلاثين استخدم من أجل ذلك الإشارة بالأصابع . وقد نقل
الصّحابة عنه مثل هذا الاستعمال :

- عن ابن عمر قال : قال النّبي ﷺ :

« أَنَا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا » .
وخنس سليمان أصبعه في الثالثة ، يعني تسعاً وعشرين ، وثلاثين^(٣).

(١) قال سليم بن عامر راوى الحديث : فوالله ما أدري مايعنى الميل أمسافة الأرض أم الميل الذي
تكحل به العين .

(٢) صحيح مسلم ١٧/١٩٦ .

(٣) أبو داود ٣٩٨/٢ . وأخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه

الإشارة باليدين مجموعتين ثم بسط السَّابَتَيْنِ :

وذلك في بيانه ﷺ الفجر الذي يمسك عند حلوله الصَّائِم وفي هذه الإشارة حكاية لانفجار الفجر وكيف يكون ذلك على وجه التَّقريب فلقد جمع ثم مَدَّ أصبعيه السَّابَتَيْنِ إلى الأمام :

- عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ أَذَانَ بِلَالٍ مِنْ سَحُورِهِ ، فَإِنَّهُ يُؤْذَنُ - أَوْ قَالَ يَنَادِي - لِيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ وَيَنْتَبِهَ نَائِمَكُمْ . وَلَيْسَ الْفَجْرُ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا (قَالَ مُسَدِّدٌ : جَمَعَ يَحْيَى كُفَّيْهِ) حَتَّى يَقُولَ هَكَذَا (وَمَدَّ يَحْيَى بِأَصْبَعِيهِ السَّابَتَيْنِ) »^(١).

الإشارة باليد إلى رأس المخاطب :

وذلك للدلالة على القرب الشديد . وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ ليقرّر أَنَّ السَّاعَةَ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِهِ ﷺ مِنْ رَأْسِ الْمَخَاطَبِ .

- عن ابن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ :

« يَا بَنِي حَوَالَةَ : إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْقُدُسِ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ . وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدَيِ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ »^(٢).

تشبيك الأصابع :

- عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ :

« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً »^(٣).

وشبك بين أصابعه .

(١) أبو داود ٤٠٨/٢ وأخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه .

(٢) أبو داود : ٢٨/٣ .

(٣) متفق عليه : انظر رياض الصَّالحين ٢٠٤

وهذه الإشارة للدلالة على القوة والتماسك وتقوية بعضهم لبعض . وقد استخدم الرسول ﷺ التشبيك أكثر من مرة .

* * *

الإشارة باليد إلى الصدر للدلالة على مكان التقوى :

- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« ... وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا » .
ويشير إلى صدره ثلاث مرّات^(١) .

وضع السبابة في الفم إشارة إلى الرضاع :

وذلك في حديث الثلاثة الذين تكلموا في المهد ، فقد كلّم الطفل الرضيع أمّه ثم رجع إلى الرضاعة فحكى النبي ﷺ رضاعته .
- عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ :
« ... فترك الثدي ، وأقبل إليه ، فنظر إليه ، فقال : اللهم لاتجعلني مثله . ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصّها ... »^(٢) .

* * *

تغيير جلسته ﷺ :

وكان يفعل ذلك إذا أراد أن يؤكد أهمية الموضوع الذي يتحدث فيه . فيغير جلسته كما في الحديث الآتي :

(١) صحيح مسلم : ١١/٨ ط استنبول .

(٢) صحيح البخاري ٢٠١/٤ وصحيح مسلم ١٠٥/١٦ .

- عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » .

قلنا : بلى يا رسول الله .

قال : « الإشراف بالله ، وحقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس .

فقال : « ألا وقول الزور » .

فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت^(١).

الإشارة باليد ووضعها على الأرض ونقلها :

فلقد جمع أصابعه فوضعها على الأرض ثم قال : « هذا ابن آدم » .

ثم رفعها فوضعها قبل ذلك قليلاً وقال :

« هذا أجله » .

ثم رمى بيده أمامه وقال :

« وثُمَّ أمله »^(٢).

إن هذا التَّنْقِيل باليد من مكان إلى مكان ليصوِّر قرب الأجل وطول الأمل
وبعده وسيلة من وسائل ترسيخ الفكرة واستيعابها في أذهان السَّامعين .

الرُّسْم :

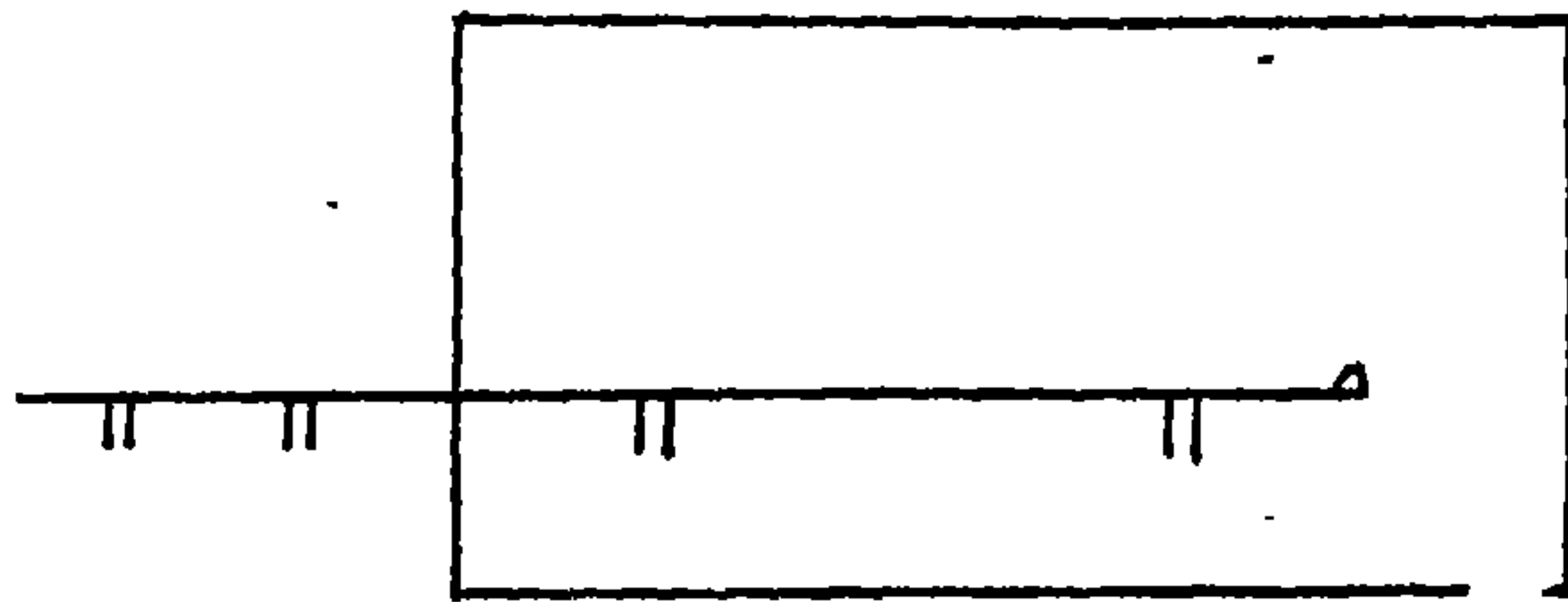
وإنَّه لتصوير يجسِّد المعنى ويبيِّنه ببساطة ووضوح ولقد استخدمه الرسول
ﷺ في توضيح عدَّة معانٍ وسنذكر معنيين :

(١) متفق عليه ، وانظر رياض الصَّالحين ٥٥٢ ط رضوان محمد رضوان .

(٢) المسند : ١٢٣/٣ .

وما أحسب أنَّ هناك تفسيراً بسيطاً معنى الآية ويقربها للأذهان يفوق هذا التفسير الموضح بالرَّسم .

٢ - الأمل والأجل :



فهرس

الصفحة

مقدمة ٧-٥

الفصل الأول :

السيرة النبوية وفن الترجمة ٨٢-١١

أولا : شخصية الرسول وفن السيرة

شخصية الرسول والإعجاز - أحداث في سيرة
الرسول - حول الإسراء

ثانيا : الصحابة

الفصل الثاني :

الحديث وعلوم الدين ١٦٨-٨٣

الحديث والمعارف العربية - موضوع الحديث
وصفته - نقد المسلمين للحديث تصنيف الحديث -
مجموعات الحديث - رواية الحديث - الفرق ما بين
الآيات القرآنية والحديث القدسي والحديث النبوي -
كتاب النسخ والمنسوخ لأبي مسلم المغزلي - علم
تأويل الحديث - أبعاد الحديث عند ابن خلدون -
شروح الحديث - مجاميع الحديث - قصة الجرح
والتعديل - أمثلة تطبيقية على الجرح والتعديل - علم
الرقائق - في التوحيد - علم الرواية - منهج المحدثين
في نقد الحديث

الفصل الثالث :

الحديث وعلوم العربية من لغة ونحو ٢٠٦-١٦٩

أولا : في لغة الحديث

(أ) الأمالي لأبي علي القالي

(ب) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير

ثانيا : اعراب الحديث

(أ) إعراب الحديث النبوي للعكبري

(ب) شواهد التوضيح-نماذج من تطبيقات

ابن مالك .

الفصل الرابع :

تصنيف الحديث ٢١٧-٢٤٤

(أ) ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث

لعبد الغني النابلسي

(ب) مفتاح كنوز السنن لونسك

الفصل الخامس :

السيرة والأنواع الأدبية ٢٤٥-٣٣٣

أولا : السيرة النبوية والأدب العربي .

ثانيا : المدحة النبوية .

ثالثا : أدب الدعاء .

رابعا : أدب الخطابة .

خامسا : آداب الرسائل .

سادسا : أدب الحكمة .

سابعا : أدب القصة .

ثامنا : أدب الرحلة .

الفصل السادس :

فنون التعبير ٢٣٥-٣٦٦

أولاً : العوامل التي أدت إلى فصاحة الرسول ﷺ .

ثانياً : كتاب إعجاز القرآن والبلاغة العربية
لمصطفى صادق الرافعي .

ثالثاً : معالجات الشريف الرضي في كتابه
« المجازات النبوية » .

رابعاً : البديعيات .

خامساً : التصوير الفني في الحديث النبوي للدكتور
محمد لطفى الصباغ .

فهرست بالموضوعات ٣٦٧

رقم الايداع ٨٨ / ٥٣٤٩

السرفيم الدولي ٥ - ٤٣٧ - ٠٤ - ٩٧٧

09/21.